



كيف حل النبي المشكلة ١٩

صلى الله
عليه
وسلم

تأليف

توفيق بن خلف الرفاعي

المقدمة

فهنا - بإذن الله - تجد رسول الله ﷺ حيثما التفتت، وحيثما احتجت، وحيثما يمت،
وتجده حيثما افتقدت أو فُقدت، تجده في كل حالاتك، كما يجده كل واحدٍ سواك في كل حالاته،
كما يجده العالم في كل حاجياته ... يجده العالم كله في كل ميدانٍ أمامه ... تجده في المشكلات
الواقعة، وتجده في المشكلات المتوقعة، فأما الأولى فتحلها، وأما الثانية فتتقيها.

ما هذا المنهج، ولماذا؟: كيف حلَّ النبي ﷺ كل مشكلة إلى يوم القيامة؟

هذه رسالة رسول الله ﷺ وسيرته وتفصيل حياته .. معروضة أمام العالمين ...
معروفة لم يُخَفَ منها شيءٌ مطلقاً .. لم تُخَفَ منها مرحلةٌ من مراحلها أبداً .. لم يُخَفَ منها جانب
واحد أبداً ...

والسؤال الذي نريده هو: هل خلت أي مرحلة من مراحل حياة النبي ﷺ من مشكلة؟ مشكلة
حقيقية .. حياتية .. آنية أو مصيرية ..؟!!

هل حين جاءته الرسالة في الغار واجه بعدها في مكة مشكلات ..؟!!

هل كانت تلك المشكلات عادية .. هل بلغت تلك المشكلات أمنه وأمانه؟! وحياته
وحياة صحبه ..؟! هل وصلت المشكلات إلى أهله وأهل بيته وأبنائه؟! هل قُتل بسببها أناس
من صحبه مثل ياسر وسمية .. وهل عُذِّبَ آخرون ونجوا مثل بلال وعمَّار .. هل صودرت
أموال أناس .. هل طُرِدَ أناس من صحبه ... هل اضطرَّ آخرون لشدة المشكلات إلى ترك
بلادهم مهاجرين إلى أرض الغرباء البعداء؟ هل مُنِعَ النبي ﷺ نفسه من دخول مكة ومن
الطواف بالبيت العتيق كما يطوف كل الناس؟

هل بلغت المشكلات أن أُخرج النبي ﷺ من بلده؟!!

وهل حين وصل النبي ﷺ المدينة انتهت جميع المشكلات .. أم كان في انتظاره أنواع
من المشكلات الجديدة؟! هل كان في المدينة ثلاث قبائل من شرِّ مَنْ دَبَّ على الأرض اليهود؟!!

هل ولدت في المدينة بؤرة مشكلات خطيرة للغاية اسمها المنافقون الذين كانوا معه في مسجده، وفي جهاده أحياناً، وفي بقية العبادات، وفي حياته وفي تفاصيل الحياة المدنية .. وفي مجريات الأحداث وأجزائها...؟!!

ويكفي لنعرف خطورة تلك المشكلات التي كان يوعز بها اليهود ويثيرها المنافقون دائماً وأبداً وفي كل حال أن نقرأ سورة التوبة ... والتي يكفي أن نعلم إلى أي شيء حَوَّل المنافقون حياة النبي ﷺ ... دون توقُّف حتى بلغ من غضب رب العالمين أن رفع [بسم الله الرحمن الرحيم] من سورة أول التوبة ولم يرفعها من غيرها؟!!

ثم أي مشكلة مفتراة تلك التي رَوَّجوها وأنزل الله أول ثمانٍ وعشرين آية من سورة النور .. وهل من مشكلة أصعب منها؟! وماذا فعلوا في غزوة أُحُدٍ حتى أنزل فيهم ما أنزل في سورة آل عمران، وفيمن أنزل - سبحانه - سورة المنافقون، وماذا صنعوا في غزوة الخندق حتى أنزل فيهم وفي غيرهم سورة الأحزاب، وفيمن أنزل الكثير من سورة النساء؟! وفيمن أنزل سورة البقرة كلها إلا آيات معدودة وهي مترابطة معها ... فمن قالها في المفسدين في الأرض .. وهم اليهود فقد صدق.

ثم أي مشكلات تلك التي كان يتعرَّض لها النبي ﷺ إذ هو يبلغ دعوة الله، ويواجه رؤوس الكفر وقتلة الأنبياء، ويواجه مَنْ تَوَلَّوْا كِبْرَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، ويواجه غلاظ الأعراب .. ويواجه متابعات قريش له وهو في مدينته ﷺ حتى كان في أول الأمر يُجْرَس لِيلاً إلى أنزل الله ﷻ عليه: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثم هذه السرايا والغزوات والبعوث هنا وهناك هل كانت إلا لإطفاء المشكلات، وتمهيداً لطريق الدعوة إلى الله بإزالة الطغاة الذين على الأقوام وهو أرباب المشكلات؟! وهل بلغ غدر هؤلاء بصحب النبي ﷺ مراراً أن ذهب من الصحابة رضي الله عنهم الكثير، كما حصل عند بئر معونة مع قراء القرآن، ولحفاء النبي ﷺ وهم بنو خزاعة.

والسؤال هو: هل توقفت المشكلات عند كفار قريش، والمفسدين في الأرض من اليهود، والمنافقين، وغلاظ الأعراب؟!!

لا والله ما توقفت المشكلات عند هؤلاء، ولا عند هذا الحد.

فهذا المجتمع الصالح الذي أصبح أصلح مجتمع عرفته المجتمعات ومنه وُلدت خير أمة أخرجت للناس ما كان كذلك أبداً، بل لم يكن في الوجود أبداً، لقد كانوا آحاداً .. وكل واحدٍ فيهم كان يعيش في ظلمات، كما قال الله - سبحانه -، فأخرجهم هو ﷺ من الظلمات وأدخلهم إلى النور .. وطهرهم من النجاسات شيئاً فشيئاً وليس مرة واحدة .. وربّاهم شيئاً فشيئاً كما يُربّي الوحش على اللين والحلم ومحاسن الأخلاق بعد أن كانوا على غير ذلك ... وَعَلَّمَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ .. نعم كل شيء، وإلا ما معنى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢﴾ [الجمعة: ٢]، وهل التزكية إلا حل مشكلات القلوب والصدور وتطهيرها، ثم إعلائها ابتداءً بالنوايا ومشكلاتها إلى بذل الأرواح في سبيل الله؟! وهل يعني قوله - سبحانه -: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلا القضاء على مشكلة الجهل وهي أخطر المشكلات على المجتمعات؟! وهل تعني الحكمة إلا استخدام العقل والخلاص من مشكلات الأخلاق ومساوئها والجاهليات وآثارها، وتحقيق الإمامة؟!!

إذاً فلقد كانت المشكلات أمامه في صحبه ﷺ؛ فمن رجل يحمل من الجاهليات الكثير، وآخر أقل وأقل، وآخر فيه خصلة من خصال الجاهلية .. وإلا فمن أين جاء هؤلاء؟! ألم يأتوا من ظلمات الجاهلية؟!

وكانت ثمة مشكلات في العصبية الجاهلية التي لم يتخلص منها البعض منهم، وكان المنافقون هم المستثمرون لها من داخل المجتمع؟

ولذا قال سبحانه للمسلمين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وهذا هو ما تكفل الله ﷻ به فقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وأجراه على يد رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١﴾ [الحديد: ٩]، ولهذا فإن من تأمل حياة النبي ﷺ مع الناس، ومع أهله، ومع أعدائه، ومع كل أحدٍ وجدها حياة عملية .. ينقل فيها الناس كمجتمع، وينقل فيها الأفراد فرداً فرداً النقلة الفعلية العملية الحقة.

ومن ثمَّ فإن النبي ﷺ كان يواجه في كل وقتٍ مشكلة، ويواجه مع كل سائل مشكلة، ويواجه مع القادم الجديد من الجاهلية مشكلة، ويواجه مع المجتمع الذي بناه أحياناً مشكلة؛ من خلال نعمة من النعرات، أو ثغرة من الثغرات، أو فتنة جاهلية منتنة، كما يواجه إرثهم

الجاهلي الثقيل بشكل عام جماعي، وبشكل فردي ..، كما يواجه ما يواجهه من استشكالاتهم في تطبيق ما يريد الله ﷻ منهم.

ثم كانت مشكلات من نوع آخر ألا وهي الفقر والحاجة التي عمّت المدينة، ومشكلة الماء الذي بيد اليهود، والغرباء الكثيرين من أهل الصُفَّة ﷺ.

وكان أشد الناس فقرًا هو رسول الله ﷺ، ويكفي أن نقرأ تخيير الله لنسائه - رضي الله **عنه** - بين البقاء عنده على هذا الحال الشديد وبين الفراق مع إمتاعهنّ والسعة عليهنّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۲۸ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۲۹﴾ [الأحزاب: ۲۸-۲۹].

دعك مما أصيب به هو ﷺ من بلاءات عظيمة لم تترك ناحية من نواحي حياته إلا وغزتها ... حتى لم تُبق له من الدنيا لذة .. ولازمته كل هذه المشكلات والكربات حتى استقبلته لحظة نزع روحه الشريفة، فديته ﷺ بنفسه، وولديه، وأهلي، وكل شيء ... فلقد قالت فاطمة ؑ حين رأته ينازع ويشتدُّ عليه النزاع: «وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ: «لَهَا لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^١.

والسؤال هنا: هل هذه كل المشكلات، أم أن هذه هي رؤوس المشكلات وعناوينها؟!

١ أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

وهل من مشكلة إلا حلها النبي ﷺ؟!!

والسؤال الذي يترتب على ما سبق؛ هل ترك النبي ﷺ من مشكلة إلا حلها؟! وهل كان حل النبي ﷺ لأي مشكلة مقتصرًا على أصحابه وأهل زمانه، أم أنّ حله لأمته وإلى أبد الدهر؟! وهل كان بقاء حله لأي مشكلة من تلك المشكلات إلا معجزة عظيمة وحدها؟!!

والسؤال الأخير هنا: فكم نخسر نحن في هذا الزمان حين لا نعطي حل النبي ﷺ للمشكلات حقّه؟! كم ننتبه نحن ونبقى في التيه ضائعين، لأننا ضيّعنا قائدنا وهادينا ونورنا، وضعنا من بعده في ظلمات الحياة ومشكلاتها ومتاهاتها، إذ نحن أشد ما نكون إليه حاجة؟! بل كم ضيّعنا الحقيقة وإن حَفِظْنَا حديثها، إذ لا ندري إن كان هنا ثمة مشكلة فضلًا من أن نعرف حلّها، بل تركنا مفهوم المشكلة الفعلية .. المشكلة الواقعية التي كانت .. والحل الواقعي الذي كان، أخذنا بمفهوم آخر للمشكلة وهي أنها المشكلة في روايات الأحاديث والآثار .. وظهور التضارب بين الروايات وما إلى ذلك من قضايا أكثرها بحثية مجردة!

مفهوم المشكلة من قبل ومن بعد:

إن المشكلات التي كان يواجهها رسول الله ﷺ - كما سنرى - إنما هي مشكلات فعلية؛ إنها مشكلات عقدية، أو مشكلات علمية .. حُلُوقِيَّة .. أو مشكلات عملية .. اجتماعية .. أسرية ... مالية، وهكذا على هذا سِرِّ .. إلا أنها جميعًا مشكلات حقيقية، فليست هي المشكلة النظرية، وهذه هي التي شكلت أكثر سنة النبي ﷺ، وما تبقى من السنة إنما هو تحذير من مشكلات وفتن فعلية قادمة سوف تقع في الأمة في كل جانب من الجوانب، ولهذا عُدَّت علامة من علامات النبوة، أو علامة من علامات الساعة، أو الاثني معًا، وليست هي

الاستشكالات العلمية على الروايات، ولا على المرويات، ولا على الأمور العلمية التي يوردونها مما يظهر منها الإشكال العلمي، كما اعتدنا في هذه الأعصر على حصر فهم المشكلة فيها، بل على فهم السُّنَّة فيها، وهذا الفهم للسنة غدا هو المفهوم المتبادر والمفهوم العام للمشكلة في أي حديث مع حديث آخر حتى غدت كل سنة النبي ﷺ زادًا للبحث العلمي المجرد وليست زادًا للحياة، وللخروج من الظلمات إلى النور.

زادًا للتوسُّع المعرفي والتفنُّن في إخراجها، وفهرستها، وتصنيفاتها، ومحفوظاتها، وحفظها، والأعاجيب في تخريج حفظة أسانيدها وما إلى ذلك، والحقيقة هي أن كل هذا الذي يحدث في هذا العصر إنما هو في الإطار فقط؛ أقصد الإطار الحافظ للسنة - وأنعم به من إطار - ... وكل هذا بعدما تحققت الوسيلة بأحسن وأدق ما تكون عند سلفنا الصالح وهو حفظها أحسن الحفظ لتبليغها، فقد استجاب المسلمون وتسابقوا إلى دعاء النبي ﷺ إذ دعا فقال: «نَصَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتيَ فَحَفِظَهَا فَأَدَّأَهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ»، ثم إن الله ﷻ قد منَّ على أهل هذا الزمان بفتح علمي مادي في الحفظ وليس في الفهم؛ أي في علم الرواية وليس الدراية، فأصبحوا يحفظون فيه ما يريدون من الأحاديث بأسرع ما يمكن وأدق ما يمكن، بل هو المطابق لما وضع فيه أول مرة، ويعيده حافظه متى يريد كما تركه .. ولهذا فإن الإغراق في حفظ الرواة والروايات في هذا الزمان إنما هو انشغال بالوسيلة دون الغاية ... وهذا يضرُّ بالغاية أيًّا إضرار، ويصرف عنها أيًّا صرف، وينشأ خصومات جديدة بين هؤلاء وهؤلاء، ونحن لا ينقصنا تمزُّق وتفتُّت!

١ أخرج البزار في مسنده (٣٤١٦)، وصححه الألباني.

من هو الإمام بالسنة اليوم؟!:

ولقد أصبح سلوك الأمة مع سنة النبي ﷺ اليوم أبعد ما يكون عن الغاية التي بُعث بها صاحب الرسالة ﷺ.... فالسنة أصبحت هي ثروة علمية .. ومناهج تعليمية ... وأصبح الإمام بالسنة هو الأكثر حفظًا، والأكثر فهمًا تقليديًا، والأكثر جمعًا، والأكثر معرفةً بحلِّ إشكالات الروايات والمرويات، وهكذا أهل الفقه، وقبلهم أهل التفسير ... ولا حول ولا قوة إلا بالله!

فالأمة اليوم ما عادت تحتاج إلى مزيد أبحاث ودراسات وتفرجات وإبداعات في التنظير، ولا إلى مزيدٍ من التركيز على الروايات نفسها ... والعالم الآخر ما عاد يأبه إلى مزيد من المثالية، ولا إلى مزيد استعراض الدعاوى، فكثيرًا ما يقول بعض الغربيين: ما رأينا أحسن من المسلمين باستعراض النظريات عن دينهم، ولا أكثر من مخالفتهم لما يزعمون!

ولا شيء يمكن أن يشبع هؤلاء وهؤلاء، ويقنع هؤلاء وهؤلاء، إلا أن نبلغ بالسنة غايتها ... فهذا الفراغ ما نشأ إلا حينما توقفنا عند الوسيلة .. وعدنا اليوم ثانية ومن جديد إلى الوسيلة أيضًا .. فكأننا وبعد ما انتهينا من جمع السنة وضبطنا حفظها ضبطاً هو المنتهى في كتاب عدنا إلى تعديلٍ في زخرفة إطار الكتاب، ونعدّل فيه ونعدّل عليه ولا نزال. ولا حول ولا قوة إلا بالله، فسبحان الله كيف تجاوز العالم كله مشكلة الحفظ بما فتح الله على العالم بالاختراعات الحديثة!. فعلى قرصٍ واحدٍ تحفظ مكتبة عظيمة بكاملها، وبضغطة زر واحد تعيد السنة محفوظة كما رويت ... فلماذا الإصرار على هذا النوع من الحفظ وذهاب أعمار وجهود وأموال وتأخير بلوغ الغايات، وتأخير إنشاء الرجال وإعادة الأمة ذلك أنه طال انتظار أئمة السنة على مستوى دين الله ودعوة الله، والقيادة والقُدوة، وسوف يطول حتى يبلغوا الغاية بعد ما

يخرجون من بين الأسطر والكتب، والورقة والقرطاس، وقد منَّ الله على الدنيا بهذه السنة العظمى، فإن العالم اليوم عاد وانتكس في مشكلات هي أضعاف أضعاف ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى وهو يريد حلاً.. وكل واحد في هذا العالم أصبح لديه من المشكلات التي تولد مشكلات بحيث يُمسي عليها ويُصبح على أضعافها وهكذا...!

الحل: بخروج رسول الله ﷺ: مفكرو العالم مثل أينشتاين يقولون: [لو كان محمد ﷺ حياً لحلَّ كل مشكلاته في جلسة واحدة]، **وسواء صحَّت نسبة هذه المقولة له أم لم تصح، فأنا - والله - مؤمن بهذا تماماً وعن قناعة، إيماناً بكل تفصيلات المشكلات الموجودة والقادمة، وليس هو الإيذان الإجمالي فقط.**

والسؤال هو: إذا فلماذا لا نترك رسول الله ﷺ يُخْرِج لهذا العالم ليحلَّ له مشكلاته؟ أم يبقى هذا حلماً محالاً على التحقق؟!

أليس رسول الله ﷺ «حق»... إذا لم يأت الحق وإن مات صاحبه؟! أليس لهذه المشكلات العالمية من حلِّ لها.. أوليس لها من حق يحل كل مشكلاتها المعاصرة التي غرقت فيها.. ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، ألم يقرأ النبي ﷺ وهو يدخل المسجد الحرام ويحطُّم الآلهة بعُودٍ في يده: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]؟! فإن الغاية التي بعث الله بها رسوله ﷺ هي أول ما نستفتح بها كل مجالسنا وخطبنا؛ إنه هو [الهدى]، فكان يقول ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا

هَادِي لَهٗ»^١، «وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ»^٢، والهدْي من الهدْي والهداية. فالهدْي والهداية والاهتداء هي غايته وليس البحث العلمي لأجل البحث العلمي، وتعلُّم السنة للعلم بالسنة، وحفظ السنة لحفظ السنة وبعد ذلك تحفيظها، وهكذا دواليك! فإذا ما امتدَّ الأمر فهو السير على نفس حُطَى المسيرة؛ أي هو الدوران في المربع الأول مربع الحفظ دون إكمال خطوة واحدة جديدة إلى الأمام نحو تحقيق الهدف، ألم يقل رسول الله ﷺ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^٣، أين تفعيل هذا العلم؟! إلى متى ونحن إذا انتقلنا فننتقل إلى أن نحولَّ هذا إلى منهج يسير إلى هذه الغاية؛ العلم للعلم؟! ثم يعود إلى النقطة الأولى وهكذا! فنحن ندور في حلقة مفرغة، ونراوح في مواضعنا ونحن لا زلنا على هذا منذ زمن بعيد ... بينما مرحلة الحفظ الأولى قد قام بها الأوائل أحسن قيام، بل قاموا بالعمل والتطبيق وطاعة الرسول ﷺ والتأسي به وحمل هديه للعالمين أحسن قيام، وما كان حفظ السنة عائقًا عن الغايات مطلقًا فرضي الله عنهم ورحمهم.

كيف السبيل إلى النقلة النوعية؟:

وهنا من حَقِّك أن تقول: إن هذا كلام جميل لكنه نظري، وأخشى أن لا يتجاوز جماله هذه المقدمة ولا يصل إلى هدي رسول الله ﷺ، فكيف هو السبيل نحو هذه النقلة النوعية العظيمة في تلقي سنة النبي ﷺ، وفي القيام بها، والقيام لها، وإقامتها؟ كيف نستطيع تفعيل هذا العلم النظري وهذا الكنز العظيم الذي حفظناه بفضل الله تعالى إلى حياة...؟

١ أخرجه ابن ماجه (١٨٩٢)، وصححه الألباني.

٢ أخرجه البخاري (٧٢٧٧).

٣ أخرجه الترمذي (٢٦٥٧) واللفظ له، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (٤١٥٧)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

لا والله ما هو بالعلم النظري أساسًا، ولا هو بالعلم الذي يحتاج إلى إحالة منا إلى أن يصبح علمًا عمليًا، نعم هو علم ولكنه هو في أساسه علم عملي .. علمٌ جاء لواقع، وغيَّر واقعًا، وصنع واقعًا جديدًا، وحلَّ كل ما في الواقع القديم من إشكالات، وأزال كل ما فيه من ظلمات، ولم تقف في وجهه كل الجاهليات مجتمعة ولا منفردة فهزمها جميعًا .. وما ذلك إلا لأن صاحب الحق هو رسول الله ﷺ والذي نشهد ونقول: [وأنَّ محمدًا حق]، وأتَى لمعرفة نظرية ذهنية أن تزيل واقعًا أجمع عليه العالم كله، وعمل به العالم كله آنذاك؟!!

إن هذا المنهج يجعلنا نعيد النظر فيما ظننا اليوم أنها مُسلَّمات .. وهي والله مُسلَّمات ولكن ليس بفهمنا لها اليوم .. ففهمنا لها هو الخطيئة لأنه حَصَرَها في الإطار المعرفي .. الإطار النظري .. الإطار الروائي ... وهذا هو ما تبقى من رسول الله ﷺ! اللهم إلا أذكركم نرددها في وقتها ووردها، ومحفوظات نحفظها، وسنن فردية تعبدية ننشرها، وبهذا حصر كل ما جاء به رسول الله ﷺ .. وبهذا حوصر كون [أنَّ محمدًا حق]؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فماذا تعني كلمة السُّنة: أليست هي الطريقة؟! فهل الطريقة هي معلومات نظرية معرفية؟! أم أنها طريقة تفكير فحسب؟! أم هي طريقة حياة بأكملها .. وهي صراط مستقيم .. وإنما كذلك، لكن المشكلة الكبرى ليست في هذا المنهج ولا ذاك إنما هي أن جعل المنهج المعرفي المجرد هو ما أقيمت عليه دور العلم، وصودر المنهج الأول وألغي حتى لم يعد له اليوم ذكر ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ

وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبَعُوا الْتَوْرَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝١٠﴾ [التوبة: ١٢٠]، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

إذا فلنقف الآن في مواجهة هذه الحياة ... بسنة النبي ﷺ الذي نعرفه، وأنه ﷺ الآن قادر على حلِّ مشكلات الحياة العالمية والإسلامية؟!!

فهل لو كان رسول الله ﷺ حياً لحلِّ مشكلات العالم كله أم لا؟! بلى والله، وفي لمح البصر. إذاً فمن أين جاء هذا الفارق الهائل .. الفارق العظيم ما بين [أن محمداً حق] وبين أن سنة محمد ﷺ سنة نظرية معرفية فحسب؟!!

ولننظر ثانية ونعيد النظر في مصطلح آخر وهو [الأسوة] برسول الله ﷺ؛ أليس الأسوة مأخوذ من مادة (أ س و) التي تدل على المداواة والإصلاح، ويقال: أسوتُ الجرح أسوه أسواً أي داوَيْتُهُ، ولذلك يُسمَّى الطبيب الآسي، فهل سنة النبي ﷺ بالطريقة المعرفية اليوم قادرة على مداواة مشكلات أمة محمد ﷺ ومداواة جروحها ووقف نزيفها .. أقصد

بعلمها المعرفي المجرد المعروف الذي ما بقي منه إلا شعاره ومرويات كريمة لا نصيب لها في الواقع؟! الجواب: قطعاً لا؛ وهكذا نقول في مصطلح «القدوة».

ولننظر في غاية الله ﷻ من بعثة الرسول ﷺ هل هي تعليمية تثقيفية، ومرويات تعليم للحفظ والرواية .. أم أن هذه وسائل توصل إلى تحقق طاعة الله ﷻ طاعته هو ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥١﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذٰهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إنها الطاعة العامة المطلقة .. الطاعة الشاملة .. الطاعة الواجبة التي لا خيار فيها

للإنسان إلا إذا خيرته رسول الله ﷺ ... هذا هو الحق الذي يزهد الباطل.

حاشا لله ﷻ أن يتركنا على ضلالة، أو جهالة، أو يموت الحق مع موت رسوله ﷺ.
هذا ورسول الله ﷺ يُشهِدُ الله ﷻ في حجة الوداع فيقول: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ،
قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، إي والله بلغت يا رسول الله، إي والله تركتنا على المحجَّة البيضاء ولن
تمحى أبد الأبدین، لكن انتزع زمام قيادة سنتك الكريمة الذين غلبوا على أمرها فاقتادوها إلى
حيث أراد منهم الذين غلبوا على أمرهم .. فنزعوا منها روحها، ونزعوا منها قدسيتها، وأزالوا
حياتها وفعاليتها في الحياة وحيويتها ... وأعادوا قراطيس، فهي لا تزال جاهلية ولا تحل
مشكلة، ولا تنشئ حياة صالحة! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مسجد يسع الأرض ورسول الله ﷺ خطيبه:

لو أن خطيباً مبدعاً قام في مسجد المنطقة الجامع خطيباً .. وهو **يَعْرِفُ** أهل منطقته جميعاً ... بل يعرف أبناءهم وأهلهم، فخطبهم خطبة عامة عصماء، وهو يريد أن يبلغ رسالة لكل أهل المنطقة، وبعدهما انتهى من خطبته جاءه الصغار، فقالوا له: يا شيخنا، إنك نسيتنا فلم تشر إلينا أي إشارة، وجاءه الفتيان وقالوا له: يا شيخنا، إنك غفلت عنا فلم توصنا بأي وصية، وجاءته النسوة وقلن: إنك لم تبين مالنا وما علينا؟!

أيصح أن نسمي هذه الخطبة خطبة كاملة، وأن هذا الخطيب خطيب ناجح، وأنه يستحق أن يتحمل أمانة منبر رسول الله ﷺ؟!

إن رسول الله ﷺ مع أمته كلها من أولها إلى آخرها في تبليغ رسالته كمثل الخطيب **جمع** **اللهُ الأُمَّةَ كلها له** ... فكل الأمة حضور في المسجد، ورسول الله ﷺ قائم فيهم يخطب، فهل تراه ﷺ سوف يغفل عن فريق منهم، أو ينسى صنفاً، أو يهمل أحداً ولو كان صغيراً، ولو كان جينياً في بطن أمه؟!

ووالله إن الأمر عند رسول الله ﷺ هو أهون عليه من مسجد خطيب المنطقة هذا على خطيبهم .. والأمة حاضرة بين عينيه ﷺ أكثر من حضور أهل هذه المنطقة بين عيني خطيبها هذا، بل ومخاطبته لكل واحدٍ، وكل فريق، وكل جمع، وكل أمته مجتمع أكثر من مخاطبة هذا الخطيب لأهل منطقته أفراداً وجماعات، بل وتنبهه وإشاراته لكل من حضر مسجده العظيم هذا وكل أمته فيه أكبر بما لا يمكن إحصاءه من تنبيهات وإشارات وموقظات يذكرها هذا الخطيب ومن هو أحسن منه .. بل الأمر أسهل عليه ﷺ من هذا، ذلك أن مثال هذا الجامع

الكبير الذي يسع الأرض كلها في وقت هو واحد إنها هو بعض ما آتاه الله ﷺ رسوله ﷺ من خصائص، ومنها تلك الخاصية الفذة المفردة عن كل من سواه من الخلق .. ألا إنها خاصية جوامع الكلم.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتَصِرَ لِي اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أُتَيْتُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، فَلَا تَتَهَوَّكُوا، وَلَا يَغْرَبْكُمْ الْمُتَهَوِّكُونَ»^١.

فجوامع الكلم لم تجمع لأحدٍ مطلقًا إلا لرسول الله ﷺ، وخواتيمه جعله عنده كذلك إحكامه وإحكام ختامه فلا مزيد على كلامه ولا ملاحظة، فهو كما قلنا لن ينسى أحدًا من أمته، ولن يغفل، ولن يتخطى أحدًا غفلة ولا إشكالًا من أحدٍ عن هذا أو ذاك.

فلمن جوامع الكلم هذه؟! الجواب في أول الحديث وهم الذين ناداهم النبي ﷺ وهم الناس فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ».

فجوامع الكلم لكم جميعًا أيها الناس من **حَضَرَ** منكم ومن غاب، من كان في عهده ﷺ، وكل من جاء بعده ﷺ إلى يوم القيامة.

فهل نرى رب العالم يكلفه ثم لا يؤهله لما كلفه به، وهل ترى الله يأمر بإبلاغ رسالته للناس كافة، ثم هو لا يعطيه وسيلة الإبلاغ الواضحة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

١ أخرج أبو يعلى كما في ((مجمع الزوائد)) للهيتمي (١٨٢/١) واللفظ له، وقال: فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ، ضَعَفَهُ أَحْمَدُ وَجَمَاعَةٌ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي ((تفسيره)) (١٢١٤١)، والعقبلي في ((الضعفاء الكبير)) (٢١/٢).

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [الأعراف: ١٥٨].

ولما أن أعطاه الله ﷻ جوامع الكلم فلقد أعطاه شيئاً آخر هو من مزاياه العظمى على جميع الأنبياء والمرسلين ﷺ، ألا وهو أن جعل معجزته الوحي، وسنته ﷺ وحي؛ فإن القرآن العظيم وحي أوحاه الله ﷻ، وقد صحَّح في الحديث: «وإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١، وهذا الذي ضمن البقاء - بإذن الله - إلى يوم القيامة، كما أنه الذي ضمن الحياة والحيوية في هديه ﷻ، فهديه يحيي الأحياء ويبعث الموتى .. ولكن ها هي أمته كأمة ميتة لا وجود لها كأمة، ولا اسم لها في دواوين الأمم، ولا مؤسساتها العالمية، فهي أولى الناس بتدبر ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ هنا، وهي أول من يقصدهم من بين الناس في ندائه هنا ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، وهي إذا ما استجابت كأمة لندائه ووعت ما يريد منها بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ولبتت، فأبشر فقد أقبل الناس.

فكلامه الكريم ﷻ بطبعه الذي طبعه إياه بقدرته، وختمه الذي ختمه به ربه ﷻ يجمع كل الأمة من غير استثناء بكلامه، وكأنها أمام عينيه يراها ويخاطبها .. وما الغريب في هذا إذا كان الذي أعطاه هذه الخاصية رب العالمين، وجعلها في كلامه في شيء اسمه جوامع الكلام .. والله ﷻ مطلع على جميع خلقه في لحظة واحدة، لا يغيب عنه أحد منهم أبداً، مهما بعد مكانهم عن بعضهم، أو بعد زمانهم، ذلك أنه سبحانه هو جمعهم في عرفة حين أخذ منهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم من ظهر أبيهم آدم ﷺ.

١ أخرجه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) باختلاف يسير.

وخاصية أخرى في ذات الكلام هي أنه وحي .. فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ﴾ [سورة النجم].

ولجبريل ﷺ خصائص عظيمة وكبيرة وكثيرة، لكنه سبحانه هنا ذكر عن جبريل ﷺ الذي يوحى إليه، لتربط هذه هذه أحسن الربط بقلب من يتلقى نطقه ﷺ.

فقال الإمام البقاعي رحمه الله وما أحسن ما قال: ﴿ عَلَّمَهُ ﴾ أي: صاحبكم الوحي الذي أتاكم به ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ أفلا تعجبون من هذه البحار الزاخرة التي فأقكم بها وهو أمي فإن معلمه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي: جزم في قوة وقدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به والطاقة لحمله في غير آية النشاط والحدة، كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس، ماض في مراوته على طريقة واحدة، على غاية من الشدة لا توصف، لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به، فهو على غاية الخلوص فهو مجتمع القوى مستحکم الشأن شديد الشكيمة، لا بيان في شيء بزواله، ومن جملة ما أعطى من القوة والقدرة على التشكل، وإلى ذلك كله أشار بما سبب عن هذا من قوله: ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على أكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها.

خذ كل ما ذكر الله ﷻ عن جبريل ﷺ واعرف معانيه جيداً واختتم به كلام رسول الله ﷺ وهديه الكريم العظيم هذا، ثم أضف على ذلك «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ»، وكل ذلك من عند الله ﷻ.

١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/٤٤-٤٥).

هذا هو رسول الله ﷺ وهذا هو دين الله، الذي يريد الله ﷻ منه أن يبلغه للناس كافة، إلى آخر الزمان، مع أنه سوف يقبضه إليه سبحانه بعد ثلاث وعشرين سنة من بعثته له ﷺ، لذا لزم هذا الهدي أن يختم بختم الصلاحية لكل زمان، صلاحية لا يفرق أصحاب زمان عن زمان في تلقي الخطاب منه، وفي فهمه، وفي جديد المعاني المطابقة لجديد العصور وجديد العقول والأفهام .. لا ينقص عن عصر النزول إلا شرف وجوده ﷺ وشرف صحبته وكفاها شرفاً .

ومن عجيب ما قاله الإمام البقاعي ربه، حتى ظننت وأنا أقرأ في بعض كلماته التي يعبر فيها عن بعض معاني كلمات الله أن هذا الإمام يُلهم بعض المعاني إلهامًا، وربما لم يكن يعلم حقيقة المعاني التي أكدها، وما هذا إلا من الله ﷻ، وهذا والله كثير في كلامه، وكم بين ما قلنا أنفاً من أن كلامه لأهل العصور جميعاً كأنه على نفس المستوى، اللهم إلا أن للأولين شرف الصحبة ﷺ ... **فتأمل ماذا قال الإمام البقاعي عن جبريل عليه السلام عند ذكر الله له سبحانه بقوله:**

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۙ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۙ ﴾ [سورة النجم]، **فقال: ﴿ فَتَدَلَّى ۙ ﴾ أي:**

عقب ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم، أي: أنزل إليه نزولا هو فيه كالمتدلي إليه بحبل فوصل إليه ولم ينفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من القوة والاستحكام.

وهكذا فرسول الله ﷺ بقي في عصره الذي بعثه الله فيه، لكنه موجود معنا بهديه كالمتدلي إلى كل العصور من غير أن ينفصل عن عصره. فسبحان الله العظيم.

العالم المعاصر ومشكلاته كلها بين يدي رسول الله ﷺ

هل سنجد أن رسول الله ﷺ هنا هو القاضي الذي يقضي في كل قضية تُرفع إليه، فيقول في نهاية الأمر هذا هو الحكم .. وهذا ما لك أنت، وهذا ما عليك أنت؟! أم سنجد رسول الله ﷺ المستشار الذي يعرض استشارته لمن طلبها؟ أم هو الحاكم الذي يقود البلاد والعباد ... وحدوده بحدود جغرافية بلده؟! أم هو المعلم الذي له منهج تعليمي يريد أن يُعلّمه ثم يمضي؟! أم هو الحكيم المنعزل الذي يستشير به الناس فيعطي رأيه بناءً على تجربته العميقة، ودراساته الماضية، وفراسته في المستقبل؟!!

لا ليس رسول الله ﷺ هذا ولا ذاك، وإنما هو رسول الله ﷺ الذي آتاه الله الكتاب

والحكمة، رسول الله الذي قال الله ﷻ عن مهمته: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢﴾ [الجمعة: ٢]، وقال سبحانه عن مساحته دعوته الجغرافية والزمنية معاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

هو رسول الله ﷺ الذي قال الله له: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بِمَجْنُونٍ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ١-٤].

وهو ﷺ من بلغه رب العالمين مقامًا لا يمكن تصوّره أبدًا: ﴿وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا

ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ١٠ مَا أَوْحَىٰ ١١ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١٢ أَفَتَمْرُونَهُ ١٣ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٤ وَلَقَدْ رَءَاهُ

نَزَلَهُ أُخْرَى ١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ١٥ إِذْ يَعْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى ١٦
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ١٨ ﴿ [النجم: ١-١٨].

وهو ﷺ من قال الله له: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣].

وهو ﷺ من قال الله له: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

وهو من أنزل الله ﷻ عليه كل هذا القرآن .. وأنزل عليه كل هذا الكتاب العظيم ..
وما أدراك ما هذا الكتاب العظيم، وقد قال الله سبحانه له: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٩٧
﴾ [البقرة: ٩٧].

فلنستحضر جيدًا كل هذه الخصائص الفريدة **وغيرها كثير** في كل إجابة من إجابات
هذه الشخصية الفريدة الجامعة لكل العظمة التي ذكرها الله ﷻ عنها، وأن كل ما رأيت آنفًا
من الآيات وغير ذلك عن رسول الله ﷺ كثير، وكل ما ذكرت لك عن تعريف رسول الله ﷺ
وغير ذلك كثير هو مجتمع في شخص رسول الله ﷺ، وهو معين كل جواب من الأجوبة،
وأنتك مهما ترى ما نظره هنا من عظمة الجواب وما احتواه من أسرار، وما فيه لنا نحن اليوم
ولحياتنا وحلول لمشكلاتنا كلها فلا تستغرب ذلك أو تظن أننا بالغنا، عياذاً بالله من هذا الظن!
أم يظن الظان أن كل ما لم يذكره شرَّاح الحديث السابقون ليس واردًا ولا صحيحًا .. كأن

العلماء السابقين جَفَّفُوا بحار رسول الله ﷺ، أو أنهم جمعوا جوامع الكلم وأن عقولهم قد وسعتها واحتوتها حتى تشرَّبَتْها وجفَّفت عيونها فعادت جوامع الكلم آثارًا وأطلالاً! أو أن عصرًا من العصور قد وسع ما جاء به رسول الله ﷺ وبقيت كل العصور من بعده عالية على عصرٍ واحدٍ. أو أن جواب النبي ﷺ مختص بصورة السؤال الذي عُرض عليه، أو بالإشكال الذي وقع فيه السائل، أو أنه ﷺ إنما حلَّ مشكلات الجاهلية الأولى فقط أما العصور القادمة بعده فلا دخل له بها...!

أم يظن الظان منا أن ما ذكره الرسول ﷺ يتوقف عند حدود عصرنا هذا؟! وأنا قد جففنا - والعياذ بالله - ما بقي من بحور سنته ﷺ؟! لا والله؛ فلسوف يجد آخر مسلم في هذه الدنيا على هذه الأرض إنقاذًا له وشفاءً.

إِذَا فَإِنْ كَلَّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مِنْ خِصَائِصٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا ذَكَرَ مِنْ عِظْمَةٍ بِكُلِّ صُورِهَا... كُلُّ ذَلِكَ تَمَثَّلَ فِي كُلِّ جَوَابٍ مِنْ أَجْوِبَتِهِ ﷺ، وَفِي كُلِّ حَلٍّ مِنْ حُلُولِهِ الَّتِي يَذْكُرُهَا، فَتَقُولُ: أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ يَبْلُغُ جَوَابِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ؟ أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الدَّقَّةِ، وَالْإِحَاطَةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالْبَقَاءِ سَيَكُونُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَأَنَّهُ حَيٌّ وَيُحْيِينَا؟! أَقُولُ: إِي وَاللَّهِ.

سنجد في هذا الكتاب العجب العجاب من جواب رسول الله ﷺ.

هنا سنجد رسول الله ﷺ سراجًا منيرًا لحياتنا كما كان في حياته، كما قال رب العالمين سبحانه له: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ۗ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فكونه سراجًا منيرًا فإنه لم ينطفئ أبدًا بموته، ولن

ينطفئ أبداً أبد الدهر ... ولن يكون السراج المنير أنفع للخلق منه ﷺ للذين في عهده والذين من بعده إلى يوم القيامة ...

فلتطمئن قلوبنا إلى أن كل ما يقوله رسول الله ﷺ هو لنا نحن مثلما هو لهم، وإنه حين يقوله فإنه يقصدنا في نفس الوقت الذي يقصدهم، لكنه لنا بزيادة من الإعجاز الغيبي؛ فإن من سمع جواب النبي ﷺ للسائل أو للحل للمتمشك في مشكلة لا شك أنه يعجب لأمر كثيرة وهو يأخذها ويعمل بها في نفس الوقت الذي أجابه به النبي ﷺ، وهذا أمر طبيعي من رسول الله ﷺ ومن أصحابه رضي الله عنهم ...

فإن في كل جواب من أجوبته ﷺ أو توجيهه، أو نصيحة هو أنه يقصدنا نحن، وأنه لم يفته هذا مرة واحدة! فهل يمكن أن يتصور هذا بشر في ذلك الوقت أو في هذا الوقت ممن لا يؤمنون بأنه رسول الله ولا يؤمنون بالغيبي، أو يمكن أن يتصوره أي عالم من العلماء في التاريخ كله، أو أي عبقر من عباقرة العالم؟!

ولهذا كان هذا الإعجاز كافياً لأن يؤمن عليه البشر جميعاً، ذلك أنه قطعاً من الوحي الذي أوحاه الله لرسوله ﷺ، والذي قال فيه: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَخِيَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

وهذا ما أرجو الله تعالى أن يعينني لأظهره في كل هديه المبارك ﷺ ... فهذا هو حياة النبي ﷺ بيننا وذلك بحياة هديه، فهذا هو نور السراج المنير ... وهل للشمس من حياة إذا

١ أخرجه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) باختلاف يسير.

طُمس نورها إلى الأبد، وهل للبحر من حياة إذا جفَّ ماؤه أو تجمَّد فتجمَّدت أحياءه، وغارت لآلئه وكائناته، هكذا هو الأمر بالنسبة لهدي النبي ﷺ، بل هديه أعظم، فمع أن ذهاب الشمس أو القمر عنا بعض الوقت لا يعني موتها ولا ذهابها لأنها سوف يعودان بعد ساعات إلينا، فإن حياة النبي ﷺ بيننا حاضرة لا تغيب ولا تغرب حتى ولا للحظة واحدة أبدًا بنورها، ودفئها، وبعثها للحياة والأحياء في كل لحظة، بل هي هذه الحياة التي تتوقف عليها الحياة، ويعمُّ بدونها الموات الأرض كلها.

هذا ليس مما يسمونه تصوُّفًا أو روحانية أو هو أمر خاص بالمسلمين ... لا؛ بل هو هدي من أوحى إليه ليحل كل مشكلة من مشكلاتنا، ويمنع أسباب الموت عن الحياة، ويمدُّ الحياة الجديدة بما يناسبها من ماءٍ ونورٍ وهواءٍ وعناصر غذائية لتعيش عليها، ووقاية نحتمي بها من الآفات، فيشتد ساقها وتقوى وتُزهر وتُثمر، ثم تبذر بذرها للحياة، وتمدُّ الحياة بفسائلها الجديدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول القائل: لكن هل تعتقد أن المشكلات التي حلَّها النبي ﷺ في عصره كافية لحل مشكلات العصور من بعده كلها مع مشكلاتنا المعاصرة كذلك، كيف والعالم لا يزال في تنوعٍ، واتساعٍ، واختلافٍ عظيمٍ!؟

سوف تذكُر جيدًا كل ما قاله الله ﷻ عن رسول الله ﷺ، سوف تذكُر هنا قول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والله أعلم بأن رسوله ﷺ أعلم بكل ما يواجهه، وأعلم بشأن كل الأمم، وأعلم بما يستمد منه علاجه على مستوى الزمن إلى يوم القيامة ... فالله هو مُعلِّمه ﷻ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ

عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ [النساء: ١١٣]، فجوابه يجمع الأزمان في كل مسألة ... وإلا لم وهبه ربه
ﷺ «جوامع الكلم»، وقد قال ﷺ كما في الحديث: «أوتيتُ جوامعَ الكلم»^١.

لا بد للمجتمع الأول وهو القدوة أن يبقى قدوة إلى الأبد:

أليس هو المجتمع الذي أنزل الله عليه كلامه الكريم ... وكلامه - سبحانه - باقٍ؟!
أليس هو المجتمع الذي نفذ فيه هدي رسول الله ﷺ ونوره، وعلمه، وعمله .. فكان هؤلاء
ﷺ هم مراد الله له، وهم تُربته الخصبة، وشجرته الباقية ﷺ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطْرَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ [الفتح: ٢٩].

ولربما عاودك سؤال عند بيان كل حديث من الأحاديث، وبيان كيف أن رسول الله

ﷺ كان يقصدنا؟!!

وسبحان الله فهنا تذهب كل غرابة وأنت تنظر في الصحابة ﷺ وما جاؤوا به إلى النبي

ﷺ سائلين، أو شاكين، أو مختلفين، أو طالبي علم، أو مستنصحين ... وفي كل مسائلهم
فَعِنْدَهَا تَدْرِكُ حَقًّا أَنْ الْأَمْرَ لَيْسَ أَمْرَ بَشَرٍ، وَلَا هُوَ إِعْدَادُ بَشَرٍ، وَلَا هِيَ مِصَادِفَاتُ بَشَرٍ، إِنَّمَا
هُوَ خَلْقُ اللَّهِ ... بَعْلَمَ اللَّهُ ... وَحُكْمَ اللَّهِ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ [الملك: ١٤]، وقال - سبحانه - : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا

١ رواه مسلم (٥٢٣).

يَحْكُمُونَ ، ﴿ [العنكبوت: ٤] سيعلمون حقًا ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿ [الأنعام: ٣٨] سيعلمون أن الرسالة لنا في هذا العصر كما هي لهم حقيقة، وأن الله - سبحانه - هو من اختار هؤلاء اختيارًا لرسوله ﷺ كما اختار رسوله ﷺ للعالم كله في عمر الدنيا الأخير ومراحلها الخاتمة، كما أنه ﷺ اختار أصحابه سبحانه له اختيارًا عن علم ورعاية ولطفٍ ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴿ [الأنعام: ١٢٤].

لقد أراد الله رب العالمين لهؤلاء الصحب المختارين أن يكونوا هم طليعة هذه الأمة، وليكونوا خير ممثلين عن أمتهم إلى آخر الدنيا بكل تفاصيلها دون أن يعلموا بالتفاصيل القادمة من بعدهم، لكن الله ﷻ هو من يعلم سبحانه .. وهو من جعل في جواب النبي ﷺ وهديه في كل مسألة هداية لكل مهتدٍ وطالب هدى من بعده كما هم في عهده على حد سواء وإلى يوم القيامة، بل جعل الله ﷻ للذين من بعده في هديه أعظم من الإعجاز مما جعل في عهده تعويضًا لمن لم يدركه عن رؤيته وصحبته والإيمان به غيبًا دون رؤيته، فكان كل هدي من هديه يُحْمَلُ لمن بعده مع العلم والهدى ما يحمل من الإعجاز كما ذكرنا ذلك قبل قليل ...

لو نظرنا بعين الذي يكاد يرى تصاريف الأقدار - إن صح التعبير - في مجتمع رسول

الله ﷻ، فلسوف تنكشف لنا حقائق عظيمة .. سوف نرى كيف أن الأحداث تسير وفق قدر الله ﷻ لا تحيد قيد شعرة .. وأن الحدث يُسَيَّرُ الحدث الذي بعده .. والموقف يحيل على الذي بعده، حتى تكون مشكلة أو تكون حادثة ما فتقع بين يدي رسول الله ﷻ، وتنتهي إليه، ليقول فيها قوله الجامع بما وهبه الله من جوامع الكلم التي يجتمع فيها حكمه ﷻ الذي خطابه من خلال للأولين والآخرين ولأمتهم أجمعين ... ألم يقل الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿

[النجم: ٤]، هكذا بكل شيء، ولكل زمان ومكان ... فيا مَنْ لها لا تعلم من غفلتك هذه بلحظة يا أيها الإنسان اعرف قدرها حقاً ... حين تعرف قدر رسول الله ﷺ حقاً.

وهكذا تجد كل شيء بقدر الله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، كما أنه لكل واحد ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر: ٣٧]، وفي نهاية الأمر كل ذلك مجتمع رسول الله ﷺ بين يدي رسول الله ولسان حال الزمان يقول متمثلاً: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي ﴾ [طه: ٤٠]، فكانت هذه الأحاديث التي بين أيدينا نموذجاً، وكانت سنة النبي ﷺ محلها كذلك حقيقة، وكان بقاؤها لآخر الدهر معجزة شافية كافية ... لا يخرج عنها شيء أبداً.

أرأيت مجرى الأحداث بين يدي الخضر ؑ ليرى موسى ؑ ما يُريه، ثم يقول له في خاتمة المطاف: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، وهكذا كانت قصة اللقاء عند الصخرة بعد تجاوزها هو وغلामه، وهكذا قصة المساكين وإنقاذ سفيتهم، ولقائهما الغلام الذي قتله، وجدار اليتيمين!

هكذا تتدافع الأحداث بالأقدار .. ونحن لا نرى أبعد من لحظتنا الحاضرة.

إن الأحداث هنا ليست هي الفوضى، ولا هي مصادفات مجردة، ولا هي مجرد اجتهادات بشرية .. بل ولا هي القدر المجرد، إنما هو القدر مع الرعاية. إنه اصطناع الله لسيرته اصطناعاً ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١] كيف؟! ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ [طه: ٤٠]، فكيف وهذا رسول الله ﷺ الذي قال الله ﷻ له هذا القرآن العظيم كله .. وقال مما له: ﴿ وَلِئْصَنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

انظر كيف هي تجري الأقدار الأحداث **آنذاك غيوباً مفاجئة، فإنها اليوم** واضحة مكشوفة **لنا نحن أهل هذا الزمان** .. ولا تملك إلا أن تقول: سبحان الله، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم .. ولننظر إلى هذين الحدين فقط:

عَنْ شَكْلِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِكَفِّي فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِي» يَعْنِي فَرْجَهُ^١.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَسْأَلُهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَسْأَلُهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا،

١ رواه الترمذي (٣٤٩٢) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو داود (١٥٥١)، والنسائي (٨/٢٥٥)، والحاكم في المستدرک (١/٥٣٢) - (٥٣٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو في الصحيحة (١٥٤٢).

وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^١.

فإن أي إنسان يُصاب بشيء ما فسوف يجد في هدي رسول الله ﷺ جوابه الشافي وحلاً لمشكلته كلها؛ لأنه يجد في أصحاب رسول الله ﷺ من مثله خير تمثيل فوق أولاً فيما وقع فيه وعاشه وعاش مشكلته حقاً، ثم رفع أمره إلى رسول الله ﷺ فكان الدواء الذي يجمع الجميع على مدى العصور، كما أنه الدواء الفريد الذي كأنه فُصِّل لكل واحدٍ تفصيلاً .. وبعد هذا وبالإضافة لكل هذا ففي هذا للآخرين معجزة.

إياك أن تغلبك صعوبة تصوُّر حقيقة أن رسول الله ﷺ مَعَنَا بهذا التفصيل في كل ما نحتاجه من شئون حياتنا، فإنك سوف تدركه بعد قليل وعند كل مسألة ... وتذكَّر دائماً أن [محمدًا حق] ﷺ ...

ولسوف نَشْهده هنا ﷺ - وكأننا نراه -، ثم نشهد أنه لم يترك شيئاً إلا كان هو إمامه، وأنه ما ترك مشكلة إلا وقد قدَّم لنا حلها مسبقاً، ولا خصومة إلا قدَّم إصلاحها، فهو الذي يواجهه، وهو الذي يوجِّه كل شأن في الحياة رغم اتساع شئونها، وأنه [حق] للأفراد كما هو للدول والأمم .. فالكل سواء في الحاجة إليه ﷺ وإلى هديه ﷺ ...

١ رواه البخاري (٦٤٠٨).

ولا استغراب مطلقاً بعد مرور أي واحد بقليل من حلول النبي ﷺ أن يصل إلى الحقيقة التي تقول: [لو كان رسول الله حياً لحل مشكلات العالم كلها]، لكنني حقاً أستغرب من «أينشتاين» وكيف وصل إلى هذه الحقيقة حين قال: لو كان محمد حياً لحل مشكلات العالم المعاصر كلها وهو يشرب فنجان قهوة].

نعم نحن نؤمن بهذا، لكننا - بإذن الله اليوم - سوف نجمع إلى الإيمان بالغيب مشاهدة هذا الأمر حتى يصبح عندنا - بإذن الله - عين اليقين ...

وهنا أتساءل: فلماذا لا نترك رسول الله ﷺ يحلُّ لنا مشكلاتنا والحل عنده بغير شك؟!

فهنا - بإذن الله - تجد رسول الله ﷺ حيثما التفتت، وحيثما احتجت، وحيثما يممّت، وتجدّه حيثما افتقدت أو فُقدت، تجدّه في كل حالاتك، كما يجده كل واحدٍ سواك في كل حالاته، كما يجده العالم في كل حاجياته ... يجده العالم كله في كل ميدانٍ أمامه ... تجدّه في المشكلات الواقعة، وتجدّه في المشكلات المتوقعة، فأما الأولى فتحلها، وأما الثانية فتتقيها.

لهذا تقول: كم يخسر العالم إذا عدّ رسول الله ﷺ ميتاً من الأموات المنقطعين عن الحياة

والأحياء؟!

وهذا لا ينحصر في موضوع واحد، بل هو في كل موضوع موجود، وهو إمامه الذي لا معقب لإمامته مطلقاً .. إذاً هو إمام كل موضوع.

نجدّه هنا يقضي لنا وقضاؤه الفصل، ونجدّه يعظنا ولا واعظ مثله، ونجدّه خير قائد

لنا، وهنا يجده الأئمة إمامهم، فهو لكل واحد إمام، وفي كل ميدان هو الإمام.

مجده ﷺ أمامه إذ هو إمام الناس هنا وهو يوجّه، مجده القائد وهو يقود، ومجده الناصح الصادق وهو ينصح، ومجده الواعظ وهو يعظ، ومجده المُعلِّم وهو يُعلِّم، ومجده الإمام وهو يؤمُّ، ومجده العابد وهو يتعبّد، ومجده كل متعامل وهو يتعامل مع الناس، وهكذا من يبيع ويشترى، ومن يقضي ومن يستدين، ومن يرتهن، ومن يأمر بالمعروف ومن ينهى عن المنكر، ومن يدعو إلى الله، ومن يحجُّ، ومن يحاجج، ومن يحكم، ومن يعاهد ويضع بنود المعاهدات، ومن يعايش أهله، ومن يُشير أو يستشير صحبه، ومن يشفع أو يستشفع، ومن يرحم، ومن يخشع، ومن يهاجر من بلده، ومن يأمر أصحابه بالهجرة، ومن يواجه خبر وفاة ولده وخبر وفاة بعض أحفاده، ووفاة عمه وسبعين من أعزّ صحبه، ومن يفرح، ومن يغضب، ومن يحزن، ومن يتفاعل، ومن يبكي ... وهكذا، فهو الإمام المطلق كما أنه الإمام الحاضر في كل وقتٍ وحينٍ ﷺ.

وإذا جمعنا كل هؤلاء، وجمعنا كل من لم نذكر، وجمعنا كل مشكلاتهم جميعاً، فسنجدها أكواماً لا حصر لها، وسنجد أن رسول الله ﷺ قد حلّها جميعاً.

ربما يقول قائل: وأين المشكلة التي حلها النبي ﷺ في أبواب الذكر، أين المشكلة في

أبواب الأدعية والابتهاال، أو أذكار الاستفتاح في الصلاة، وما إلى ذلك؟

والجواب: وهل من مشكلة واجهتها البشرية مثل مشكلة قطع الطريق المباشر إلى الله

؟! وهل من طريق غير مباشر يوصل العباد برهم ﷺ؟! وهل من طريق فيه من الشرك بالله

مثل طريق الدعاء؟! وهل عالج الأنبياء ﷺ وقتل من قُتل منهم إلا لتطهير الطريق إلى الله من

الشرك بالله؟! وهل نزل الهلاك والعذاب والدمار على الهالكين إلا لإصرارهم على الشرك بالله

في عباداتهم وابتهاالهم، وما إلى ذلك؟!

لكن وفوق هذا فإن كل حديث ورد عن النبي ﷺ إنما حلَّ مشكلة هي في هذا الإطار بل أكثر وأبعد وأوفى وأدق؛ أي أكثر تفصيلاً.. وما من حديث يغني عن حديث آخر.

فإن المشكلة الحققة بالنسبة للمسلمين وخصوصاً في هذا الزمن البعيد الأمد بالزمان إنما هي مشكلة القلوب .. وهي أعظم المشكلات، فهي مشكلة شرود القلب عند ما لاقاه الله ﷻ، ومشكلة الغياب عند لزوم الحضور، إذ حلَّ رسول الله ﷺ الابتهاال إذ لم يكن الابتهاال إلى الله وحده، بل كان شركاً بالله، وهذه هي المشكلة التي هي أكبر المشكلات الحقيقية، ولم يكن مجرد ابتهاالات تحفظ للدعاء وللتنوت وما إلى ذلك ..

وإذا ما اكتشفنا أن هذا المنهج - منهج حل المشكلة - قد شمل حتى باب الابتهاال إلى الله وما ورد فيها فهو يشمل بغير شك جميع الأبواب الأخرى مثل باب الاستغاثة وباب الضراعة، وباب التدبُّر، والتفاؤل، والتفكُّر، وباب الحمد، والخشوع، والخشية، والخوف من الله، والضراعة والتضرُّع، ومعرفة الله ﷻ.

ومع هذا فإن هذا هو المفتاح العام لجميع الأبواب النظرية، ويريك حقيقة العملية، ولكن يبقى أن نفهم ونؤكد أن لكل باب منها عنوانه وهو مفتاحه المستقل، كما يبقى لكل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ خزائنه العظيمة والتي أصبحت الآن - بإذن الله - مفتاحه بإذن الله وفضله، فتوكل على الله وانطلق فإن النور - بإذن الله - في كل مرة أمامك سوف ينفلق.

أي العصور أعظم حاجة لرسول الله ﷺ؟

يا رب إنك تعلم أن العصور كلها لو عرضت على رسول الله ﷺ لما قَدَّمَ أحدًا علينا برأفته، وبرحمته، وبحنوه، وحنانه .. أليس هو من قلت عنه - وقولك الحق -: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ونحن في هذا الزمان الأشد حاجة .. فكيف لا نرى نحن أنفسنا في خطابه وحديثه، وهو الذي قصدنا بذلك .. ولا والله ما أهملنا، فهل نستيقظ؟!!

يا رب إنك قد جعلت رسولك ﷺ لنا - نحن أمته - مثل الأب ونحن أبناءه؛ كما قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ»^١.

فهل إذا رأى الأب أبناءه جميعًا كلُّ يحمل زاده لأهله ونفسه، وآخرون يراوحون في راحة وسعادة ما بين بيوتك الكريمة وبين حلق تحفيظ القرآن وحلق العلم والذكر .. فمن يقدِّم أبناء تلك العصور، أم يقدِّمنا نحن - الواقفين في العراء - وهم يقبضون على الجمر بأيديهم الحاسرة؟!!

فكيف يظن بعض عبادك أن رسول الله ﷺ لم يَخَصَّنَا في سُنَّتِهِ، وهو مَنْ أخبرنا بأننا نحن القابضون على الجمر، أليس مَنْ ظَنَّ غير هذا الظنَّ فقد ظَنَّ ظنَّ السوء؟!!

يا رب لقد عَجَّلَ رسولك ﷺ صلاته، إذ هو واقف بين يديك، **لِمَا جَعَلْتَ** في قلبه من عظيم الرحمة، وذلك حينما سمع بكاء صغير رحمة منه ﷺ بأمه ... فماذا؟

أفيظن الظانون أن رسول الله ﷺ علم بنا، وعلم بأن ما من أمة باكية **في هذا الزمان** في الدنيا مثل أمته، ما من أطفال أمته يصرخون جوعًا وبردًا وتشريدًا أكثر من أبناء أمته، ما من

١ رواه أبو داود (٨)، وحسنه الألباني.

أمة ابتلعت أبناءها البحار، والتهمتهم الأسماك، وماتوا غرقاً، أكثر من أبناء أمته .. ما من مشردين في العراء أُخرجوا من ديارهم وأمواهم مثل أبناء أمته وهم أبناؤه

يا رب ألم يخبرنا رسولك ﷺ بارتخاء النظام الجامع لهذه الأمة، وانفراط شعوبها شعباً شعباً، وتركها كتابك الكريم واتخاذ مهجوراً، وارتخائها بترك حدوده، وما كان هذا إلا من مائة عام فقط، وذلك حين سقطت الخلافة عام ١٩٢٤ م.

عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةٌ سَنَةٍ»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ لِدَلِّكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ. الْحُسْفُ وَالرَّجْفُ، وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلَّبَةِ عَلَى النَّاسِ»^٢.

فهل مرّ في تاريخ الإسلام كله من أول خلافة حتى آخر خلافة مأساة على الأمة أعظم مما نحن فيه اليوم؟!!

وإذا كان كل المسلمين في كل العصور يجدون على الخير أعواناً، فإننا اليوم لا نطمح أن نجد على الخير أعواناً، بل نطمح من ربنا سبحانه أن يكفيننا شرّ الأشرار.

١ المجلبة: المجتمعمة.

٢ أخرجه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم (٨٢٩٣) بلفظ: «مَا مُدَّةُ رَجَاءِ أُمَّتِكَ؟»، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ، وَلَمْ يُجْرَجْ، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الرِّوَايَاتِ (٩/٨) رَقْم (١٢٥٨٥)، وَقَالَ: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ بَرِيدُ بْنُ سَعْدٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ، وَصَحَّحَهُ خَالِدُ سَعِيدِ الْغَامِدي فِي كِتَابِهِ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ ص (٣٦٩) رَقْم (١٩٦).

ثم لا يخصنا بأحاديث!

أو ليس هو ﷺ من أخبر بكل هذا وأدق من هذا؛ فقال في أحاديث عديدة .. أليس

هو

عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجُهْلُ، وَيَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ»، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ^١.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُونَ فِيهِ الرَّبَّاءَ»، قَالَ: قِيلَ لَهُ: النَّاسُ كُلُّهُمْ؟ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ مِنْهُمْ، نَالَهُ مِنْ عُبَارِهِ»^٣.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^٤.

١ أخرجه البخاري (٧٠٦٢)، (٤٠٦٣).

٢ أخرجه البخاري (٧٣٢٠).

٣ أخرجه أحمد (١٠٤١٠) واللفظ له، وابن ماجه (٢٢٧٨)، وأبو داود (٣٣٣١)، وضعفه الأرئوؤوط والألباني في ضعيف الجامع (٤٨٦٤).

٤ أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وابن أبي شيبه في المصنف (٢٣٨/٢١) رقم (٤٠٠٣٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٨٢)، وذكره الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ
الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ،
وَسُوءُ الْجَوَارِ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَحَتَّى يُجَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،
إِنْ أَسْلَمَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَإِنْ أَفْضَلَ الْهَجْرَةَ لِمَنْ هَجَرَ مَا نَهَاهُ
اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لِكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ، نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا
فَلَمْ تَتَغَيَّرْ وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لِكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا
وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَلَمْ تُفْسِدْ، أَلَا وَإِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى
مَكَّةَ، أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ، هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ
اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»^١.

١ أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢١٩٣٠) باب الحوض، والحاكم في مستدرکه (٨٥٦٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجْرَجْ، وَوَافَقَهُ
الذهبي، وأحمد (٦٨٧٢)، وصححه أحمد شاكر والأرنؤوط.

سبع حقائق من ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ»: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

الحقيقة الأولى: إنَّ هاتين الآيتين تبيِّنان حقائق عظيمة لا يسعها صفحات هنا؛ أول هذه الحقائق أن الله ﷻ جعل هاتين الآيتين الكريمتين في ختام سورة التوبة، وهي السورة التي رفع الله ﷻ اسم الله الرحمن الرحيم من أولها لهول ما فيها من أذى لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ولكثرة ما فيها من مشكلات، بل من أنواع من الكفر والعدوان والكذب الكبار، والموبقات من الفتن، والإيقاع بين المؤمنين، والاستهزاء بالله ورسوله والمؤمنين ... فجاءت هاتان الآيتان في آخر كل ما ذكر دواءً شافياً كافياً لجميع المشكلات، كما بيَّنت أن حل هذه المشكلات ودواء هذه الأمراض عند رسول الله ﷺ.

الحقيقة الثانية: أن حل المشكلات جميعاً ليس مقتصرًا على مشكلات عصره ولا على مشكلات صحبه ﷺ، بل هو عام لكل عصر ولكل المؤمنين بل للناس أجمعين، لأن الخطاب في الآية عام للمؤمنين في جميع الأزمان، كما قال الله في ختام الآية الأولى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، بل هو للناس كافة لأن رسالته للناس كافة، فالخطاب في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ عام كعموم رسالته، وأما رأفته ورحمته خاصة بالمؤمنين لإيمانهم واتباعهم، فلا يمكن أن يستوي الخطاب في الاثنتين في آية واحدة فيكون ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ مثل قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ويكون الاثنان للمؤمنين فقط، ولا شيء للناس عامة!

فإن قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ هنا مثل قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠﴾ [النساء: ١٧٠]، وكما قال - سبحانه -: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥﴾ [المائدة: ١٥].

الحقيقة الثالثة: هي ضرورة تدبر آيات الله وكلماته بعقول أهل هذا الزمان، وهذا يُجمل الذين يستنبطونه منهم هذا الزمان تكليفاً عظيماً، فلا ينفعهم أن يكتفوا بما قاله العلماء الأولون - رحمهم الله ﷻ - .. فأولئك أدوا ما أمرهم الله به خير قيام، وأدّوه من مفهوم عصرهم، المنطلقة من مشكلات عصرهم وواقعهم ... وأما مشكلات عصرنا فهم لم يُكَلّفوا بها، فكيف يُفتون بها وهم لا يعلمونها أصلاً ... وهذا لا يمكن لأحد أن يتحمّله إلا أهل هذا الزمان .. هذا الزمان الذي تفرّد عن كل زمان مضى حتى لكأنه لا ينسب لما سبقه من الزمان .. وكل ما في هذا الزمان هو نتاج عقول هذا الزمان .. بينما العصور الماضية تكاد تكون نسخة واحدة ... فكيف يمكن أن تشبّه المشكلات؟!

ولكن من تدبر أحاديث النبي ﷺ الواردة سيجد أنه يخاطبنا كما خاطب أهل زمانه، وهذا هو الإعجاز وهو زاد الثبات في هذا الزمان، وزاد للدعوة والهدى والنور، وهو مما آتاه الله من جوامع الكلم.

ولنتأكد أن ما من مشكلة لا نجد لها في كتاب الله وفي هدي رسول الله ﷺ حلاً فإن هذا من قصورنا نحن وإلا فالحل - والله الذي لا إله إلا هو - موجود وشافٍ وحققي وواقعي.

الحقيقة الرابعة: بما أن الله ﷻ قال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ فمجيئه قطعاً شَمَلْنَا نحن الذين في هذا الزمان كما هو لأهل الزمان الأول .. فإن الله ﷻ لم **يَفْصِل** الأولين عن الآخرين من الأمة ... وهذا يدلُّ على عظمة هُديهِ ﷻ، وواقعية حلوله لمشكلاتنا، حتى لكأنك تقول: إنها عظمة حضوره .. ووجوده بيننا، وفي كل تفاصيل حياتنا، وذلك لأن رسول الله ﷻ بعد ما جاء الناس بعد ولادته بأربعين سنة فإنه قد مات في السنة العاشرة للهجرة - فدته رُوحي - فالسؤال هو: مَنْ الذي جاءنا نحن؟! والجواب: هو ﷻ مَنْ جاءنا بمجيئه للأمة كلها، وأما بعد مماته فالذي جاءنا هو هُديهِ ﷻ .. والذي يقوم مقامه ﷻ .. وهذا الذي يجب أن نعيشه ونعايشه.

الحقيقة الخامسة: أن الحل الذي جاء به رسول الله ﷻ حلُّ قريب ولا شيء أقرب **منه** .. إنك لن تحتاج أن تذهب إليه بل هو مَنْ يأتيكم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾، وإنه في كل مسألة يأتيكم، وفي كل مشكلة يقوم معكم شاهداً، وشافعاً، ونافعاً، ومخلصاً، ومفرجاً ...

تصوّر لو جاءك رسول الله ﷻ ألا تجد ذلك كله ... إذاً فهذا هو قد أرسل هُديهِ بدلاً عنه، وجاءك إلى حيث أنت .. فكيف والله يقول للأمة اليوم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾، ثم أي قُرب بعد قوله - سبحانه - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ من قُرب قوله - سبحانه - : ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾!؟

وبناءً على هذا وتبرُّكاً بقول الله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ .. وتبرُّكاً بمجيء رسول الله ﷻ كما أخبر الله ﷻ فإنه لا يسعنا أن يأتينا إلا ونطلق **معه**، فإذا المشكلة قد حُلَّت، وإذا العسير قد تيسر، ومن ثمَّ أسميناها الانطلاقة مع رسول الله ﷻ.

الحقيقة السادسة: أنه جاء لحل مشكلاتنا، وأن مشكلاتنا – نحن أهل هذا الزمان الأخير – ومشكلات الذين كانوا بين عينيه سواء .. هكذا جعله الله ﷺ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وهل العنت إلا من المشكلات، أولم يُخبر الله ﷺ رسوله ﷺ بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة؟! وأي شيء أولى عند الله ﷺ وعند رسوله ﷺ من أمته التي غابت عن عينيه ولم يرها .. وأي الزمان أولى من زمان هجران الأمة كافة للقرآن هجراناً كاملاً .. اللهم إلا قراءةً وحفظاً وتحفيظاً وأنعم بهذا.

لا والله ما غبنا – نحن أهل هذا الزمان خاصة – عن عيني رسول الله ﷺ، عن .. «وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي»، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»^١.

الحقيقة السابعة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هذه الكلمات الكريبات من ربنا – سبحانه – تدلُّ على خصائص تعامل النبي ﷺ مع المشكلة، أو ما سمَّاه الله هنا العنت، ولهذا قال الإمام البقاعي: «العنت: لحاق الأذى الذي يضيق الصدر به ولا يهتدي للمخرج منه»^٢. هكذا هي المشكلة الشديدة تصنع بالإنسان إذا أصابته .. والظاهر في معنى العنت وتوقيته أنه للمشكلة بعد ما يقع فيها الإنسان.

أما ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فهذا يدلُّ على أنها **لِمَا** قبل وقوع المشكلة، لذا فإن رسول الله ﷺ حرص عليكم أن يصيبكم أي شيء أكبر من حرص **كل حريص** بما لا يحصى

١ أخرجه أحمد (١٢٥٧٩)، وقال الأرئؤوط: حسن لغيره.

٢ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥٦/٩).

من الدرجات، إذًا فهو ﷺ جعل الوقاية من المشكلة وجعل العلاج منها إن وقعت وذلك للناس كافة، أما بالنسبة للمؤمنين فإنه كذلك وأكثر من ذلك، إنه رؤوف رحيم .. فهو فوق ذلك رافة ورحمة، وليس بعد ذلك من خاصية لحلوله للمشكلات ﷺ .. فإن الإخبار بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم هذا لا يتعلّق في حال حياته فحسب، بل هو المختوم به كل هديه قبل كل شيء والحمد لله رب العالمين.

طريقة الكتاب وخارطته

مصطلحات الكتاب:

أولاً: المفتاح: وهو عنوان لكل حديث شريف

إن أول ما نشبته هنا هو [مفتاح المشروع] وأسميناه [المفتاح] فكل حديث يُروى عن النبي ﷺ إنما هو مشروع عظيم، هكذا سوف نراه .. وهذا هو حقيقته، وحقيقة كل حديث لرسول الله ﷺ .. فهو لا يقتصر على شخص سأل، أو آخر وقع في مشكلة، أو نحو ذلك، إنما هو مشروع لأمة عظيمة قادمة .. مشروع لمثل هذه الحالة .. فإن هذه الحالة ما هي إلا عينة ونموذجاً واحداً .. ولهذا فإن العبارة التي اخترناها إنما هي - في نظري - مفتاح المشروع ومحوره، وعلى الأخص هي مفتاح مشروعنا من حديث رسول الله ﷺ. ولقد كان [المفتاح] لفهم الحديث كلمة من نفس كلمات الحديث المباركة، فمنه تنبثق مشاريع، وتتفجر البركة.

ثانياً: الحادثة والحديث: وهو الحديث نفسه

كل حديث يذكره النبي ﷺ له حادثة، وله سبب وهذا ما نسميه بـ [الحادثة]؛ فالحادثة إما أن تكون منصوطة مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه القادم - بإذن الله تعالى -، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكُتُب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية،

لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^١.

فهذه إذا هي الحادثة وغالبًا هي المشكلة ...

لكن ربما تسأل فتقول: إن أكثر الأحاديث ليس فيها ذكر حادثة ولا ترد فيها كلمة
مشكلة، فمن أين نجعل لكل حديث حادثة ولكل حديث مشكلة؟

ولكننا حين لم نتعامل مع الأحاديث الإيمانية إلا كروايات ومرويات لم تطبع في قلوبنا
أثرها، ولم تأخذ من حياتنا جديتها، ولم تأخذ من دورها التربوي تزكية النفوس، وتطهيرها،
وتعليمها الكتاب والحكمة، وزيادة إيمانها، ولهذا تجد الكثير من العلماء في هذا الزمان ممن
يحفظون المرويات لا أثر للمرويات في وقتهم ولا أخلاقهم، ولا أثر لإيمانهم في أقرب الناس
فيهم، بل العكس من ذلك، فكيف بطلابهم؟!

ثالثًا: المشكلة: وهو عنوان المشكلة التي حلّها النبي ﷺ

ولهذا فإن أول ما نشبته هنا هو أن نضع أيدينا على المشكلة، فإن تحديد المشكلة أولاً
ضروري ضرورة تشخيص الطبيب للمرض وتحديدته .. وضروري ضرورة صحة علاج ذلك
التشخيص، ولهذا كان المعلّم الثاني لهذا المشروع هو تحديد المشكلة وهنا نضع أيدينا على
موضع المرض أو موضع الإصابة، ثم نبين كيف ينبثق من ذلك التشخيص حلٌّ لكثير من

١ رواه أحمد (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٣٤ / ٦).

مشكلاتنا المعاصرة ونحن لا ندري، وكيف أن تلك المشكلة تتكرر معنا ونحن لا ندري؛ أي كيف أن تلك المشكلة مشكلتنا وأن الحلّ لنا نحن، ونحن لا ندري!

وكيف تكون بعدها الانطلاقة مع رسول الله ﷺ لحل المشكلة المذكورة، وما هو على شاكلتها، وما هو أشد منها من باب أولى، وهذا النوع الثالث كثير في علاج رسول الله ﷺ لزماننا هذا.

إن [المشكلة] المقصودة هنا هي كل ما كانت عند صاحبها آنذاك مشكلة بغض النظر إن عدّها القارئ مشكلة أم لم يعدّها القارئ مشكلة .. فكم من شيء يعدّه إنسان أمراً مؤلماً، بينما هو عند آخر أمر عادي، وربما يكون مضحكاً، وما من أحد جاء إلى النبي ﷺ في أمرٍ إلا وجاء يحمل مشكلة عن نفسه، أو أهله، أو قومه، أو يحمل همّ الآخرين، وربما لم يصنّفها شراح الأحاديث على أنها مشكلة، فعلماء الحديث لا يعدون المشكلة مشكلة في غالب الأحيان إلا إن ظهر التعارض ما بين هذا الحديث وحديث آخر ... فهذا هو الذي يعدونه مشكلة، وهو ما ألقوا فيه كتب مُشكل الآثار، ونحن هنا لا يعيننا هذا، وقد كفانا العلماء مؤنة النظر فيه - رحمهم الله تعالى -، بل الذي يعيننا إنما هو المشكلة الحقيقية؛ أي هل من مشكلة عملية حياتية ظاهرة أو باطنة في موضوع الحديث نفسه، وهل أعطاهم النبي ﷺ الحل أم لا؟! وهل صحح لهم النبي ﷺ ما كانوا عليه من خطأ أم لا؟! وهل علّمهم النبي ﷺ ما جهلوا قبل ذلك أم لا؟! وهل قضى النبي ﷺ بقضائه أم لا؟! وهل أصلح النبي ﷺ بينهم فيما اختصموا فيه إليه أم لا؟! وهل علّمهم النبي ﷺ النجاة مما وقعوا فيه أم لا؟! وهل شفّع النبي ﷺ لصاحب المشكلة إن كان يحتاج إلى شفاعته أم لا؟! وهل أمر النبي ﷺ الآخرين بإعانة أخيهم أم لا؟! وهل جمعهم النبي ﷺ فوقف فيهم خطيئاً لأمرٍ خطير عام وقع أم لا؟! وهل خاف النبي ﷺ

خطرًا فحذّرهم ودلّمهم على طريق الوقاية أم لا؟! وهل بيّن النبي ﷺ من خلاصهم للأمة أخطر المخاطر وكبرياته أم لا؟! وهل بيّن النبي ﷺ لهم أصغر الصغائر أم لا؟! وهل بيّن لهم أخوف ما يخاف عليهم وعلى الأجيال من بعدهم مما لا يعدونه شيئًا أم لا؟! وحين بيّن لهم كل ذلك هل بيّن لهم طرق الوقاية منها أم لا؟! وهل بيّن لهم الحلول إذا ما وقعوا في تلك المواقع أم لا؟! وهل دخل رسول الله ﷺ من كل موقف من المواقف وإن صغرت ليسدّ أبواب مشكلات وفتن أم لا؟! وهل قعد النبي ﷺ قواعد ووضع أسسًا لحلّ المشكلات واتقائها من خلال المواقف التي رفعت إليه ﷺ أم لا؟! وهل من شرّ صغير أو كبير ... كان آنذاك أو سيكون إلى يوم القيامة إلا حذر منه النبي ﷺ أم لا؟! ألم يقل النبي ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»؟!^١

وهل من بابٍ من أبواب الشرور هذه إلا عاجلها النبي ﷺ أم لا؟!!

ولنكن واقعيين وعمليين لدرجة التحديد، ولنعدّد كل أبواب الشرور والمشكلات أو جُلّها، ثم لننظر وسنجد أنه ما من بابٍ من أبواب الشرور هذه إلا وبيّن النبي ﷺ شروره ومشكلاته من خلال حادثة حدثت فثبتّ النبي ﷺ فيها ومن خلالها الحل إلى يوم القيامة؟! وهل من حلٍّ من حلوله ﷺ إلا وكان فيه حلٌّ للإشكال وتحويل المشكلة إلى وقاية من المشكلة وحلٌّ فعلي من المشكلة وما يدخل في حكمها؟!!

إليك هذه الأبواب التي هي من أكثر أبواب المشكلات والشرور التي أغلقها النبي ﷺ، وعلمّ الناس كيف يحافظون على إغلاقها، وكيف إذا ما فُتحت يتعاملون معها ... بل

١ أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨)، وصححه الألباني.

حوّلها ﷺ وأبدلها بأبواب خير وكل ذلك - كما ذكرت - من خلال إشكالات وقعت لأصحابه ﷺ ولناخذ على ما ذكرنا شواهد واقعية لمشكلات حقيقية أغلق النبي ﷺ أبوابها:

أليس من أكبر أبواب المشكلات باب الجهل، وباب الابتداع، وباب الأجرام، وباب اتباع الهوى، وباب الاستهزاء، وباب الإسراف، وباب البخل، وباب البغي، وباب الإفك، وباب التحقير، وباب الانتقام، وباب التعاون على الإثم والعدوان، وباب الحسد، وباب الهَمِّ.

ألم يغلق النبي ﷺ باب الغضب وحلّ مشكلاته، وهكذا باب الجحود، وباب الجبن، وباب التوَلَّى، وباب الجزع، وباب الكسل، وباب الكِبَر والعُجْب، وباب القنوط، وباب قطيعة الرحم، وباب الغل، وباب الغيبة، وباب عقوق الوالدين، وباب الظلم، وباب شهادة الزور، وباب الزنا، وباب السحر، وباب الخيانة، وباب الزندقة، وباب التجسُّس، وأغلق أبواب الشيطان كلها حتى قال ﷺ في آخر حياته: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^١.

وما هذه الأبواب إلا أمثلة ظاهرة على موضوع [كيف حلّ النبي ﷺ المشكلة؟ بل كم حلّ النبي ﷺ من مشكلة، بل هل ترك النبي ﷺ من مشكلة إلا وحلّها؟!]، ولكن كم سيقف الإنسان أمام حديث الباب فينظر في الحديث فلا يرى ثمة مشكلة ولا يتبادر لذهنه أية مشكلة وبمجرد أن يلتفت إلى عنوان الباب إذا به عنوان حل المشكلة أو عنوان المشكلة نفسها، ولو أردنا التفصيل والتطويل لرأينا ذلك واضحًا حتى في أحاديث الأذكار.

رابعًا: الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

١ رواه مسلم (٢٨١٢).

يا لها من مهابة وجلال تحيط بهذه العبارة العظيمة والتي تستمد عظمتها من رسول الله ﷺ... من بعيد، نعم... من بعيد... فكيف ومعناها واضح تمام الوضوح، إنه [الانطلاقة مع رسول الله ﷺ] [مع] هذه هي المعية هي سرُّ المهابة.. وهي سر العظمة.. وهي سر القرب، وسر بعث الحياة الجديدة..

نقول: أتظن أن رسول الله ﷺ لم يمت!

أقول: ألم يقل الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۚ﴾ [الزمر: ٣٠] فما قيمة كل ظن بجوار قول الله ﷻ؟

لكن كم يستذكر صاحب المشكلة الخائفة أقرب الناس منه من أهل الحكمة الكبار - وخصوصًا كآبيه أو جده - إذا اشتدت عليه الأمور، وتراكبت على رأسه المشكلات.. فيذهب بقلبه وتصوّره إلى ماضي الأيام ولا يزال يقرب يوم الحدث المائل.. ويستحضر ظروف الحادثة والحديث حتى وكأنه يعيش في وسطه، بل الحادثة يعيش في داخله بمشاهدها واضحة بأشخاصها وبأصواتها فيظهر أمام عينيه أو يكاد جدّه مؤثّرًا في روحه وقلبه، متجلبًا بحكمته التي تولدت من ذلك الموقف، فيجد الحل في موقف جدّه وحكمته... فمن أحق من رسول الله ﷺ من استحضاره ومعايشته بكل تصوراتنا ومشاعرنا... وهو القمر المنير والسراج المنير الذي لا يغيب نوره عن أمته أبدًا؟!!

كيف وهو من علمنا هذا الاستحضر... استحضر القرب بل المعيشة، والوضوح الكامل في الصورة والشكل وما يتعلّق بالموقف.

ألم يستحضر النبي ﷺ إخوانه الأنبياء ﷺ كل في موقفه، فقال ﷺ في موقف أوزي فيه
 ﷺ: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوزِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^١، واستحضره مرة فقال: «وَأَمَّا مُوسَى
 فَرَجُلٌ آدَمُ جَعَدٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذْ انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي»^٢، وفي
 حجه ﷺ قال عند التلبية: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ - فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ
 دَاوُدُ (راوي الحديث) - وَاضِعًا إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًا بِهَذَا الْوَادِي»^٣،
 واستحضر رسول الله ﷺ أخاه يونس بن متى ﷺ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ
 جُبَّةٌ صُوفٍ، خِطَامٌ نَاقَتِهِ لَيْفٌ خُلْبَةٌ، مَارًا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًّا»^٤.

بل استحضر ﷺ أبناءه في العهد البعيد من بعده من خلال رؤيته لأبنائه الصغار وهم
 يدخلون عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ
 مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ، فَقُلْتُ: مَا نَزَالَ نَرَى فِي
 وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي
 سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ،
 فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطُونَهُ، فَيَقَاتِلُونَ فَيَنْصُرُونَ، فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى
 يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَأُوهَا جُورًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ،
 فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ»^٥.

١ رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

٢ رواه البخاري (٥٩١٣).

٣ رواه مسلم (١٦٦).

٤ رواه مسلم (١٦٦).

٥ أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٢)، وضعفه الألباني.

والانطلاق معه ﷺ: إنها تعني وجود مشكلة حقيقية فعلية ... وإلا ما الذي أقام لها رسول الله ﷺ .. وهل من مشكلة مؤثرة على قلبه كمشكلة أصابت أمته ﷺ أو بعض أبنائها؟! ثم إنه بهذه الانطلاقة إنما يعني أننا تجاوزنا المباحث المعرفية المجردة والمعلومات الجدلية المجمدة، والإشكالات الواردة على اختلاف الروايات إلى صلب العمل .. إلى الحياة. وكم تعني انطلاقتنا مع رسول الله ﷺ: فالانطلاقة معه ﷺ إنما تعني سرعة تلييته ﷺ كعادته إذا جاء الشاكي، أو المحتاج، أو المستشفع، أو نحو ذلك.

والانطلاق معه ﷺ: إنها تعني تلبية الحاجة، وانفراج الأمر يقيناً. والانطلاق معه ﷺ: إنها تعني إزالة الحُجُب، والتعلُّم منه ﷺ، إذ هو المُعلِّم القدوة، وهو المتقدِّم، ونحن في معيَّته .. فالبركة تفيض من جديد علينا وعلى الأمة كافة. الانطلاقة مع رسول الله ﷺ: إنه الجلال يتحرَّك .. إنها الحكمة تتحدَّث .. إنها المشاريع الحق تنفجر ...

وكم من حديث انطلق النبي ﷺ مع صاحب مشكلة ليحلَّها، وإذا بها قد حلَّت، وأي مشكلات أكثر من المشكلات التي تراكمت على جابر ﷺ بعد استشهاد والده في غزوة أُحُد. وما ينقص بلوغ ذلك كله إلا أن نستعين بالله حقاً ليوَفِّقنا - سبحانه - أن نعطي هذه العبارة حقها من تصورنا وتدبرنا وأرواحنا وقلوبنا وانجذابنا إليه، وتجاوبنا مع ما يريد ﷺ. وليست هي انطلاقة واحدة، لأنها ليست مشكلة واحدة.

فنحن هنا لا نشرح السُّنَّة، وما جئنا لنشرح السنة الشرح العلمي فجزى الله أئمتنا
الأعلام على ذلك خير الجزاء عن أمة محمد ﷺ.. إنما جئنا لنصل الأمة برسول الله ﷺ، ولتري
الأمة الكريمة كيف أن رسولها الكريم ﷺ معها في كل شيء، وأنها ما غابت عنه وهو يحل
جميع إشكالاتها، ويجيب على كل أسئلتها حين يجيب مَنْ كان يمثلها من أصحابه في ذلك
الوقت - رضي الله عنهم أجمعين -.

مزايا حلّ النبي ﷺ للمشكلات:

كيف يتقي النبي ﷺ المشكلة .. ويُعلّم الناس ذلك؟

كيف يحلّ النبي ﷺ المشكلة إذا وقعت وانتهت ... ويُعلّم الناس ذلك؟

كيف يحلّ النبي ﷺ المشكلات القادمة للأفراد وللأمة إذا ما وقعت في قادم الأيام ..

وَيُعلّم الناس ذلك؟

المزية الأولى: أنّ حلّه فوري: فلا مشكلة يتوقف عندها النبي ﷺ مطلقاً، وإذا ما تأخر

قليلاً فذلك لحكمة هي من الحل نفسه، أو عادة ما تكون لبيان عظمة الأمر المسئول عنه، وعظمة الحل الذي سيرونه.

المزية الثانية: أنه حل جذري، أن حلّه ﷺ رغم أنه سهل فإنه حل جذري، وشامل،

وفي كلمات مختصرات، أو في لحظات قليلات.

المزية الثالثة: أنه حل سهل وقريب؛ أن منزع حلّ النبي ﷺ قريب لا يُشعرك بكلفة،

لأنه ليس فيها كُلفة، وأنه حل من عمق الفطرة فلا يُشعرك بالمشكلة، وسرّ ذلك هو أنه ﷺ أعظم من آتاه الله ﷻ الحكمة.

المزية الرابعة: أنه حل مُرضي: أن حلّه في العادة يُرضي الأطراف كلها، هكذا يكون في

الخصومات وهذا ما لا يحدث في العادة مع غيره، وما ذلك إلا لأن حلّه ﷺ هو حلّ من عند

الله ﷻ، والله ﷻ يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥].

المزية الخامسة: أن فيه تعليم القيادة من الميدان: إما أن تكون مُشكّيًا، أو مُشكّيًا عليه غالبًا، وإلا فمُتعلّمًا: إن الإنسان وهو ينظر في هدي النبي ﷺ من هذا المنظار، سيجد أنه واحد من اثنين؛ إما أن يكون الناظر هو صاحب المشكلة، أو يكون مَنْ حُمِلت إليه المشكلة؛ أي إما أن يكون المشتكى، أو المشتكى عليه، أو المشتكى إليه، أو أن تكون الآخر الذي لا دخل له بالمشكلة. فهو يُعلّمك الحكمة، ويُعلّمك القيادة، فما قدر قيادة لا تعرف كيف تحل مشكلة... ولهذا فإن هذا الكتاب هو - بإذن الله - فيه تعليم الحكمة، ويُعلّم القيادة والإمامة، كل ذلك - بإذن الله - من الميدان ورسول الله ﷺ أمامك يحل كل المشكلات، لأن الكاتب هنا لا دور له إلا أن يلفت الانتباه لمعين ذلك.

المزية السادسة: صناعة ورثة رسول الله ﷺ:

فأحاديث المصطفى ﷺ تتحوّل هنا - وهذا هو حقها ومقامها، وغايتها التي قيلت لأجلها - تتحوّل من مجرد روايات حديثة أو سنن نظرية إلى صناعة للحياة، وموجهة للحياة، وإلى معين حقّ لتستمر الحياة، ويتحوّل المنهج من حل مشكلات النص إلى حل مشكلات الناس، ومن معاناة القلم والقرطاس إلى قيادة أعمال الحياة وحل إشكالاتها وهو الأساس، ومن الجانب النظري إلى الجانب الميداني... إنها الحياة الطيبة، وليست هي أي حياة، كما قال ربنا - سبحانه -: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل: ٩٧].

ويتحوّل من يأخذها هذا المأخذ الحكيم الواسع الجديد المتجدّد.. المأخذ العملي القوي الجاد إلى إمام، وحكيم، وقائد، وهادٍ - بإذن الله تعالى - واسع الصدر، بعيد البصيرة، عظيم البركة، وذلك من بركة رسول الله ﷺ، ومن بصيرته ﷺ.

فإني لأرجو - بإذن الله تعالى - لمن تدبّر ما ذكرت من الحل الذي ذكره النبي ﷺ جيداً،
وفتح الله بصيرته لهذا الأمر العظيم فإنه - بإذن الله - لن تُعجزه مشكلة أبداً، ولن يتخلى عن
أي صاحب مشكلة، ولا عن أهله، ولا عن الناس أبداً.

إنه بعد توفيق الله ﷻ منهج لإنتاج ورثة الأنبياء عامة، وورثة رسول الله ﷺ خاصة
... وهل في الوجود رجال أعظم من هؤلاء، أو أغلى من هؤلاء!؟

ولا بد لهؤلاء أن يطلبوا هذا العلم تحديداً لله وحده لا شريك له، وأن يُخلصوا الله
الدعاء، بل يستغيثوا بالله تعالى، فهل من أمرٍ يُستغاث بالله لأجله مثل هذا الأمر العظيم ..
ولا ينبغي أن نستصعبه، بل هو زاد قريب جداً لأمرٍ عظيمٍ جداً لا منتهى لعظمته على
مرّ الأزمان أبداً ...

ولهذا جاء هذا الكتاب ليس للعلم وحده، وإنما للعلم والعمل، وللتعلم أولاً،
وللتعليم بعد ذلك؛ أي لإنشاء جيل يُعلم الأمة مراد رسول الله ﷺ منها، وذلك من خلال
التدريب عليه كذلك، فبعد العلم العملي على هذا المنهج في هذا الكتاب نفسه .. ليكون أقرب،
ويكون أثبت، ويكون أكثر ثمرة، من خلال طريقتين تعقبان الفصل الأول وهو الفصل
النموذجي حيث يأتي الفصلان؛ الفصل الثاني والثالث للتدريب على ذات الطريقة النموذجية
المذكورة في الفصل الأول، فلتأمل هذا في الفقرة القادمة وهي الأخيرة في هذه المقدمة.

[مراحل فكرة هذا المشروع حتى ولادته]: لكي يتبين لكل إنسان أن النبي ﷺ ما ترك مشكلة حاضرة في عصره أو ستوجد من بعده إلا وحلّها ﷺ، وأنّ في كل حديث من أحاديثه حلًّا لمشكلة، أو وقاية من مشكلة، أو **تأصيلًا** لمنهجية حلّ المشكلة، فإنني لم أنتقِ الأحاديث هنا انتقاءً، وإنما اخترت كتابًا جامعًا عصرياً لم يشرح أحاديثه أحد، وأخذته بالترتيب دون تجاوز إلا المكرّر، **لكي يتبين بغير ارتياب بياناً علمياً أن في كل حديث من أحاديثه ﷺ حلًّا** لمشكلة... أليس هذا من العجب والله. قف بنفسك الآن أمام أي حديث من الأحاديث ولن تجد في أغلب تلك الأحاديث شكلاً مُشكِّلاً، ولا فحوى مشكلة، ولا **ذكر** شكاية، ولا **ذكر حلّ**... وهو ذات الشعور الذي كان يراودني عند **أول تناولي** لأغلب الأحاديث... فما هي إلا أنفاس معدودة، وهنيهة محدودة، وإذا بكل شيء قد ظهر.. وإذا به - بعد فترة - هو هذا الذي تراه أمام عينيك الآن من كتاب.

وهذا ما كان **يُعَلِّم بل يُدَرِّب** رسول الله ﷺ أصحابه **عليه** أحياناً كثيرة إذا أراد حلّ مشكلة عامة، فأحياناً يأخذ معه بعض أصحابه ليصلح بين فئتين من المسلمين، وأحياناً يأخذ بعضهم ليحكم وليقضي، وأحياناً ليخطب، وأحياناً ليدكر، وأحياناً ليحشد، وأحياناً ليجمع صدقة، وأحياناً **ليصلح، وأحياناً ليشفع، وهكذا وهكذا...**، فما أكثر ما كان رسول الله ﷺ يأخذ أصحابه **عليه** معه مربيًا، ومعلِّمًا، وصانعًا للأئمة فهو لا يريد أن يلقنهم ذلك فيحفظوا.. بل يأخذهم للميدان ليتعلموا ويتقدموا.. ويحملوا ما رأوا وما سمعوا للأمة من بعده **عليه** **فيعيش الناس ذلك فيتدربوا ويدربوا كما مرّ الصحابة** **عليه** بهذا التدريب العملي لا أقول: معايشتنا نحن لرسول الله ﷺ، بل معايشة رسول الله ﷺ لنا نحن أهل هذا الزمان من

خلال كلماته، وصلحه، وقضائه، ونصحه، وجوامع كلمه ﷺ ... رجاء أن يُبارك هذا العصر به ﷺ، ويتعلم منه من جديد، ويسير على صراط الله المستقيم.

ولقد كنت عند ابتداء الفكرة أحسب أن مجرد تحديد المشكلة وذكر عنوان حلها كافٍ لبيان هذا المنهج في السُّنة كلها، ولذا كنت عازماً بناءً على هذا الأساس أن أمرّ على أكبر وأوثق موسوعة **علمية** خُلّقية حديثة معاصرة في مجالها وهي [نصرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين ﷺ] أمرّ عليها كلها حديثاً حديثاً، فأبتدئ بكتاب الاستعاذة بحكم أنه الأمر الأول من ربنا سبحانه عند قراءة القرآن، فتناولت أحاديث الباب حديثاً حديثاً ..

ولما أن أخذني التفصيل في الأحاديث كلما أبحرت، وبذا تباعدت عن منهجية الاختصار **لماً** أن علمت أن أغلب الناس لن يدركوا هذا المنهج المختصر، وسوف يسقطونه إذا لم يكن أمام أعينهم المنهج واضحاً مفصلاً على نماذج من الأحاديث، فقررت أن أتبع التفصيل أولاً، فكان هذا هو الفصل الأول في هذا الكتاب، ومجموع الأحاديث التي تناولتها فيه **سبعة عشر حديثاً، وبينتها بياناً نموذجياً، وأسमितه [الفصل الأول: البيان النموذجي لتناول السُّنة في العصر الحديث] في الأحاديث الواردة في الباب الأول في الكتاب؛ وهو [باب الاتباع]**، واقتصرت على الأحاديث السبعة عشر **الأول**.

ورأيت في هذا القدر الكفاية والغنية - بإذن الله - لمعرفة هذا المنهج وتجليته بكل جوانبه المستطاعة .. ثم يأتي الفصل الثاني وهنا يكون التدريب على تطبيق هذا المنهج من قبل القارئ، ولكنني لم أتركه وحده، بل جعلت له بياناً مختصراً، ليكون عوناً له على التدريب وسلوك السبيل، حيث يتعوّد القاصد السير بسهولة - بإذن الله - على المنهج عند تناول الأحاديث وبيانها مع قليل من المساعدة، وهذا باب جميل ولذيذ يشعر العقل بلذته وجمال

السباحة فيها، وكلما سبح أكثر أبداع أكثر، وكان هذا الباب هو الأطول؛ إذ حاجة التدريب والتمكّن تقتضي ذلك إلا أن لذته تنسي طوله، ولربما احتاج القارئ أن يعود له أكثر من مرة، ولربما احتاج من أراد الإبحار العملي في هذا الميدان أن يجيب على الأسئلة بنفسه، وربما يزيد عليها أسئلة على نسق ما مرّ ويزيد ... ليكون ماهرًا في ميدان لم يُطرق من قبل في هذا الزمان أبدًا، ولقد تناولت مجموعة متتابعة من الأبواب في هذا الفصل، وهي:

باب الاتباع، وفيها ستة وعشرون حديثًا.

ثم باب الاجتماع، وتناولنا فيه أربعة عشر حديثًا.

ثم باب الاحتساب، وتناولنا فيه خمسة وعشرين حديثًا.

ثم باب الإحسان، وتناولنا فيه سبعة وعشرين حديثًا.

ثم باب الإخاء، وتناولنا فيه أربعة وخمسين حديثًا.

لينطلق بعدها العالم المحرر لله في بطون المعاني العظيمة لجوامع الكلم بنفسه متفرغًا لله تعالى ... فإنه بحث عديم النظير، والإسلام أحوج ما يكون له في هذا الزمان ... وفي هدي النبي ﷺ من بحور التجديد وجديد البحور ما يكفي لغسل الأمة وإعادتها كهيئتها، بل يكفي لغسل الأمم وتطهيرها جميعًا.

المطلوب هو صناعة عقلية مآلات كلمات رسول الله ﷺ .. المطلوب صناعة عقلية الأئمة في السنة لهذا الزمان الذين لا تقف أمامهم مشكلة أبدًا .. صناعة أهل الحكمة الذين يفرع إليهم الناس .. وكأنهم الذين يتلقون من رسول الله ﷺ مباشرة بإذن الله.

ولأجل تحقيق هذا الأمر لا بد للقارئ أن يتحوّل من قراءة الكتاب من أوله إلى آخره، ومن التلقي الكامل .. إلى فهم المشكلة .. وممارسة حلّها شيئاً فشيئاً .. كمن يتدرّب على تعليم السباحة، أو ركوب الخيل، أو الرمي .. فلا بد له من التدرّب، وهذا الأمر ليس بالسهل أبداً، ولكن الله سيسهله وسيحققه ربه، وبهؤلاء الأئمة سيقود رسول الله ﷺ ركب العالمين إلى الله رب العالمين كما لم يكن ذلك بهذا المستوى والعموم والأمم من قبل أبداً. إنه تحوّل جذري كبير، كما أنه تحوّل عملي وواسع .. فلا بد من الدربة، ولا بد من المران، ولا بد من المراجعة.

ولأجل ذلك جعلت الفصل الثالث في [الانطلاقة مع رسول الله ﷺ] مجرد أسئلة

سهلة، بمجرد أن يكون القارئ قد قرأ الفصل الأول وفهمه، وعرف طريقته، وقرأ الفصل الثاني وهو المختصر واستكمل ما وراء الاختصار ولو فهمها، فإنه سوف يعرف الإجابة على أسئلة الفصل الثالث، وهو فصل البيان النموذجي الثالث من الأسئلة .. وهي أسئلة سهلة، فبالرغم من أنها أسئلة ولكن فيها الإشارات الواضحة إلى إجاباتها، إذ ليس مقصودها اختبار القارئ، وإنما مقصودها دلالة القارئ وتدريبه، وفيها الكفاية - بإذن الله - ليتمّ الفهم والتأسيس، ويكفي من قرأ حديث النبي ﷺ فسوف يجيب عليها واحداً واحداً ... ولا يُشترط أن يجيب عليها واحداً واحداً كأنها أسئلة امتحان، ذلك أنها تعطيك الفهم الصحيح الشامل للحديث، والشامل لكثير من أبعاده المعاصرة على وجه الخصوص .. وإن كنت أود أن يتحقق القارئ أنه لم يفته سؤال واحد لم يجب عليه.

وفي هذه المرحلة تكون الأسئلة كثيرة على الحديث الواحد في العادة، وأحياناً تكون قليلة ولكلّ غايته .. وهكذا ينبغي أن يكون التدريب.

فمن يكون لهذا المبحث .. ومن يتولاه بنفسه .. أو يتداعى مع ثلّة مخلصه عالمة
مستنبطة، فتغني الأمة وتُثري البشرية، وتنير الدنيا برسول الله ﷺ وكأنه هو الحي الذي
يحل بنفسه كل مشكلة، ويهدي لكل فرد وكل مجتمع الحياة الطيبة.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

الأحاديث الواردة في الاتباع

الحديث الأول: المفتاح: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَفِيَّةٌ»

الحادثة والحديث:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فغَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْ كُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَفِيَّةٌ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِيَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^١.

المشكلة: تغيير الدين من أبنائه:

لا شك أن هذا هو أخطر ما سيواجه الدين الجديد... حيث سيقبس الناس هذا الدين على ما سبق، وسيحرص صنف من المتحمسين على أن يجدوا لدينهم شواهد مما سبق، وآخرون يريدون أن يتوسعوا في معرفة هذا الدين من خلال ما أنزل مما سبق، وآخرون وخصوصاً في وقت الضعف حيث يريدون الالتصاق والاحتفاء بالأقوى وربما الالتحاق بمن سبق ويعدون ذلك هو التقدم وغيره التخلف.. وكل هذه الأبواب أغلقها النبي صلى الله عليه وسلم وطبعتها وحصنها.

١ رواه أحمد (١٥١٥٦)، وقال الألباني: حسن.

الانطلاقة مع النبي ﷺ:

الانطلاقة الأولى: تأمل الأحداث كيف تجري بقدر الله حتى يولد النور، وهو الحديث

الشريف وفيه الحل:

إن راوي هذا الحديث هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي أتى بالكتاب من بعض أهل الكتاب، وعده ذا قيمة مخصوصة «بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ»...! ولاحظ أن عمر رضي الله عنه هو مَنْ قرأها على النبي ﷺ.. ولا شك أنه قرأها لنفسه من قبل، وأعجب بها، وأنه فيما يظهر قرأه كاملاً على النبي ﷺ، وما أن انتهى حتى جاء الجواب من غير أي تقييم ولا تقويم، إنما هو الغضب مباشرة، وإذا غضب رسول الله ﷺ فقد غضب الله ﷻ!

وقال رضي الله عنه: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»، فليَم هذه العبارة لعمر في هذا المقام..

وهل لو كان عمر بذاته مقصودًا.. لقال له ذلك.. ولماذا عمر أساسًا؟

إن الخطورة العظمى هو أن يتبنّى مثل عمر رضي الله عنه كفرِدٍ أو كجماعة هذه الفكرة التي

جاءت من خارج ما جاء به رسول الله ﷺ!

الخطورة أن لا يجد مَنْ هو مثل عمر رضي الله عنه آخرين يؤمنون بفكرته، فينطلقون ينشرونها،

فلا يجد مَنْ يردهم كما ردّ رسول الله ﷺ!

الخطورة أن هذه الفكرة جاءت من الخارج مجهولة المصدر، إلا أن الذي تلقّاها واحد

هو الأقوى في هذه الأمة إلى يوم القيامة «وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ»، فأصبحت فكرة في دين

١ أخرجه البيهقي (١٢١٨٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٢٤).

الله، وكأنها خارجة منه، والناطق بها والمتبني لها واحد منه، ولهذا قال النبي ﷺ: «أَمْهَوَّكُونَ فِيهَا» أي: في هذه الملة.. في هذه السنة والطريقة!

وقال الجوهري: [التَهْوُكُ] أي: التحير، والتَهْوُكُ أيضًا مثل التَهْوُر، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة^١.

وقال ابن الأثير: التَهْوُكُ كالتَهْوُر، وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي الْأَمْرِ بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ^٢.

وقال ابن منظور: وَالتَهْوُكُ: السُّقُوطُ فِي هُوَّةِ الرَّدَى .. وَالمْتَهْوُكُ: الَّذِي يَقَعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ^٣.

أما عمر رضي الله عنه فما كان متهوكًا فيها، بل كان هو الذابُّ الأعظم عن النبي ﷺ بعد الصديق رضي الله عنه، وكان هو الذي حصَّن الأمة أعظم تحصين، ولم يستطع العدو اختراق صفوف الأمة وعمر رضي الله عنه حي، وعمر هو الذي حين فتح فارس أحرق كل كتبهم في عبادة النار، وما إلى ذلك، فلم يبق لها أثر.

وبهذا نعلم أن الله ﷻ ساقه للأمة من بعد رسول الله ﷺ أن تقع في منهج التَهْوُكِ، فتتهوَّر مع أي طارق بابها ولا تبالي.. وإلا فمن أين دخل التغيير إلى الانحراف عن هدي رسول الله ﷺ من خوارج، وتصوُّف، وفرق هناك، وأخرى هناك!؟

١ لسان العرب (١٠/٥٠٨).

٢ النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٨٢).

٣ لسان العرب (١٠/٥٠٨).

حتى جئنا إلى هذا الزمان فرأينا بأعيننا التهوُّك في صور لا يكاد يسلم منها توجُّه إسلامي في اتجاهه وآخر ذلك هو ما أفضت إليه الأمور من جماعات تكفيرية في مصر والمغرب العربي وعلى الأخص الجزائر، وما هي إلا صنيعه من أهل الكتاب، فتلقَّها رجال متحمِّسون لا يبالون كما عرَّفها العلماء [التهوُّر من غير مبالاة]، فما انتهت منذ أن ابتدأت حتى هذه اللحظة باحتلال أفغانستان واحتلال العراق وبقية من بلاد الإسلام.

وإن البعض سوف يستكثر أن نذكر أن المقصود هذا الزمن كما هو زمان النبي ﷺ!

إذاً فلننظر ألسنا كلنا أمة واحدة؟ أليس نبينا واحداً، وهو من ننتسب إليه وهو رسول الله ﷺ؟! إذاً هل ظلمنا رسول الله ﷺ في شيء؟! أليس في توجيه رب الأسرة الخطاب لبعض الأفراد دون الآخرين إهمالاً وظلماً، إلا أن رب الأسرة غير قادر على توجيه الغائبين منهم، أما رسول الله ﷺ فلقد آتاه الله ما به يجمع أمته كأنهم جميعاً حاضرون أمامه حضور من جلسوا أمامه وهو يخاطب بهم جميعاً، فلا يمكن أن يهمل رسول الله ﷺ أحداً من أمته وقد آتاه الله جوامع الكلم الذي به يجمعهم في الخطاب جميعاً.. فما من أحدٍ من أمته يشعر أنه حرم، بل ما من أحدٍ من أمته إلا ويشعر أنه مقصود قبل غيره.. وعلى الأخص نحن أبناء هذا الزمان المنفرد في أمة محمد ﷺ، بل المنفرد في الزمان كله كما مرَّ معنا في المقدمة.. ففي كل سترى دليل ذلك بما فيها هذه المرة وهذا الحديث.

فهل ترى أن رسول الله ﷺ يقصد عمر بن الخطاب وحده؟! إذاً فلم لم يقل له: [أومتهوُّكاً فيها يا ابن الخطاب]، ولم قال له: «أمتهوُّكون».. ثم إذا كان هذا الأمر حالة فردية مرة واحدة وقعت فقل مرتين وقل ثلاثاً... فكم هي حالات التشبُّه بأهل الكتاب ومتابعتهم

اليوم؟ هل يمكن حصر الحالات، بل ألم يصبح متابعة أهل الكتاب مظهرًا عامًا في أمة محمد ﷺ؟!

إذًا فما كان حديث عمر رضي الله عنه إلا تنبيهًا صغيرًا لا يكاد يُرى بالنسبة لأعداد الأمة المتشبهة اليوم، ولا يُذكر بالنسبة لأعمال التشبه وكثرتها اليوم، ولا يُذكر بالنسبة لعمق التشبه اليوم، ولا يُذكر بالنسبة لقوته وفرضه وإعلامه وكل جوانبه... بل إن الإشارة من رسول الله ﷺ لنا - نحن أهل هذا الزمان - تصل حد الإعجاز، إذ قال وتحقق ما قال، ولم يتحقق ذلك أبدًا إلا في هذا الزمان: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُبْرَ صَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»^١.

إن الورقات التي كانت بيد عمر رضي الله عنه كانت ستكون فتنة لولا أن رسول الله ﷺ وقف لها ذلك الموقف، وفوقه أن الرسول ﷺ نسبه إلى أبيه الكافر ولم يذكر اسمه ترهيبًا وتحذيرًا من أن يعود إلى ما كان عليه أبوه.. وأكمل النبي ﷺ الحل الأبدي حين بيّن له خطورة هذه الفكرة بما قاله في بقية الحديث كما سيأتي بإذن الله.

ولو كان هذا المنكر العظيم الذي طهر الله منه الفاروق رضي الله عنه يخصه هو أو يخص تلك المرحلة لما جمع له رسول الله ﷺ الناس، ثم أتلف ذلك العمل حرفًا حرفًا فلم يترك منه حرفًا. ومع كل فلا شك أنه لم يبرر لعمر أنه ما أراد إلا خيرًا، وما أراد إلا قوة شهادة للإسلام والمسلمين، كما هو الشأن مع أكثر المتهوكين المسلمين في هذا الزمان، لذا فإن الحلال هو أن تشفع لهم نواياهم، ونحن نعلم أن كثيرًا منهم غيورون على الإسلام، وكثيرين منهم يريدون

١ أخرجه البخاري (٧٣٢٠).

الشهادة في سبيل الله ... وكل هذا لا يبلغ قطرة في فضائل عمر رضي الله عنه ... لكن يجب أن يردعوا في مهدهم ولا يجاملوا أبداً، وأن كل إضافة عليها تلويث وتسويد فاتركوها ولا تلوثوها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً».

وكما رأينا الإشارة من خلال عمر رضي الله عنه إلى الفِرَق التي ظهرت في هذا الزمان، والتي اتخذت منهج القوة منهجاً وجُلُّها يأخذ من أهل الكتاب تعليلاته وإمداده، وأغلب الجند مخلصون لا يعلمون ... فتَهَوَّكوا ولم يبالوا، فانحدرت الأمة في الهاوية كما هو في تعريف التهوك في لسان العرب: [السقوط في هوة الوادي].

وإشارة أخرى لهذا الزمان كذلك، وهو أن عمر جاء بالكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم ومع أن عمر رضي الله عنه أتلف ذلك الكتاب ولم يعرف له ذكر ولا أثر، إلا أن بقيت فيها الإشارة لعصر الكتب، والأمم التي تقرأ وتكتب وإلى عصر سيطرة المكتوب على المحفوظ .. وعلى عظيم اللوث الذي تحمله الكتب .. بل تحمله منهم عقول إسلامية .. وإلى أئمة درسوا عندهم في فترة ما ثم عادوا إلى بلادنا ليغسلوا ما تبقى من إمكانية عودة الخلافة والأمل في حكم القرآن .. فإن قلت: فإن هؤلاء لا قوة عندهم مثل عمر رضي الله عنه؟! كان لجواب: إن هؤلاء ورائهم قوة الحكم في كل بلدٍ من البلدان، وقوة الإعلام، وقوة المناهج التعليمية، والقوى العالمية من ورائهم ... فلا يصدنك عن الربط محدودية الحادثة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومحدودية أفرادها ... واتساع العالم اليوم، فتلك ورقة أو وريقات واليوم عالم لا حدَّ له في المطبوعات والمقروءات والإعلام .. هناك كان واحداً قوياً، واليوم دول بكل ثقلها وقوتها .. وهكذا سيمر معنا هذا الأمر كثيراً لتتيقن أننا نحن المقصودون الأكبر، بل المقصودون الوحيدون في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كما كان الصحابة رضي الله عنهم مع مزيد إعجاز لنا.

الانطلاقة الثانية: إغلاق باب الإعجاب بهم .. فهذا أول الحل:

أغلق النبي ﷺ كل طريق أن تقلد هذه الأمة أمة أخرى في شيء من دينها مطلقاً، مهما كان الناقل ثقة، ومهما كان المصدر عظيمًا؛ فلا أوثق في النقل من الفاروق عمر، ولا مصدر في الأمم الأخرى أعظم لنا وأقرب منا نحن أمة محمد ﷺ من موسى ﷺ، إذ هو دين عيسى ﷺ كذلك، وكان الإغلاق باستنكاره الشديد لهذا الأمر وحكمه عليه وقوله لعمر: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ».

الانطلاقة الثالثة: إغلاق باب «التهوُّك» القديم، و«التهوُّك» الحديث إغلاقاً كلياً فهذا

هو الحل:

رسالة من النبي ﷺ لأمته اليوم: لو أخذ الفاروق عمر ﷺ وهو أعظم من نَظَمَ أمور التشريع، وأنزلها على الواقع، وأقامها في حياة الناس .. وكل الخلفاء والحكام من بعد عمر ﷺ فإنهم دونه، فلو أخذها عمر من موسى ﷺ فَرَضًا، لكان هذا مُغَضَّبًا لرسول الله ﷺ، وكان هذا «تهوُّكًا»، أعاذ الله الفاروق من ذلك، وأعاذنا والمسلمين كذلك.

فكيف بأخذ التشريعات لأمة محمد ﷺ من الأمم الأخرى؟! إنها رسالة تحمل غضب رسول الله ﷺ على من فعل ومن رضي ... إن كل زيادة - كما تظنونها - على ما جاء به رسول الله ﷺ إنما هي نقطة سوداء في الصفحة النقية البيضاء ... فهل بقي اليوم من الصفحة النقية البيضاء بياض؟!!

إذًا! فهل من بوابةٍ أخطر على الأمة اليوم من بوابة التشريع .. وهل عاجلها النبي ﷺ

أم لا؟!!

الانطلاقة الرابعة: إعادتها «بَيْضَاءَ نَقِيَّةً» قبل أن نلاقي رسول الله ﷺ .. وهذا هو الحل

إنها دعوة للأمة اليوم للاستقلال الكامل عن أخذ أي تشريع أو تربية من الأمم الأخرى، فكل أخذٍ منهم إنما هو اتهام لرسول الله ﷺ بنقص ما جاء به وهو القائل: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»، كما أنه تلويث لما جاء به رسول الله ﷺ، وهو أصعب ما يكون على ضمير المسلم.

ثم هي دعوة لنخل كل ما أخذناه من هؤلاء ابتداء من مناهج تربية الأطفال إلى الشباب إلى النساء إلى الشيوخ .. وفق ما جاء به رسول الله ﷺ من جديد وإلا كيف تعود «بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»، وهذا هو الواجب علينا قبل أن نلاقي رسول الله ﷺ فنفضحنا الملائكة عند رسول الله ﷺ، إذ هو يدعونا إلى حوضه فتطردنا وهي تجيب رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَأَنَا فِيهِمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }، قَالَ: فَيَقَالُ: إِيَّاهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، نعوذ بالله من أن نكون من هؤلاء، فيُحال بين من غير وبدل وبين حوضه الشريف ﷺ.

الانطلاقة الخامسة: حل الاشتباك في مفهوم [الاتباع] هو الحل إلى الأبد

نَبِّهِ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى أَعْظَمِ مَشْكَلَةٍ سَوْفَ تَقَعُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ مَفْهُومُ الْإِتْبَاعِ، وَأَعْطَى حَلَّهَا فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ بَعْدَمَا قُرِئَ عَلَيْهِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ، فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»، فلقد اقتصر مفهوم اتباع النبي ﷺ في

١ أخرجه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

أُمتة اليوم على الاقتداء به في أعمال فردية و سنن شخصية .. وأصبح من يتبع هذا المنهج القاصر هو أولى الناس بالسُّنة حتى وإن أباح اتباع أمة محمد ﷺ لغيرها من الأمم في التشريعات؟!!

بينما الرسول ﷺ يُقسم بالذي نفسه بيده أن موسى ﷺ بكل ما جاء به، وكل ما عمل به، وكل ما أوحاه الله إليه، لا يسعه لو كان حيًّا أن يأخذ إلا بما جاء به رسول الله ﷺ في كل شيء، ولا يأخذ بشيء مما جاء به هو حتى لنفسه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»، فأبي إعجازٍ هذا .. وأي فهم عظيم شامل كامل هذا لاتباع رسول الله ﷺ وطرد للعدوان على رسول الله ﷺ من بعض أبناء أمتة مثل هذا الحديث ومن دول أمتة كلها؟!!

حتى أولئك الذين يزعمون محبة رسول الله ﷺ وآل بيته إلا أنهم يأخذون طقوسهم من ملل حقيرة محتقرة ... ويجعلونها عنوانًا لحب الله وحب رسوله ﷺ أو حب آل بيته ... فهؤلاء وهؤلاء «متهوِّكون» مسارعون فيهم.

الانطلاقة السادسة مع رسول الله ﷺ: نحو أهل الحديث في هذا الزمان:

وهنا لمحة عظيمة هي تأكيد الرسول ﷺ على [اتباعه]، وسيأتي معنا كثيرًا هذا المطلب، وكذلك طاعته ﷺ ونحو ذلك من هذا القبيل؛ فالنبي ﷺ لم يذكر هنا حفظ سُنَّته ولا معرفة معانيها، ولا حتى علمها وتعليمها، مع أن هذا هو الأصل، وهو ما كان مُسلِّمًا به عند السابقين ﷺ ورحمهم الله تعالى .. فلقد آل أمر كثير ممن ينتسبون لعلم الحديث - في هذا الزمان -، بل أصبح صبغة عامة عليهم أنهم أبعد الناس عن اتباع النبي ﷺ في العمل بالسنة، اللهم إلا في الأذكار والأعمال الفردية! وأما أعمال البرِّ المتعدية فلا في هداية الخلق، ولا في الدعوة إلى الله،

ولا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللهم إلا الإنكار على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والتخصص في إسقاطهم من عين أمتهم ... ليس الذين في عصرهم هذا فحسب، ولا الذين في بلدهم فحسب، إنما منهج مضاد لمنهج الأنبياء، ومنهج رسول الله ﷺ في ذلك.

أنا أقول هذا لثلاثي يركب البعض مركب **السنة** ويحسب هؤلاء على السنة، والواجب الآن أن تعود سنة رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ بيضاء نقية، وتُزرع من على من توشح بها زورًا وبهتانًا، ويُترك عاريًا إلا من زوره .. وأنا إذ أقول **هذا** فإن كل من يعرفني ويعرف **كتبي** فإنه يعرف أن لا حزب لي ولا ولاء إلا لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين أجمعين .. ومن لا يعرفني فيكفي أن أشهد الله ﷻ على ذلك، وكفى بالله شهيدًا.

وهنا لا عبرة بكمية العلم، ولا الحفظ، ولا المكانة فأيا كان فلا قيمة له إلا باتباعه رسول الله ﷺ، ولا يسعه إلا اتباعًا، وهذا أهل الكتاب قاطبة موسى ﷺ لا يسعه إلا الاتباع وليس الحفظ، ولا الاسم، ولا العلم المجرد «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَتْ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

الانطلاقة السابعة: حماية لهم وحماية لكم:

فإن الرسول ﷺ لم يذكر أن سبب ردّهم هو أن كل ما بقي عندهم من بقايا دينهم أنه باطل! فتكذّبونهم بكل ما يأتونكم به، وهذا حكم مسبق غير صحيح، وفيه ظلم، وقطيعة، بل بقي عندهم من الحق ما بقي، وعندهم الكثير من الباطل والبهتان، فما تصنعون بالحق الذي عندهم ... وهو مختلط وقليل .. وعندكم الحق الذي لا ريب فيه، النقي الذي لا ذرة من الباطل فيه، ولذا لا ينبغي

وهنا رسالة في الدعوة: وهو أن على الدعاة إلى الله ﷻ القائمين على دعوة أهل الكتاب أن لا يعرضوا أنفسهم إلى موقف يحتّم عليهم إما تصديق ما عندهم من الكتاب، أو تكذيبه ... فيغضب رسول الله ﷺ، فيغضب الله ﷻ! وأن يتخذوا جداهم الذي يضطّهرهم إلى تكذيب كتبهم منهجاً في الحوار، وربنا يقول سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الحديث الثاني: المفتاح: [وإني أنا النذير العريان]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَجَاءُوا، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْجُوا^١ فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهَلَّتِهِمْ (وفي البخاري: عَلَى مَهْلِهِمْ)، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَل مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَل مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ».

المشكلة: بُعد العهد، وقسوة القلوب

كلما مرّت الأيام وتباعد العهد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازدادت طاعة الأمة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعفاً ... حتى غدت طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأيام كطاعة الولد العاق والده، بل خرجت طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اسم الطاعة .. بل أصبحوا لا يدافعون عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضلاً عن أن يطيعوه ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ... فكيف حلّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التهاون في الاستجابة لندائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

١ أنا النذير العريان: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا طليعة القوم ورتبيهم.

٢ النجاء: اطلبوا النجاة.

٣ فأدجوا: ساروا من أول الليل.

٤ اجتاحتهم: استأصلهم.

٥ رواه البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: ألا ما أعظم وأعلى صوت النذير العريان في هذا الزمان: إن من جوامع الكلم العظيمة التي يجمع بها رسول الله ﷺ أشتات أمته ما حضر منهم وما غاب، وما قرب منه وما بعد مكاناً وزماناً على حدٍ سواء؛ هي هذه الأمثلة؛ وهذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ إنما هو من الأمثلة التي أراها واضحة أنها تخصنا كما كانت تخص الصحابة كما هي تخص كل عصر من عصور هذه الأمة العظيمة ... ومع هذا فإني أرى أن رسول الله ﷺ قد جعل فيها من الشواهد ما ينبغي أن يوقظنا أكثر من غيرنا من العصور، فإذا عددنا - على فرض - أن المثل خاص بعصره بناء على قوله ﷺ «إِنَّ مَثَلِي» فإننا ندخل في قوله: «وَمَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ» هذا على فرض وإلا فنحن داخلون أصلاً لا تبعاً.

فإذا كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قد سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ فإنه قد استمع عليه ببعد الهجرة، وأن القوم قد استجابوا للنذير العريان الذي رأى الجيش بعينه وأخبرهم به ولذا نجوا جميعاً والحمد لله رب العالمين، وإذا كان إخباره ﷺ عن أول بعثته فإن القوم كذلك قد استجابوا ونجوا، وهلك من هلك منهم عن بينة وما الهلكى بالنسبة للناجين بالعدد الكبير بل هم قلة .. بالنسبة لأكثر من مائة ألف هم من حجوا مع النبي ﷺ ولعل من تخلف عن الحج عذوراً في مثلهم أو أكثر من ذلك .. لقد نجت جزيرة العرب كلها تقريباً والحمد لله رب العالمين، كل هؤلاء نجوا لما استجابت له أولاً «طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْجُوا» فأنطلقوا على مهلتهم» وهلك الطائفة الأخرى الذين أبوا، لقد كانت هذه صورة المثل الأولى

١ فأدجوا: ساروا من أول الليل.

الذين كما نعلم بأعدادهم المحدودة... لكن هل انتهى هذا المثل ولم يتكرر.. هل انقطع صوت النذير العريان الذي رأى الجيش، أم أن الجيوش انقطعت والمشكلة العظمى انتهت... والسلام والأمام عليك يا أمة الإسلام!؟

والحقيقة هي أن هذا المثل توقف على مستوى الأمة بعد موت النبي ﷺ، حيث قامت الخلافة الراشدة الأولى ورسول الله ﷺ بعد لم يدفن في قبره واستمرت الخلافة حاضنة الإسلام وحارسة الدين وأهله وما انقطعت الخلافة وذهبت عن هذه إلا في عام ١٩٢٢م تقريباً، ومنذ ذلك الحين حتى هذا اليوم ولا حارس للدين ولا لأهله، ولا يزال كل شيء معطل، وأول ذلك القرآن العظيم.. ولا شيء أعظم من القرآن العظيم.. فهنا يكون النذير العريان بخطابه الذي **افتتحه** بقوله: «يَا قَوْمِ» ألسنا نحن قومه؟

هل مرت الأمة كأمة من أولها إلى آخرها بحاجة إلى إنذار رسول الله ﷺ مثل حاجتها في هذه المرحلة؟!؟

بل هل مرت الأمة في حالة قد **صَبَّحَتْهَا** جيوش العدو فاجتاحتها مثل هذه المرحلة؟!؟

هل تنوعت جيوش العدو التي اجتاحتها الجيوش مثلما هي مجتمعة الآن.. فالجيوش العسكرية في بلادنا، وفي **برارينا**، وفي بحارنا، وفي أجوائنا، وجيوشهم الاقتصادية، والثقافية، والتربوية اجتاحتنا بشيطنتها وشياطينها.. جيوش الإلحاد، وجيوش المخدرات، والشبهات، وجيوش المختلين، وجيوش إفساد جميع طبقات المجتمع المسلم... وشيء والله لا يمكن عده ولا عد عناصره، ولا أسلحته... فهل كان بعض هذا موجود بعد ما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وبعد ما قامت الخلافة الأولى حتى هذه الأيام التي هي أشد الأيام على مصير الأمة

حتى بعد سقوط الخلافة عام ١٩٢٢م؟! فلماذا يصرف البعض نذير هذا النذير العريان العظيم، ويلفت الأسماع عنه ويصرفها... أليس هذا من الصدّ عن نداء رسول الله ﷺ وإذاره والصد عن سبيله.

إذا فأول الحلول: هو أن نصغي أسمعنا وقلوبنا لإذار رسول الله ﷺ، وأن نأخذ **إذاره** بالجد الذي يليق به؟ وإلا فمن يوقظ الأمة إن لم يوقظها رسول الله ﷺ، هل تتلقى الأمة إذار رسول الله ﷺ بالقلب الموقن بالأذن الموقنة **الواعية** ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] كما **أندرنا** رسول الله ﷺ منذ ذلك بالعين التي أراها الله فرأت فجاءت تخبرنا فإذا نحن أعظم المقصودين في أمته «يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي».

ولو تلقينا الأمر بحدقة **أحدّ وأذن أوعى**، لرأينا أن النبي ﷺ أندرنا بكل الجيوش التي سوف تغزونا واحداً واحداً وإن لم يسمها جيوشاً، وما حديث تداعي الأمم إلا واحداً منها: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^١.

الانطلاقة الثانية: الاستجابة حالاً للنذير العريان هو الحل

١ أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٨/٢١) رقم (٤٠٠٣٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٨٢)، وذكره الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

أي صورة عند المؤمنين أبلغ في الإنذار وخطورة الأمر أعظم تأثيراً في قلب المؤمن من صورة رسول الله ﷺ وهو يطلع في الأفق البعيد... قد رأى هو لا ترونه.. فما كان منه إلا أن خلع ثيابه فأخذ يشير بها من خطورة الأمر واقتراب الاجتياح بجيش سار لكم تحت جنح الظلام طوال الليل.. فما للأمة حتى تتهاون بهذا الخطر من هذا النذير الذي لا نذير أصدق منه ﷺ، ولا خطر أقرب من هذا الخطر.

لقد نادى النذير العريان ﷺ على قومه في عهده آنذاك فاستجابوا ونجوا، وها هي الأمة اليوم تنتكّب لما استجابت له قرون الأمة الأولى، فعاد النداء كما كان بصوت رسول الله ﷺ وبإشاراته الواضحة بثيابه التي خلعها طول ما أحدثته الأمة، وهو في أشد الإشفاق عليها من الهلاك على يد جيش قد رآه بعينه... فهل ترون يا أمّتي.... رسول الله ﷺ...؟! إن لم تكونوا ترونه فإن الله - عز وجل - قد أراه هذا الحال وهذا الإعراض منكم! وحقاً لقد أعرضت الأمة عن نداء رسول الله ﷺ وعن منظره الموجه لكل قلب مؤمن فيه ذرّة حبّ صادقٍ لرسول الله ﷺ.. وهل الإعراض اليوم إلا عنه هو ﷺ؟! وهل الإعراض إلا تكذيب له ﷺ وتصديق لعدوه الذي خطف أمته ﷺ منه؛ لذا قال ﷺ: «فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْجُوا فَاَنْطَلَقُوا»، وقال: «وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ».

الانطلاقة الثالثة: على كل قرية أن تنقذ نفسها... فهذا هو الحل

في نداء رسول الله ﷺ هذا تحريض وأي تحريضٍ للأمة على أن لا تجتمع على الهلاك، وأن لا يغريها عددها ولا تجامل أحداً ولا تخاف أحداً، ولا تغرّها كثرة الهالكين وإن كانوا في الأصل من أبنائها، لذا قال ﷺ: «فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْجُوا فَاَنْطَلَقُوا عَلَىٰ مُهْلَتِهِمْ» (وفي البخاري: عَلَىٰ مَهْلِهِمْ)، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَائِهِمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ

وَاجْتَا حَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ»، فالنبي ﷺ يتكلم في الحديث عن طائفة وطائفة، ولا يتحدث عن فرد وفرد .. هذا هو الأصل ... واليوم قد أصبحت الطائفة المنظمة الواحدة المعترف بها بين الأمم إنما هي الدولة، فالدولة هي أكبر طائفة، ولهذا وجب على كل طائفة في هذه الأمة الواحدة وقد أصبحت دولاً أن لا تتفاحم على الهلاك ... وأن لا يغري أي دولة استجابة بقية الدول للشيطان الرجيم – نعوذ بالله منه – ... فتعصي رسول الله .. وتعرض عن نداءه وعن إشاراتِهِ حيث بعدت في الزمان حتى أصبحت لا تكاد ترى إشارات رسول الله ﷺ وهو يشير بشيابه في يده إليها ..

وكيف لا يُعدُّ هذا الإعراض هلاكاً إذا سكتت البلدة كلها وأسلمت أمرها لمهلكيها؟!!

عودوا إليه .. أصغوا السمع إليه .. فمن ذا يستحق أن يشغلكم عن نداء رسول الله

ﷺ وعوده هو إمام الهلاك ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرًا فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ٩٨ وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ بِنَسِ الرِّفْدِ الْمَرْفُودُ ٩٩ ذٰلِكَ مِنْ أٰنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِن ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ۗ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ اَمْرُ رَبِّكَ ۗ وَمَا زَادُوْهُمْ غَيْرَ تَتٰبٍ ١٠١ وَكَذٰلِكَ اٰخَذُ رَبُّكَ اِذَا اٰخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظٰلِمَةٌ اِنَّ اٰخَذَهُوْا لَيُمُّ شَدِيْدٌ ١٠٢ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْاٰخِرَةِ ۗ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ١٠٣ ﴾ [هود: ٩٦-١٠٣].

هذا هو العلاج القاطع الحاسم، وهو أن تحسم كل بلدة أمرها؛ أهى مع رسول الله ﷺ أم مع عدوه..؟! هل سيصّر أفراد البلدة على إسلام أمورهم لمهلكهم، أم سيعودون ويقولون: لبيك يا رسول الله ﷺ لبيك؟

الانطلاقة الرابعة: في قوله ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَأَتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ».

إذا النجاة بطاعة رسول الله ﷺ، واتباع ما جاء به... هذا هو الحل الوحيد. وهنا يحقق النبي ﷺ سبيل النجاة تحقيقاً، ويوضح الأمر إيضاحاً ليس بعده إيضاح... وما ذلك إلا لأنه النجاة لأمته في وقت هلاك محقق ولا سبيل للنجاة منه إلا بهذا، لأنه وقت التباس الفهم، وكثرت المشتبهات، واختلاط الحق بالباطل والباطل بالحق فكان لا بد من هذا الوضوح الذي يكون فيه رسول الله ﷺ في هذا العالم ومن بين هؤلاء العالمين ومبادئهم هو الفرقان كما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِرِصَالِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلُوها لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا:

فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالِدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقُ بَيْنَ النَّاسِ^١.

هنا جاء جمع النبي ﷺ بين الطاعة والاتباع فقال ﷺ: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ»^٢ فهذه عبارة لأول المباشر والتي عاصرت حياة النبي ﷺ وسمعت أمره ونهيه بنفسها فقال: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي» كما شمل من جاء من بعده ﷺ ولم يره فصدق عليه «وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ»، وشمل كذلك قوله ﷺ الاثنان ولا بد من الاثنان وهما طاعته واتباعه وأما طاعته فالظاهر فيها طاعته فيما أمر وترك ما عنه بنهي وزجر، وأما اتباعه فهي اتباع هديه وهو أوسع بكثير من الأمر المسموع ... فالاتباع يشمل كل ما ورد عن رسول الله ﷺ أما الطاعة فلعلها لم تشمل إلا عمل الظاهر، المطلوب الاثنان عمل الظاهر والباطن .. فإن الطاعة ظاهرة للناس وأما الاتباع فهو في كل ما تحسبه عبادة وما لا تحسبه عبادة .. وهنا يكون الفارق العظيم بين مؤمن ومؤمن، بين طائع ومتبع.

وهنا أمرهم وهو أن الله ﷻ ورسوله ﷺ جعل الحل في الطاعة والاتباع وهما الشاملان للحياة كلها، ولم يجعلها كما زعم البعض أنها في أهل كذا أو أهل كذا فكل هذه دعاوى لا يهبأ الله ﷻ بها وكلها تدخل فيما ذمّه الله من قول اليهود والنصارى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ لِلنَّصْرِيِّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ مَنُ أَتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ قُلْ فَلِمَ

١ رواه البخاري (٧٢٨١).

٢ رواه البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿ [المائدة: ١٨]، ولهذا قطع النبي ﷺ بحكمه
الفصل فقال: «فَذَلِكَ مَثَلٌ مَّنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ» إذا فالنجاة لهؤلاء وبهذا المنهج لا
بمَن زعموا بأن نجات الأمة بكذا أو بكذا؛ وكل يقصد مقصده هو، وبهذا عظمت التفرقة بين
المسلمين وصعب الخلاف وتصلب وترسخ واشتد لأنهم اشترطوا ما لم يشترط الله وشددوا
بما لم ينزل الله به سلطاناً!.. فالله ﷻ اشترط في المسلم للإسلام إلا الشهادتين وكفى، وهم
كافيتان في النجاة في القبر ومن الخلود في النار وهما كافية في حصول شفاعته رسول الله ﷺ...
ولهذا فإن من شددوا فشدد الله عليهم فضلاً أن يكون بهؤلاء نجات أمة محمد ﷺ ولسوف
تتضح عند الأمور أكثر بإذن الله، فالطاعة والاتباع قال الله ﷻ: ﴿عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ
مِّن رَّبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ ۚ وَكُتِبَ لَهُ ۖ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن
رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه:
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْقَائِمُونَ ۗ ﴾ [سورة النور]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ
أَنَا وَمَن اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [يوسف: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿
يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنفال: ٦٤]، وقال سبحانه: ﴿
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا
كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ [التوبة: ١١٧]، وقال
سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْحَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ ۖ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الحديث الثالث: المفتاح: [خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣]¹.

المشكلة: ترك الخط المستقيم واتباع السُّبُل المتفرقة

أن يبقى أصحاب السبل عن اليمين والشمال جميعاً يدعون إلى سبلهم ويبقى أصحاب الصراط المستقيم يتفرجون!

هذه هي المشكلة الحقة .. وهذه هي صبغة المجتمع المسلم في هذا العصر ... فكم هم الدعاة بالنسبة لأعداد أمة محمد ﷺ .. وكم هم الدعاة في القرون الأولى من أمة محمد ﷺ بالنسبة للأمة كلها؟!!

١ رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال الألباني: إسناده حسن.

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: إزالة الخطر عن الخط المستقيم ... هذا هو الحل الأول

هذا الخط الذي خَطَّهُ رسول الله ﷺ خط مستقيم يخرق كل العصور حتى يصل بيوم القيامة، لا يملك أحد شطبه ولا مسحه ... وهذا من فضل الله على رسوله ﷺ وعلى الناس، وهو حجة لأمة محمد ﷺ وحجة عليها ... ولكن هل يتصور أحد أن هذا الخط المستقيم من بعد عهد رسول الله ﷺ تعرّض للعدوان عليه كما تعرّض ويتعرّض له بكل صور العدوان في هذا العصر؟! بل أصبح الخط المستقيم في خطر عظيم، ولولا حفظ الله لاجتالته شياطين الإنس والجن من الوجود.

صلصلتهم، أخذ كل واحد موضعه، وتحصن له واستعد .. فكيف وجيوش العدو الآن اجتاحتنا .. وكل العدوان مركز على الصراط المستقيم .. هذا الصراط الذي هو أعلى ما عند الأمة، وقد كان محمياً ما دام المسلمون أمة ولها خلافة ...! ومن قد يرد مجد أن النبي ﷺ قد فعل شيء يستطيعه فهو من أقام الله به الملة، ورفع الصراط وأناره للعالمين .. لكنه هنا يستخدم لغة واضحة، وبيّنه لمن يقرأ ولمن لا يقرأ، فيخط على الأرض خيوطاً، ويذكر مع كل مرحلة شرحها ويبين الصراط المستقيم، ويغرز عن طريق الشياطين، ويوضح ذلك أعظم إيضاح، وما ذلك إلا لعظم خطر المساس بالصراط المستقيم، بل الإشارة هنا لعصر العلم الذي يعتمد ذهاب الأمية بذهاب الكتابة فإن التخطيط هو أخو الكتابة، وإن الرسم يوصل المعلومة مثلما توصلها الكتابة وأحياناً أكثر، وقد جمع النبي ﷺ الرسم والشرح بالقول، لأن هذا هو حد استطاعته .. إلا أن الصحابة رضي الله عنهم قد بلّغوا بلاغاً واضحاً جمع الخط والرسم والبيان بالصوت والصورة أو كادوا، فحفظ الخط إلى اليوم إذ زال أثره من الأرض التي خط

عليها .. وحصل المقصود، ووصلت الرسالة لمن يتعرضون للخطر على الصراط المستقيم لدرجة أن التبس عليهم الصراط بالطرق الأخرى، وذهب كثير من العلامات والمعالم وهو ما يسمى عصر الفتنة، وهذا لا يحتاج إلى كثير بحث لتعرف الفتن التي تركت الحليم حيران في هذا الزمان خاصة دون أي زمان آخر بفارق عظيم، حتى لا يكاد يوجد تقارب في شدة الفتن وتلونها ونفاذها وضحاياها. وبين يديّ الآن كتاب: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة للشيخ حمود التويجري رحمته الله الجزء الثاني، ويكفي أن تنظر في الفهرس نظرة لتعرف إلى أين وصلت الفتن حتى تكاد تقول: لم يبق إلا الدجال - لعنة الله عليه - .. فيا رب احم الصراط المستقيم، وأعدّه عاليًا منيرًا في العالمين .. وهنا نقطع بأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حفظت على مدار العصور وانتفع بها جميع الناس، وأنها اليوم قد وصلت إلى أصحابها الذين انكشفوا وانكشف الصراط دون أي حماية تذكر.

وهذا والله لا شك تنبيه من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمتة عامة، ولذا العصر خاصة إذ تعرّض الصراط لخطر لم تعرّض لمثله ولا قريبًا على مستوى الدنيا أبدًا!، وهل من خطرٍ على الخط المستقيم مثل هذا العصر ... فهل نعي - نحن أبناء هذا الزمان - هذا التنبيه ونقرأ الرسالة جيدًا؟! فإن حارس الثغري يبقى في حراسته الرتيبة وفي نظامه المعتاد، فإذا ما أخبر بأن عدوانًا سيقع عليه فلا بد أن يخبر قومه ويستنفرهم، فإذا ما سمع ولهذا فإن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتضي عملاً ذلك هو من لم يستطع أن يحمي الخط المستقيم كله من أوله إلى آخره بالنسبة للأمة كلها فلا أقل من أن يحمي كل حسب استطاعته، فهذا يحمي الخط المستقيم الذي يمرُّ ببلده كما يحمي خط أنابيب النفط الذي يمرُّ ببلده، لأنه سبب رزقه ورزق من أنعم الله صلى الله عليه وسلم عليهم، أو

كما يحمي خط أنابيب الماء، لأن الماء سبب حياة بلده ... بل الخط المستقيم أكبر أهمية وأمنة
وحاجة للحراسة.

ومن استطاع أن يحمي الخط المستقيم الذي يمرُّ بمدينته فليفعل .. وإلا ففي حيِّه
وأهله أو حتى أهل بيته فليفعل، بل يحمي الخط المستقيم الأقصر وهو الذي يمرُّ بنفسه فقط
فليفعل .. وليس بعد ذلك ذرة من أمانة على أمانة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

الانطلاقة الثانية: غيرة المسلم بالدعوة إلى الصراط المستقيم هي الحلّ

هنا الإشارة واضحة لجميع أبناء الأمة أن يقوموا بدورهم في حماية الصراط بنوع آخر
من الحماية .. لأن الخطر أصبح داهماً على الصراط من داخل الأمة ومن خارجها ... وليس
للصراط المستقيم من حماية مثل أن يتحوّل كل مسلم إلى داعية إلى الله، حينها يتحوّل إلى
حارسٍ بحق، بل يتحوّل إلى مهاجماً على الخطوط المشعّبة الأخرى على الصراط المستقيم؛ فإن
سألت عن الدليل على هذا فتأمّل في قوله ﷺ: «ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ:
«هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ووجه الدلالة: هو أن المسلم يغار
أن تكون الشياطين تدعو إلى سُبُلها المقطّعة المبتورة وقد أخذت أمرها بجِدٍّ لا ينقطع وجهه لا
يتوقف ولا ينام، بينما هو يكتفي بالتفرُّج والسلبية تاركاً الشياطين تفعل ما يجلو لها في الميدان
وحدها يتخطّفون أبناء الأمة وأبناءه وأهله إلى سبلهم ومن ثمَّ إلى النار وهو ينظر!

الانطلاقة الثالثة: لأجل استعادة صراط الله المستقيم .. وهذا هو الحل الحق

أن السبل الكثيرة التي حول الصراط غايتها واحدة وهي صرف الخلق عن الصراط
المستقيم، وليس المهم عندها أن تتجه إلى هذا الخط أو ذاك، فالمهم عند الجميع هو أن ينصرف

الخلق عن الصراط المستقيم ... فمتى يكون الخطر أعظم ما يكون على الصراط المستقيم وأهله؟! إنه الزمن الذي لا يكون للفرد المسلم على الحق أعواناً، ويكون العالم الذي تحكمه الشياطين قد أطبق على البلاد والعباد، بل على الأرض كلها ... وهل من زمنٍ من بعد بعثة النبي ﷺ استطار شر الشياطين - نعوذ بالله منها - فيه مثل هذا العصر ... إذا فالله ﷻ لن يترك الأمر للشياطين، ولن يترك صراطه وصراط رسول الله ﷺ تعبت به الشياطين حتى تصادره ... فهي الإشارة والبشرى للأمة أن تستعد لاستعادة صراط الله ﷻ ... وإعادة الناس إليه قريباً بإذن الله .

الحديث الرابع: المفتاح: [مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^١.

المشكلة: تأخر الجموع انتظارًا لمن يتدبّر!

المشكلة العظمى هي جمود العلم عن الحركة وجمود أهله عن الإقدام والتقدم ... وهذا هو التقليد في الجمود، وانتظار من يتقدم ليتحرك الإيمان والعلم في نفوس المؤمنين ... فالناس يسرون على خطى من تقدم ... وهذا هو سبب الحديث كما هو معروف مشهور وفي هذا الحديث علاجه!

الانطلاقة الأولى: العمل هو من يقدم صاحبه لا التسميات ولا الشعارات .. لا شك

أن الدعوة إلى الهدى هي دعوة وهي إما قول أو عمل، وهي هنا عمل وليس قول، والعمل أمام أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّ فَعَلَّ الْعَظِيمِ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي سَبَاقِهِمْ بَعْدَمَا رَأَوْهُ وَلَمَّا كَانَ هَذَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَعَلَّمَ عَامِلًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ»، فإذا رجعنا إلى الحديث الأول وجدنا أن العمدة في الثبات على هذا الدين والتمسك بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما

١ رواه مسلم (٢٦٧٤).

هي باتباعه ﷺ إذ ختم النبي ﷺ حديث عمر رضي الله عنه بقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» ولهذا فإن عيسى عليه السلام حين ينزل إنما يحكم بحكم رسول الله ﷺ بل هو لا يتقدم على المهدي عليه السلام لا في الإمامة ولا في الحكم .. فإذا مات خليفة الله حكم عيسى عليه السلام أربعين سنة.

وهكذا إذا نظرنا في الحديث الثاني والذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وجدنا أن رسول الله ﷺ جعل شرط النجاة ليس هو العلم بسنته ولا حفظها وإنما هي خطوة بعد ذلك وهي طاعته واتباعه ﷺ؛ وهكذا يحقق النبي ﷺ الاتباع تحقيقاً ولذا قال: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»، فإذا تأملنا في هذا الحديث وجدنا أن هذا الصحابي الذي استحق كل هذا الأجر، وأجوراً لا يعلم بها إلا الله ﷻ إلى يوم القيامة إنما حقق هذا بعمله هذا لا بعلمه ولو كان بالعلم فإن من المقطوع به أن من الصحابة رضي الله عنهم من يفوقه علماً بدرجات بينما هو لا يكاد يعرف في روايات هذا الحديث نفسه ... لذا فإن الذي قدّمه ورفعته وجعله إمام هذا الموقف بين الحضور الكرام ولا أكرم منهم في الأمة وإمام كل موقف مماثل إنما هو عمله .. فهو ما قام إلا بعلم ولا أتى بما أتى به إلا بعلم ولا استجاب لدعوة النبي ﷺ إلا بفهم ... لكن كان علمه ذاك الذي يكفيه لهذا العمل بل قد كفاه حين عمل به كفاه لبلوغ الإمامة .. وإنها لرسالة بليغة لعلماء المسلمين في هذا الزمان جميعاً، ورسالة خاصة لمن لا يعلم وبعلمه .. فضلاً عن من يعادي العلماء العاملين.

وهكذا يؤكد النبي ﷺ على طاعته واتباعه معاً وعدم معصيته والتكذيب بما جاء به ﷺ ... وذلك التأكيد يزداد حين يزداد الانفلات من اتباعه وتزداد معصيته ... فيكون هؤلاء أولى العصور بهذه الوصية ... فكيف إذا أصبحت مخالفتها ظاهرة ومعصيته ظاهرة؟! كيف إذا

كان أعداد العصاة والمخالفين هم أضعافاً مضاعفة لكل عصور هذه الأمة؟! كيف إذا كانوا هم ختام عصور أمة محمد ﷺ .. والعبرة في الختام؟! وإن ربط النبي ﷺ هذه بهذه «فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ» في فقرتين متجاوزتين ليدل على أنه جاء من باب ذكر الأمر ونقيضه، وهو مما يدخل في المثاني، وهذا يعني أنه أمر خطير في غاية الخطورة؛ فإن وقوف العالم خاصة أمام من يدع إلى هدى مثل هذا الصحابي رضي الله عنه فإن يدخله عند الله في دائرة معاداة الرسول ﷺ والتكذيب به .. لأن في هذا وراثته لأعمال الملأ الذين كفروا مع أنبيائهم ﷺ، وهو بغير شك صد عن سبيل الله.

ولنرجع إلى هذا الحديث العظيم ثانية بيقين الذي يعلم أن ربه عالم الغيب والشهادة وأن الله ﷻ قد أخبر رسوله ﷺ بكل ما هو كائن في أمته ﷺ، وما من شيء كان في أمته من بعد وفاته أشد على الإسلام مما وقع ويقع في هذه الفترة إذ هو الصراع الأخير، وهي ختام الأمم وختام المعركة ... وقد مر بنا كل هذا وبيناه بياناً واضحاً وهو أن رسول الله ﷺ يعلم بهذا، فانطبع علمه ﷺ بما أعلمه الله ﷻ من أحوال أمته في جميع أحاديثه تقريباً من خلال ما آتاه الله من جوامع الكلم ... وما آتاه الله جوامع الكلم إلا ليجمع أمته فيخطبهم من حضر منهم ومن غاب إلى يوم القيامة بخطاب واحد .. كل يغترف منه، ويرى فيه رسائله ﷺ إليه وإلى أهل زمانه، ويرى أن رسول الله ﷺ لم يغفل عن عصر من عصور أمته، ولا تغير من التغيرات التي أصابتهم وأنا إن ذكرت هذا بشكل عام في المقدمة، أذكر ذلك في جميع بياني للأحاديث السبعة عشر الأولى وهي أحاديث المرحلة الأولى؛ وهي مرحلة البيان النموذجي للأحاديث بشكل عام فأنا ملتزم بأعظم التزام وهو أن أظهر كيف أن رسول الله ﷺ يقصدنا

نحن، وأين موضع ذلك من حديثه ﷺ حديثاً حديثاً بإذن الله سائلاً ربي أن يعينني وهو السميع المجيب.

فلننظر في هذا الحديث ونرى عن أي شيء حدثنا رسول الله ﷺ في عصرنا هذا.

فإن من دعا إلى هدى كان في مجتمع الهدى وجماعة الهدى ليس كمن وعى إلى هدى في عصر الظلم والظلمات وهذا هو العصر الذي امتلأت فيه الأرض ظلماً وجوراً.. فلهذا فإننا نشعر جيداً برسالة رسول الله ﷺ لا أقول كما هي لأصحابه الهداة المهديين وإنما لنا نحن من باب أولى.

وخطاب آخر من رسول الله ﷺ لنا نحن أهل هذا الزمان أن الدعوة ليست شعاراً والداعية ليس اسماً ولا حزباً ولا هو ثقافة دعوية ولا دراسات نظرية إنما الداعية ممارسة فعلية وشروع في دعوة الهداية الفعلية.. ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» وهذا يعني إعادة النظر اليوم في منهجية الدعوة القائمة على العنصر النظري والتثقيف الفكري.. من كليات دعوة، ودراسات دعوية، وجماعات دعوية، ومنظورون وطلاب ربما عدد على مستوى العالمين بالملايين... ولكن ها هي نتائج دعوتهم ظاهرة... ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وخطاب آخر للنبي ﷺ لنا ولمن تسموا بأهل سنته أن سنة النبي ﷺ ليست حفظاً، ولا مظهرًا، ولا أذكارة.. فإن العبرة الحقيقية في طاعته ﷺ الطاعة المطلقة واتباعه ﷺ فلن يزيدكم عن رسول الله ﷺ وهو صاحب السنة إلا بعداً، وعليكم حُجَّة، انظر فكم هم الذين اتخذوا السنة راية ومظلة ليس إلا... حقاً إنهم كثير كما أن الدعاة الذين ذكرنا كثير كما أن علماء الكلام.. حقاً إن رسول الله ﷺ قد فصل أمتة تفصيلاً وأوضح لنا الحقيقة إيضاحاً ولسوف

أذكر هنا بعض الأحاديث التي ذكرها رسول الله ﷺ لتعلم أن ما قلته منصوص عليه وأنه يقصدنا لأنه يعلمنا ويعلم ما يقول.

الانطلاقة الثانية: المتقدم بعمله هو من يُقدّم من بين بقية العاملين

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَأُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ الشُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^٢.

لقد تجاوز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع الصحابة الكرام الجالسين عنده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم يذكرهم بمدح ولا تمييز مطلقاً، إنما أعطى التمييز كله والأجر جميعه لأول رجل تقدّم بعدما سمع موعظة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانطلق وجاء بها عنده من مالٍ من بيته، فتتابع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعده... ومن هذه الحادثة قعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فعملوا بها أحسن ما عملوا.. وانطلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كل زمان وعلى الأخص

١ رواه مسلم (١٠١٧).

٢ رواه مسلم (٢٦٧٤).

إلى الزمان الذي لا يُكْرَمون فيه اليتيم ولا يحاضون على طعام المسكين، ويأكلون التراث أكلاً
لَمَّا، ويجبون المال حُبًّا جَمًّا.

والدليل على أن هذا العصر هو المقصود هو قول النبي ﷺ: «صَلَّحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
بِالزُّهْدِ، وَالْيَقِينِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^١، ونحن بلا شك في مرحلة هلاكها الذي
يسبق يقظتها وهبَّتها... فأى مرحلة هذه التي بلغ بالأمة الشح هذا المبلغ؟! .. ومتى تخلَّت
الأمة عن إلزام أفرادها الأغنياء بدفع زكاة أموالهم؟!

ومتى أصبح عدوها يراقب إنفاقها في سبيل الله ويشرف عليها بنفسه؟!

ومتى أصبح جميع ما يخرج من الزكاة لا يتجاوز عُشر ما افترضه الله عليها..؟!!

ومتى تركت الأمة التبذير في مجال الفسق والإفساد والإضلال مفتوحًا على آخره، بينما

الحساب كل الحساب على إنفاق المنفقين وعطائهم!

ومتى أصبح العالم لا يطبق السبق إلى العمل الصالح قامت القدوة العملية، حتى

أصبح التقدم على الآخرين بعمل دعوة ولا كلام، كما تقدم الصحابي الأول فجاء

بصُرَّتَيْنِ ووضعها بين يدي النبي ﷺ، ذلك أن النبي ﷺ قد عدَّ هذا داعية إلى هدى وهو لم

يتكلم بكلمة واحدة كما رأينا الحديث والحادثة.

الانطلاقة الثانية: الإنفاق .. ثم الإنفاق .. ثم الإنفاق هو الحل

١ رواه أحمد في «الزهد» (٥٢)، وقال الألباني: حسن لغيره.

إذا فمن الأولى بالعمل بالدلالة على الهدى والقيادة في الخير كله ... أليس نحن الذين
أطلّ علينا رسول الله ﷺ في هذا الزمن الأصعب إذ كثر فيه أفراد أمته كثرة هائلة، وكثرت
أموالهم كثرة هائلة، وقلّ إنفاقهم حتى يكاد يجف!

لذا فإن العلاج الذي يعالجنا به رسول الله ﷺ هو الإنفاق فحسب، بل القيادة في
الإنفاق .. بل القيادة في وسائل الهدى .. القيادة في مشاريع الخير والبر فهي التي تعوض -
بإذن الله -، ثم إنها دعوة لنشر العمل المؤسسي في هذا الزمن من رسول الله ﷺ، لأن العمل
المؤسسي الصادق هو الطريق الفاعل والمسموح به في هذا العصر، ولا ينبغي أن يترك لهذا
السبب أو ذاك أبداً ... ولا يحسبن أحد رسول الله ﷺ لم يفكر بهذا ولا يريد هذا، وهو الذي
قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه
وجهله من جهله»^١.

١ رواه البخاري (٦٦٠٤).

الانطلاقة الرابعة: الحل أن يقف المسلمون مع داعي الهدى ... ويُحذِّلوا دعاة الضلالة

فالإنفاق في سبيل الله هو إنفاق، وهذا الرجل ما قام وألقى في المسلمين كلمة حضهم فيها على الإنفاق ولا أشار لهم إشارة أن قوموا وأنفقوا .. ولكنه قام بصمت إذ جلس الآخرون وأتى بما يسره الله ﷻ له من بيته فلما رآه الناس تتابعوا مسرعين كلٌ يحمل صدقته. فما الذي جعله [داعي هدى] كما قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» هل هي الصدقة؟

الجواب: لا إنما هو التقدم إذ جلس الباقون، إنما لأنه هو مَنْ فتح الباب بقدمته، هو دعاهم بعمله، هو مَنْ أصبح الإمام في الموقف والآخرون المأمومون من بعده ..! حقاً إن المفاهيم عندنا اختلطت كثيراً وتأثرت كثيراً، وإن عواصف التغير كثيراً!

بل إن الرسول ﷺ لم يحدد الهدى ما هو بل عممه من خلال صيغة النكرة، ولم يحدد الكيفية ولا كمية ولا نوعية، ولم يجعل له توقيت ... ومن زعم أنه لا بد أن يكون قد ورد فقد هجر واسعاً، وشرع ما لم يأذن به الله والأصل في الهدى كذلك وهنا مفهوم جديد للداعية وهو أن الداعية عند الله وعند رسوله ﷺ لا يشترط أن يكون خطيباً ولا واعظاً ولا مؤلفاً ولا ناطقاً إنما العامل الصامت السابق هو الداعي إلى الله وهو الداعي عند الله وإن عدّه الناس ما عدّوه. فالصحابه رضي الله عنهم جميعهم بغير شك دعاه إلى الله إلى أن هذا الرجل في هذا هو فاز بقصب السبق وهو من فضله على الأمة بأن جعل رسول الله ﷺ يخط هذا الطريق الجديد في الدعوة إلى الله .. وليس من خط لأجله الطريق أول مرة كمن جاء عبر الطريق من بعده مهما بلغوا.

بل إن الرسول ﷺ عمّم الأمر وقال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» فهو أمر عظيم، ومشروع لكل فردٍ من أفراد الأمة أن يدعو إلى هدى، وعلى الأفراد الحاضرين أن يستجيبوا له فوراً ويقتدوا به

ويقوموا ليفعلوا مثل فعله بغض النظر عن اسمه ورسومه وجنسه وأصله وفصله ... فما دام سبقهم إلى الهدى فليلحق به من حضر وهو مأجور أجرًا كاملاً، وإن هذه الأمة المباركة ..

ويا ويل من لم يتحرك ولم يقتدِ بمن تقدّم قبله في فعل الهدى والله - عز وجل - يقول: ﴿ هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال - سبحانه - : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۗ ﴾ [التوبة: ٧٩].

الحديث الخامس: المفتاح: [مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»^١.

المشكلة: ضعف أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أمته في هذا العصر ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الانطلاقة الأولى: اليقين أولاً بأننا المقصرون ثم يأت الحل إن هذا الحديث على محدودية كلماته الكريمة إلا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل من الإشارات الواضحة في هذا الحديث إلى درجة الإعجاز ينبها من غفلتنا إلى أنني أقصدكم وخصوصاً أنتم يا أصحاب هذا العصر الأخير الذي هو عصر انتكاسة الإسلام العظمى ...

«أَحَدَكُمْ»: أليست الخطاب في هذه الكلمة موجه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مباشرة؟! والجواب: بلى؛ فهل يُعرف عن أي واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال يوماً هذه المقالة في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعد مماته؟!!

اللهم لا.

١ رواه أبو داود (٤٦٠٥)، وصححه الألباني.

إذا فهل حصل أن أحداً قالها على **مر** العصور؟ نعم آحاد من البشر هناك وهناك لا يكادون يبلغون العدد المحدود جداً ثم إنهم لا يعدون من أمتهم وأغلبهم من الزنادقة الذين مثلوا الدخول في الإسلام وما هم بمسلمين أما في هذا العصر فإنهم فوق الإحصاء.

«لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ»: الكلمة الأولى هي تأكيد على معنى الضمير المتصل والمقصود منه الصحابة رضي الله عنهم .. وتعني لا أجدن وهو قطعاً لم يخدمهم في حياته إذاً فإنها تؤكد أن المقصود الحقيقي هم غير أصحابه وما أصحابه إلا صورة لفهم الخطاب .. الفهم الحقيقي وإلا فإنهم براء من هذا القول وهذا الفعل.

«مُتَكِنًا»: وهل أثر عن الصحابة رضي الله عنهم أن يبلغهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ثم هو لا يستجيب وأمره صلى الله عليه وسلم للوجوب ... بل يكفي أن تعرف استجابة حنظلة بن أبي حنظلة رضي الله عنه والذي يسمونه غسيل الملائكة، ورب العالمين يقول: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، أما هذا الرجل فواضح من إشارة النبي صلى الله عليه وسلم ... هنا إنا يقصد غير أصحابه، ومن هؤلاء بهذه الكثرة سوانا في هذا العصر، أليس هو العصر الوحيد الذي توقف فيه الجهاد وأصاب الناس فيه «الوهن» كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

ولقد غدت ضعف الاستجابة لهذا العصر الظاهرة العامة في المسلمين أنفسهم وغدى

القريب أن يستجيب مستجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن هم المقصود النبي ﷺ الأكبر؟!!

«مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ»: وهل عرفت الأرائك في عهد رسول الله ﷺ... الجواب؟

لا، ومتى عرفت الأرائك وشاعت إلا في هذا الزمان عند عامة الناس وعامة الأمة؟
إذا فمن المقصود إلا نحن. أرأيت كيف ألفاظ النبي ﷺ تصرف المقصود الصوري وهم
الصحابة ﷺ إلى المقصود الحقيقي وهم نحن؟

«مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي»: فمن في هذا الزمان خاصة الذين يأتيهم
الأمر من أمر رسول الله ﷺ؛ الواحد تلو الآخر فلا يغير اتكائه، ولا تهتز لحيته من أهل العلم
في هذا الزمان وأكثر هم من ينتسبون إلى الحديث... فإن واحد هؤلاء في العادة لا هم له
بموضوع الحديث، ومقصد رسول الله ﷺ ليس مقصده.. بل مقصده الجدال، والردود،
والإبطال واستخدام الحديث إليه سلاحًا في خصومة الآخرين.. فلا أحد على الإطلاق مثلهم
في هذا الزمان يأتيهم من الأمر رسول الله ﷺ ولا يتفاعلون معه.

«يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي»: تأمل كيف يصرف النبي ﷺ هذا التصرف عن أصحابه ﷺ
إذ يقول: «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ»، فالأصل في هذا أن صاحب الأمر غير موجود وأنه مات فجاءه الأمر
دون صاحبه، حيث يحمله غيره من رجل أو كتاب.. هكذا أتى الأمر «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي».

ثم إن قوله: «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي»: هذا يدل على ذهاب العهد الذي كان طالب
حديث رسول الله ﷺ هو الذي يطلب الحديث، ويأتي لصاحبه من بعيد، وأن هذا العهد وليَّ
وجاء إلى الوقت الذي الحديث يأتي إلى الرجل في بيته وهو جالس على أريكته عصر انتشار
الكتابة والعلم كما قال النبي ﷺ.

فأي عصر في الكتابة وانتشارها مثل هذا العصر، ومثل هذه الأيام وبمختلف الوسائل من ورق وشاشات وما إلى ذلك.

أي وضوح مثل هذا.

«مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ»: فهذا يدل على أن هذا ليس في عهد رسول الله ﷺ هذا هو الأصل؛ إذ الأمر هنا جاء بفعل الماضي: «أَمَرْتُ ... نَهَيْتُ» أي من قبل .. أي أمرت به في حياتي ونهيت عنه في حياتي.

ثم إن قوله: «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي» يبين نوعية الأمر وأنه أمرٌ حازم لا مرية فيه ولا سعة فيه، وليس المراد أنه أي أمر فإن تكرار الأمر يدل على الحزم والقطع وهو للتعظيم فالرسول ﷺ نسب الأمر لنفسه العظيمة ﷺ إعلامًا بالقرب والنسبة والمصدر والقطع بذلك وهذا مما لا يمكن أن يفعله أصحابه ﷺ ... فلا والله ولا واحدًا منهم.

«لَا نَدْرِي»: هذه كلمة كلها إثباتات لما بعد عهد النبي ﷺ!

«لَا نَدْرِي»: وأول ما يتبادر إلى ذهن من في هذا الزمان من قول هذا المتكئ على أريكته المسترخي هو التشكيك في صحة الحديث عن رسول الله ﷺ، واليوم قد أخذ الطعن في أصح الكتب الثابتة الإسناد إلى رسول الله ﷺ وعلى رأسها كتاب الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله .. وأخذًا هجومياً مكشوفاً لا حياء فيه بل ولا إنصاف، وواضح أن هذا الهجوم لا يقصد منه إلا رسول الله ﷺ وسنته وإلا فما دخل أبو هريرة ﷺ إلا لأنه أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له عن رسول الله ﷺ.

«لَا نَدْرِي»: توحى بالإنصاف لو أنهم دروا .. والحقيقة أنها تنبئ عن نفوس خبيثة تغذى بسموم لا شفاء لها ونفوس لا راحة لها إلا بالقضاء على هذا الدين! ولهذا فلا دواء لهذه النفوس إذا قالت: لا أدري، إلا أن يقال لها: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد على رأسه المتعفن بالحق على رسول الله ﷺ، فذلك هو صنع الملكين معه ومع أمثاله إذا ما سألوه عن رسول الله ﷺ: ما تقول في هذا الرجل المبعوث فيكم؟ فيقول - ذات الكلمة - : «لَا نَدْرِي»، وفي رواية: لا أدري، فتقول له الملائكة: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة لو ضرب بها جبل لأصبح ترابًا.

ثم إن إجابته في مقابل ذلك كله هو أن يشكك فيقول: «لَا نَدْرِي»؟! ولعل هذا يشير إلى الإبعاد في الزمن لما فيه من إشعار بقسوة القلب والله ﷻ يقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِفُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

ولعله يشير إلى علو نفسه ورفعة مقامه لأنه من أهل هذا الميدان وذلك لإشارة قوله في أول الحديث: «أَحَدَكُمْ» ولا كلمة أقرب إلى رسول الله ﷺ من هذه الكلمة.

ولعل هذا ممن يقال لهم من أهل العلم سواء علم الحديث ويريد بقوله: «لَا نَدْرِي» تحقيق الحديث لأن هذه عبارة ربا أفادت التشكيك والتوقف ولذلك قال بعدها عندنا كتاب الله أي أنه يزعم أننا سنأخذ المرجع الذي لا شك فيه!

أو ربما وهذا الأظهر كان ممن يسمى بالقرآنيين الذين يزعمون أن لا حاجة بشيء من القرآن حتى السنة وهؤلاء ما كان لهم ذكر مطلقاً أيام رسول الله ﷺ لكنهم قد أصبح لهم في

هذا الزمان كيان ونظام وانتشروا في فترة في بعض البلاد مثل ليبيا ... ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما اليوم فإنهم منتشرون في كل مكان، ولهم مواقع في الشبكة العنكبوتية، ولم علماءهم المضلون وأئمتهم المتهوكون ... وعلى كل حال فهو قوم «لَا نَدْرِي» إنما هم أهل هواء لا شك في ذلك ولا ريب، وأنها متكاثرون ومستكبرون؛ فإن قوله: «لَا نَدْرِي» يدل على تعظيم نفسه وذلك بإشارة التعبير الذي سبقها؛ إذ قال الرسول ﷺ عن نفسه: «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي» ولم يقل ﷺ: من أمرنا بينما هو هنا يعبر عن نفسه بضمير العظمة: «لَا نَدْرِي»، ولم يقل: لا أدري، وكم نسمع في هذه الأيام من يقول بمثل هذا القول. كما أن «لَا نَدْرِي» كما قلنا تدل على الكثرة فهم يتكلم عن نفسه وعن صحبه وما أكثر من أصبح هذا الزمان من ينكر ما يشاء من السنة، ويعلم ذلك، ويحاجج غيره، وهذا لا يكون إلا بوجود حماية لهؤلاء بل إمداداً لهم وتسخييراً للإمكانات لبعث الحرب على رسول الله ﷺ من داخل أمته ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه هي المرحلة الكبرى التي ظهر فيها هؤلاء، وهذا يدل على أن لا حكم للإسلام ولو كان حكم للإسلام لكان له وهؤلاء شأن آخر فهذا رسول الله ﷺ وهذا رجل يزعم أنه مسلم!

أرأيت إلى أي مدى فصل النبي ﷺ أمته تفصيلاً من خلال هذه الكلمات المعدودات؟! وأمر آخر أن هذا الرجل وأمثاله أصبح لهم منهج جديد في دين الله وهو أن لهم الحق في الاجتهاد ولهم الحق في الحكم .. وهذا ما كان ولن يكون إلا بعد طعن سنة رسول الله ﷺ أما في ثبوتها أو طعن في رسول الله ﷺ وفي أحكامه وصلاحياتها والعياذ بالله من ذلك ... لذلك فإنهم لم يجعلوا المرجع هذا لرسول الله ﷺ بل سحبوا المرجعية من السنة، وحولوها إلى القرآن وقالوا: عندنا كتاب الله بهذا التعظيم لأنفسهم، «مَا وَجَدْنَا فِي» فهم معظمون لرجعيتهم في النظر والإيجاد، فنحن من نجد ونحن من نرجح! وهذا يبين ما ذكرنا عن هؤلاء في هذا العصر

من أنهم ألغوا سنة رسول الله ﷺ من المرجعية، بل ألغوا رسول الله ﷺ من القدوة! وهذا لا يكون إلا بعد تجميع ما أخذهم على رسول الله ﷺ وشواهد ذلك وهذا كله من «أحدكم» ممن هم محسوبون عليه ﷺ من أمته في هذا العصر البعيد، وهذا يمثل استراتيجية بعيدة في المعركة حيث أن الشيطان الإنسي قرّر أن يبعث عدوه على الإسلام من داخله، فأنشأ لهذا عملاً مؤسسياً وله خططه وميزانياته وإمكانياته .. إنه الانقلاب كما يسمى في هذا الزمان على رسول الله ﷺ وما وجدنا في كتاب الله اتبعناه إنما يعني سحب التبعية من رسول الله ﷺ .. فهو آخر قدوة، وبالتالي فلا قدوة بعده في هذه المرحلة: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٤٣]، ولقد بينت في تفسير هذه الآية من سورة الرعد أنها لهذا العصر من نفس الآية ومما سبقها ومن جميع السور التي كلها كذلك، وقد أوضحت ذلك بحمد الله تعالى، إلا أن هذه الآية نفسها تبين أن ظهور هذه النبوة دليل على علو الإسلام الموعود وظهور الشاهدة العليا لرسول الله ﷺ على العالمين.

الانطلاقة الثانية: الحل بأخذ أمر النبي ﷺ وهداه بجد وقوة

ربما حدث بعد الخلافة الراشدة أن أناساً ممن غدوا بالنعيم وانغمسوا في الترف استقبلوا حديث رسول الله ﷺ وهم متكئون على آرائهم لا يعتدلون إجلالاً وإكراماً لصاحب الكلام ﷺ، ثم يقولون قولتهم هذه ... ربما أقول: ربما وجد أفراد في القصور هنا أو هناك، أما شباب العصر الحاضر فهذا هو خلاقهم، وهذا هو أديهم مع آبائهم الذين هم معهم في البيوت، ومع أكابرهم ... فكيف لا يكون هذا خلقهم مع حديث رسول الله ﷺ، بل إن هذا هو منهجهم مع حديث رسول الله ﷺ وليس هذا فحسب، بل هو منهجهم مع رسول الله ﷺ فهو إذاً ليس مع حديث ولا حديثين، بل هو الاسترخاء والترهل، وما ينبني على

أخلاق الترف، وترك الجهاد في سبيل الله، وترك الجلد في ذات الله، وترك المجاهدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك الأخذ على يد الظالم، أو أطره على الحق أطراً وقسره على الحق قسراً... وهذا لم يحدث إلا بذهاب الخلافة الإسلامية وهو ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^١، وفي قوله ﷺ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْضُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ قَضْرًا»^٢.

الانطلاقة الثالثة: الحل في ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿

الرد على أمر المصطفى ﷺ بكل خدرٍ وسرورٍ وغرورٍ ووقاحة، فإن ردَّ أمر النبي ﷺ هو ردُّ للنبي ﷺ ورده أمره هو ردُّ أمر الله، لأن طاعته طاعة لله - عز وجل - وما ساوى الله - عز وجل - طاعة أحدٍ من خلقه بطاعته إلا طاعة رسوله ﷺ فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

١ رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الألباني.

٢ رواه أبو داود (٤٣٣٦)، وضعفه الألباني.

حَفِيظًا ﴿ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢]

الانطلاقة الرابعة: الحل بإلغاء بركان المنكرات ومبعثها

ليس العلاج بأن يترك الناس الجلوس على الأرائك فذلك لا يقدم ولا يؤخر شيئاً وإنما العلاج بأن يترك المنكر الذي وقع كل إنسان فيه وهو ردُّ سنة النبي ﷺ بهذه الدعوى أو تلك، وإعادة مقام سنة النبي ﷺ بيننا، والجديّة في تلقيها، تعظيماً لمن بعثه وهو الله رب العالمين، وتعظيماً لرسول الله ﷺ، والإنكار على كل من يفعل هذا المنكر حتى لو لم يكن بحرفية هذه الصورة، ولو لم يقل هذه الكلمات، فإن الحقيقة أننا نلتفت إلى آحاد الناس الذين يقعون في المنكر وتصورنا لا يتجاوزهم ولكن يأتي من يسمونهم المُشَرِّعون للدساتير الوضعية ويستكثرون أن يأخذوا عن النبي ﷺ بعض التشريعات، بل ويستكبروا على هذا المصدر... وهم الذين درسوا في أعرق الجامعات العالمية! فكيف يأخذون شريعته كلها؟!

هذا هو المنكر الكبّار الذي لا يكاد يُرى بجواره كل منكرات آحاد الناس. وهؤلاء المشرعون إنما بقولهم هذا إنما يريدون إلغاء السنة، ثم هم لا يأخذون من القرآن إلا بالهوى... فيُحَكِّمون أهواءهم على القرآن، لذلك أحالوا كما في الروايات الأخرى على القرآن على أنه مرجعية من مرجعياتهم الدستورية.. والحقيقة هي أنه آخر مرجعياتهم الدستورية، بل لا يُعَدُّونه مرجعاً لهم مطلقاً... وهم يصرحون بأن التزامهم بالشرعية الإسلامية يسبب لهم الحرج البالغ، ولهذا يقول الدستور في أحد البلاد الخليجية: [الشرعية الإسلامية مصدر من مصادر التشريع]، ويقول في المذكرة التفسيرية للدستور: [ولم نقل: إن الشرعية الإسلامية هي المصدر الوحيد للدستور، لثلاث نضع المشرع في حرج بالغ].

إذًا فهم يريدون التحلل من الشريعة الإسلامية متى احتاجوا إلى قانون في معاملة ما، ولهذا يقولون: [عندنا كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه]، ألا إن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله. وسيأتي معنا هذا الأمر بشكل أوضح في الحديث القادم – بإذن الله تعالى –.

فلا يحسبن أحد أن تصوّر النبي ﷺ لم يتجاوز إلا حالة فردية كما يظن من قرأ الحديث وأن تصوّره لم يبلغ إلى هذا المنكر الذي هو منبع المنكرات، فذاك الفرد خطره على نفسه، وهذا خطره على الأمة كلها وعلى دولته كلها، وهو الذي – كما نراه – أصبح سبب ضلال دول، والله ﷻ يقول: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } [التوبة: ٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحْلَوْا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»^١.

إذًا فهذا الذي لزم الأمة أن تقوم لأجله مُنكرة، مُهللة، مُكبرة، فلا تتوقف حتى يعود رسول الله ﷺ إلى الإمامة، ويعود كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهما الوحيان اللذان جاء بهما ﷺ وإلا فالهلاك الهلاك .. عيادًا بالله من كل ذلك.

١ أخرج الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

الحديث السادس: المفتاح: مَنْ أطاع الداعي دخل الدار

الحديث والحادثة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فأضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأذبةً وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأذبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأذبة، فقالوا: أولوها له يفتقها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس»^١.

المشكلة: في معرفة الناس الإيذان

المشكلة الحقة هي أن البعض يحسب أن مجرد الإيذان القلبي كافٍ في الإيذان والإسلام، وأن طاعته أمرٌ منفصل عن إيمانه.

١ رواه البخاري (٧٢٨١).

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: فليكن قلب قارئنا يقظان فنحن المقصودون في هذا الزمان:

«جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِيَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَأَضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ».

هذه ملائكة جاءت تعرفنا نحن أهل هذا الزمان، كما تعرف أصحاب رسول الله ﷺ في الأصل، ومن بعدهم إلى يوم القيامة برسول الله ﷺ، وبهديه على مدى الأزمان.

أولاً: فإن الملائكة حين جاءت لرسول الله ﷺ وجدته نائماً وهي تعلم وقت مجيئها ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، وكل حالة في هذه الحادثة ... وكل كلمة من كلمات الملائكة إنما وراءها ما وراءها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فاللهم اجعلنا جميعاً منهم.

وأنا أرى والله إن في هذا المثل الذي ضربته الملائكة الكرام لرسول الله ﷺ هو مثل أكبر من عمره ﷺ الذي عاشه على هذه الأرض وبين الناس، هو أكبر من ثلاث وستين سنة، وهو ممتد منذ ولادته إلى يوم القيامة، بل هو ممتد من آدم ﷺ إلى يوم القيامة ... ولا غرابة في هذا أبداً فإنه مثل، وإنه حق، ورسول الله ﷺ حق، ولا غرابة في هذا أبداً .. ذلك أن «النوم أخو الموت»، ورب العالمين يقول قبل ذلك: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي

١ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٤٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٨).

ذَلِكَ لَا يَتَّ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [الزمر: ٤٢]، أي: يتوفى الأنفس حين نومها بدليل قوله: ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾، ولهذا فإن الملائكة حين جاءت للنبي ﷺ وهو نائم أي قبل أن يستيقظ، في ذلك العالم قبل أن يخلق وقد كان نائماً قبل أن تأتيه الملائكة الكرام هؤلاء، وقبل أن يطلب بعضهم من بعض أن يضربوا له المثل، وهذا ما يعني قبل بعثته بل قبل حياته ومع هذا فما كان النبي ﷺ عدماً من العدم وما كان ﷺ كأى ممن سيأتي وهو القائل ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ»، ففي هذا إشارة لهذا، ولا غرابة في هذا الربط أبداً ما دام له دليلاً، أم يحسب البعض أن مثل الملائكة مثل كسائر الأمثال، أو أن النبي ﷺ يقول هناك قولاً ثم يغفل عنه حين يقول قولاً آخر أو ينساه .. أو أننا نحن نستطيع أن نربط هذا الربط بينها رسول الله ﷺ لا يستطيع! عياداً بالله من ذلك .. وإني والله أودُّ أني كنت نسياً منسياً وأن لا يتبادر إلى ذهني ذرة فكرة أني علمت ما لم يعلمه رسول الله ﷺ ... أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم.

ثانياً: أن هذا المثل ليس لحياة النبي ﷺ وإنما هو مثل لدينه كله ومسيرة دينه في هذه الحياة ... أليس بقاء دين رسول الله ﷺ وإخباره بهذا عند رسول الله ﷺ أكبر أهمية بما لا يحصى عند رسول الله ﷺ من اهتمامه بمعرفة عمره ﷺ، ثم إن الدليل واضح من نفس الرؤيا ومقصود الرؤيا لا يظهر إلا بتعبير .. أو لم تخبر الملائكة رسول الله ﷺ وأخبرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال: «كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَادُّبَةً» فهل هذه الدار موجودة أم أنها ذهبت بموته ﷺ؟ وهل المادبة ما زالت عامرة أم أنها رفعت؟ وهل ما زال الداعي يدعو إلى هذه

١ أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٧٤/٧) رقم (١٦٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨١).

الدار أم انقطع ذلك الصوت الكريم، وهل ما زال من الناس من يستجيبون فيدخلون فيأكلون أم رفعت المائدة؟! معاذ الله من ذلك! إذًا فإن هذا أقوى دليل وأعظم شاهد من ذات الرؤيا على أن هذا المثل غير متعلق بشخص النبي ﷺ الكريم فقط بل بشخصه وبدينه على مر العصور من بعده إلى يوم القيامة.

ثالثًا: وما دمنا عرفنا وقطعنا بأن هذا المثل هو مثل لشخص رسول الله ﷺ ولدينه ولأمته إلى يوم القيامة، وأن الداعي موجود وإن مات رسول الله ﷺ، وأن الدار موجودة لا تُغلق، وأن المائدة منصوبة لا تُرفع، وفي نفس السياق فإن النوم واليقظة هما أمران ظاهران حالة مجيء الملكين للنبي ﷺ، ولكن سياق الرؤيا ووحدها الموضوعية وروحها الواحدة وهذا هو الأساس في التعبير، وفي التفريق بين الرؤيا التي هي من الله ﷻ وبين الحلم الذي من الشيطان، ولهذا فإنه لا بد أن يكون التعبير عن النومة الأولى هو مرحلة ما قبل بعثة النبي ﷺ خاصة، لأنها أقرب إلى الموت، فالأمة لم توجد بعد وإن وُجد رسول الله ﷺ، وأما النومة الأخرى فهي مرحلة ضعف هذه الأمة ونبذها مصدر حياتها وهو القرآن العظيم وهدى رسوله ﷺ، وهذه هي المرحلة التي نحن فيها قطعًا، لأنها هي المرحلة الوحيدة التي عاشت فيها الأمة من غير خلافة، فهي مرحلة موات للأمة كأمة، نعم هم أفراد، وهم شعوب، وقبائل، ودول، لكن الأمة كأمة لا وجود لها، وهذه هي مرحلة النوم الثانية ذلك، ولهذا فإن تكرار نفس العبارة مرتين ما كان هذا التكرار عبثًا، إنما كان لأنه يُمثل مرحلتين؛ فأما المرحلة الأولى فقد كانت ما قبل الرؤيا، وأما الثانية فقد كانت ما قبل تعبير الرؤيا.

لكن الذي يظهر وهو لا بد أن يكون فإن الداعي إلى المأدبة سوف يكون أعظم ما يكون في الأولى، وذلك لأن الداعي في المرحلة الأولى هو رسول الله ﷺ والمدعوون هم

صحابته الكرام، وكل ما كان فمنهم ﷺ ومن القرون الثلاثة الأولى إلى أن انقطع الطريق وانقطع التواصل وفرغت المائدة أو كادت وذهب صوت الداعي أو كان .. وهذه هي النومة الثانية.

لكن بعدها سوف تكون اليقظة التي سوف يكون الداعي يصدق في كل الأرض وتكون الدار أكثر ما تكون ازدحامًا، وتكون المائدة أعظم ما تكون عمارًا .. لأنها المرحلة التي قال فيها النبي ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^١.

رابعًا: الإشارة: دون يقظة القلب لن تبلغ شيئًا:

لقد كانت الملائكة المأمورة من ربها ﷻ قادرة على أن تقول له التعبير من غير مثال لكن سوف تخسر أمورًا كثيرة أولها وعي القلب ويقظته الذي لن يستخرج كوامنه العجيبة بالأمور السطحية والعناوين الظاهرة، وإذا خسر الإنسان وعي القلب فقد خسر أعظم ما في الإنسان وهو وعيه وعقله ولبّه وحجره، وسوف يذهب إبداعه وإنتاجه، وفقهه، وإدراكه، وسوف يفقد أهليته لخلافة الله التي بها استخلف آدم ﷺ في الأرض إذ عرف الأسماء كلها وتعلمها ... إذاً فإن ضرب المثل فيه وعي القلب وليس بعد وعي القلب إلا النوم ولهذا قال الله ﷻ: ﴿... وَإِذَا ضَرَبَ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿...﴾

١ رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وصححه الألباني.

وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [الحشر: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ [إبراهيم: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿ [الإسراء: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ [الكهف: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿ [الروم: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ [الزمر: ٢٧].

هكذا هي الأمثال أهمية، ومكانة، ودلالة، وهداية، ورحمة، ونورًا، فمن لم يُعطِ الأمثال حقها ويبلغ منها مراد الله ﷻ فيها فعليه أن يخاف على نفسه أن لا يكون من الذين يعقلون، ولا من الذين يتذكرون، ولا من الذين يتفكرون، وليس من العالمين.

فكيف وهذا الحديث مثل لرسول الله ﷺ وهو ذروة الذرى في ذرية آدم ﷺ كلها ﷺ

؟...

ثم يأتي من يستكثر أن نقول فيه بعض التفصيل، ويحسب أننا تجاوزنا، بل والله قصرنا .. فكيف بمن لم يبين شيئًا، وعبر عبور الريح العاصف .. وحقه أن يبقى هنا متدبرًا متأملًا قائمًا عليه معتكفًا وعاكفًا.

الانطلاقة الثانية: طاعة رسول الله ﷺ من قبل الجميع هذا هو الحل.

إن هذا المعتقد أصبح في هذا الزمان هو الفتوى العامة التي تُدرّس، وهي عماد الاعتقاد بإسلام أناس ما هم بمسلمين، والأمر على عكس ذلك تمامًا، لأن هذا المثل الذي ضربه الملكان لرسول الله ﷺ جعلاً له الطاعة المطلقة على كل أحدٍ دون استثناءٍ أحدٍ من أمته، فكل فردٍ في أمته مُلزَم بطاعته ﷺ سواءً كان فقيراً أم غنياً، حاكماً أم محكوماً ... لا يُستثنى من ذلك أحدٌ، فالناس جميعاً مُلزَمون بطاعته، ودخول الجنة مرهون كذلك بطاعته؛ فمن لم يطعه لم يدخل الجنة، لذا قال الملكان في المثل: «فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُوبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُوبَةِ». فالدار: الجنة. ويكفي أن تقول الملائكة طاعة الله بطاعة رسول الله ﷺ، ويكفي أن يجعل الله ﷻ فرقان الناس وميزانهم إلى يوم القيامة وليس في عهده وحده ﷺ هو رسول الله ﷻ .. فتقول الملائكة في ختام هذا المثل العظيم «فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ» وهذا يعني بكل وضوح أن ما من مشكلة أو معضلة أو فتنةٍ أو خصومة فردية أو جماعية أو عالمية أو قديمة أو علمية وحضارية عند الناس إلا ورسول الله ﷺ هو المرجع في حلها والخلاص منها، وهو مَنْ يحول ظلمتها إلى نور، وبؤسها إلى سعادة.

«وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ» يعني كذلك أن هذا الحل الذي ذكرناه لما ذكرنا من المشاكل ولما لم نذكره موجود في هدي رسول الله ﷺ ولم يدفن معه .. بل هديه باق ونور وعلمه، وبركته، ورحمته، ورأفته، وخيره ﷺ باق في أمته ما بقي الليل والنهار، وهو للعالمين كافة .. فمتى يدرك العالم ذلك؟!!

الانطلاقة الثالثة: كما عَلَّمَتْنَا الملائكة أن القلب يقظان صَرَبَا المثل ... فلا نكن نحن

النائم

حين جاءت الحالة الثانية وأصبح القلب نائم وهو هذا العصر فقد اختلط على بعض الناس طاعاتِ أمر الله بها، بينما هذه لم تختلط على أحدٍ من العصور السابقة إلا في العصر الحاضر؛ أي منذ مائة عام حين أسقطت الخلافة الإسلامية ... فتبيّن بهذه العلاقة أننا نحن المقصودون تحديداً دون غيرنا بجميع الدول التي انشقت من أمة محمد ﷺ ... لأنه قبل ذلك ما كانت إلا خلافة واحدة جامعة ابتداءً من عهد النبي ﷺ والخلافة الراشدة إلى ما بعدها، وحتى سقوط الخلافة العثمانية وتقسيم ما أسموه تركة الرجل المريض .. هنا ظهرت الدساتير الوضعية، وأصبحت عند ذاك أن من أكبر الكبائر هو الكُفر بالدستور وعدم طاعته .. وأن الطاعة المطلقة التي لا يجوز مناقشتها مطلقاً إنما هي لمن يوقّع على الدستور فيصدره، أو من يرثه من بعده ... وبناءً على هذا نعلم أن مقصود النبي ﷺ الأعظم ليس هو الفرد من أفراد الأمة أو الدولة فحسب، فهذا أهون ما يكون وربما كان معذوراً، وغالباً ما يكون أثره قاصراً عليه، إنما الصورة الكبرى والمخاطر العظمى تلك التي تعدّت في هذا العصر إلى الدستور والقوانين التي تشمل كل من تحتها من الأفراد وهم مجموع الشعب أو الأمة.

فلهُؤْلاءِ جميعاً دون استثناء هو أن الوحيد الذي دخول اللجنة مرهون بطاعته هو رسول الله ﷺ وإلا فلا دار ولا مادبة ولا جنة ...! ألا ما أعظم من صدّ الناس عن منهج رسول الله ﷺ، وصر فهم عن الاستجابة لداعي الله، إنه لا يُحرم من دخول الدار فحسب، إنما يتحمّل الأوزار كاملة غير منقوصة لمنكرات لا حدّ لها ولا منتهى ... وليس من منكر مثل مساواة

أحد نفسه بالتشريع مع رسول الله ﷺ، فكيف بتقديم نفسه في التشريع على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ؟!!

الانطلاقة الرابعة: ما أحوجنا في هذا الزمان إلى الفصل والتفريق برسول الله ﷺ

إن هؤلاء الملائكة أعطونا الفرقان الذي نفرّق به بين المدّعي أنه إن كان مؤمناً أو ليس بمؤمن، وعلى الأخص إن كان مطاعاً كالحاكم، فإن المقياس المفرّق هو طاعة رسول الله ﷺ، فنحن ننظر لطاعته لرسول الله ﷺ؛ فإن كان في حياته يطيعه وفي دستوره وقوانينه وقراراته يطيع رسول الله ﷺ فإنه طائع لله ويدخل الدار، والدار الجنة... وإلا فلا، بهذا الحزم وهذا التفصيل، ولذا ورد في هذا الحديث: «فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقُ بَيْنَ النَّاسِ».

الانطلاقة الخامسة: لم تُذكر هنا محبته، وإنما ذكرت طاعته ﷺ

إن عودة الأمة مرهونة بطاعة رسول الله ﷺ كأفراد وكمجتمع، وإلا فكل ما سوى ذلك إنما هو المسير إلى دورٍ أخرى، وإن هذا الفرقان الذي جعله هؤلاء الملائكة ليس للحكام وحدهم، وإنما هو لمعرفة العلماء والعباد وعامة أمة محمد ﷺ، وأن الملكين لم يذكرنا هنا، ولا في الأحاديث التي مضت محبة النبي ﷺ، لأن أمة محمد ﷺ تحب رسول الله ﷺ ولا نقاش في هذا أبداً، لكن رغم الحب وحده لا يُدخِل الدار، بل لابد مع الحب من طاعته وإلا فبغير طاعته لا محبة لله تعالى ولا محبة له، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

الحديث السابع: المفتاح: [ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رِجَالٌ يَنْصَبُونَ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ نَصَبًا شَدِيدًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ، وَلِكُلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَأُمٌّ، مَا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى مَعَاصِي اللَّهِ فَذَلِكَ الْمَالِكُ»^١.

وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»^٢.

المشكلة: مشكلات الحماسة ومشكلات الفتور!

كيف حلَّ النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة متأصلة في كل معتقد جديد؛ إنها مشكلة الزيادة عند الحماسة، ومشكلة النقصان عند الفتور .. بناءً على اجتهادات الناس ونفسياتهم. وأين هذه المشكلة في عصرنا؟!

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصرنا:

الانطلاقة الأولى: إعطاء المشكلة حجمها وأنها طبيعية، وهذه أول خطوة في حلها

١ رواه أحمد (٦٥٤٠)، وصححه أحمد شاكر.

٢ السنة لابن أبي عاصم (٢٧/١) حديث رقم (٥١).

فواضح من نص الحديث أن ثمة مشكلة واقعية كانت هي السبب في هذا الحديث، وهم أناس نصبوا للعبادة نصباً شديداً... وواضح أن مجتمع النبي ﷺ مؤسس على قاعدة أن النبي ﷺ فرقان، وأن الرجوع إليه في كل مستجد على دين الله واجب، وهكذا صنعوا في هذا الجديد مع أن شكله مغرٍ بطلاب الدار الآخرة..

أما الحل الذي جعله النبي ﷺ لهذه المشكلة العظمى فهو:

أولاً: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ» فعلى المسلمين المعالجين من علماء ومسؤولين، وأهل هؤلاء الشباب أن يعرفوا أن هذا الأمر طبيعي فلا يخدعهم الإعلام الكافر فإن هذا بعض مكرهم، فمن صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ﷺ، أم صدق هؤلاء الكذبة المجرمين!

بل النبي ﷺ يصنّف هذه الحالة أنها من ضراوة الإسلام فهي من قوة الإسلام وتفجّره وتقدّمه وانقضاضه... فليس الإسلام برهبانية العزلة، ولا إذا ضربك رجل على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، كيف وهؤلاء مظلومون، مقهورون، مجوعون، مشردون، مطرودون من وظائفهم، رأوا من الضيّم ما رآه بنو إسرائيل في أنفسهم وفي أعراضهم، ورأوا ما رآه أصحاب الأخدود من الطغاة.. فكيف لا تتحوّل ضراوة الإسلام وبشكل طبيعي من شدة في العبادة والاجتهاد فيها إلى ضراوة ضد أعداء الله تعالى، فدخل شياطين الإنس هنا فصوروا لهم أن أعداء الإسلام هم حكام بلدانهم وشرطتهم ومن يؤيدهم، كما أنهم أروا عامة المسلمين أن هؤلاء هم أشد الناس وأخطرهم على عامة المسلمين، كما أروا الناس أن هذا هو الإسلام! كيف حلّ هذا النبي ﷺ بكلمة «تِلْكَ ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ».

الانطلاقة الثانية: الخطورة في المشكلة هي تحولها إلى منهج .. والحل بإبطال منهجها

ومنهجيتها وتفكيك المجموعة بالعلم والحكمة

لقد ظهر في أول الإسلام، أقصد في عهد النبي ﷺ رجال رأوا أن بهم من القوة والتحمل أكثر بكثير مما عرفوا فطلبوا المزيد، ومنهم من اجتهد وعمل على غرار عمل النبي ﷺ فكان هذا الميزان العظيم الذي وضعه النبي ﷺ ... ولو كان المقصود عهده ﷺ وحده لما وضع هذه القاعدة العظيمة الخالدة ... ثم ظهر بعد ذلك الخوارج والذين كانوا في ذروة الاجتهاد في العبادة والعمل وهي ذروة الشرِّة، فحذّر منهم النبي ﷺ وقال: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سَيَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيْقُ»^١.

أليس هذا العصر الذي استغلَّ العدو فيه ضعفنا وفرقتنا فجمع مكره وكيده واخترق صفنا بأبناء أمتنا، وربّاهم على عينه عين الشيطان - نعوذ بالله منه -، وجعل جنده هذا النوع من الشباب المبالغ في عبادته وفي أحكامه ... فاخترقت الأمة بهم، اخترق العدو إلى أفغانستان بهم، ثم إلى العراق، ثم إلى جزيرة العرب، ثم مصر، ثم الشام، ثم اليمن، وهكذا وهكذا.

كل ذلك من الشرِّة هذه التي تحوّلت إلى انفلاتة فما أصبح هؤلاء من الدين إلا المبالغة في أمرين؛ أمر التكفير، وأمر التقتيل، وكلا الاثنین قبيح ومدمّر على الإسلام والمسلمين، فرأى

١ رواه أبو داود (٤٧٦٥)، وصححه الألباني.

الناس كافة ما رأوا من تشويه صورة الإسلام إذ عجز كل الإعلام الكافر عن بلوغه، إذًا إلى أي مدى بلغ تحذير النبي ﷺ لنا من هاتين الحالتين؟! وانظروا لو أن أبناء الأمة فهموا هذا كم كنّا اتقينا من المصائب والفتن، وضياع بلدان، ثم ضياع شعوب، ثم هروب بعد هروب من بلدان المسلمين إلى بلدان الكفر، والحظيظ عند الشعوب من استطاع أن يرحل ... كل هذا كان بحيلة هؤلاء الذين صنعهم العدو وصنع منهم حربته واخترق بها جسد الأمة وقلبها النابض إلى أن أنفذ حربته.

ويمكن أن يكون ردة فعل عظيمة عند بعض الشباب الغيور على دينه في وقت انبرى كل العالم يحاربون الإسلام، وأصبح من يباشر العدوان على الإسلام هم أهله، فيثور لهذا الأمر هو من هنا وآخر من هناك وهكذا، وما ثورة هؤلاء غالبًا إلا من شرّة الإسلام وضرأوته.

الانطلاقة الثالثة: إعادتهم بالكتاب والسنة إلى الكتاب والسنة:

«فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَا مُمْ، مَا هُوَ»، وهو في حقيقته حصّ من النبي ﷺ على إعانة هؤلاء بالعودة إلى الكتاب والسنة فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي العصمة وهي الطريقة الواضحة والقاطعة، وتجاوزها يعني الهلاك .. فليس بعد السنة إلا الهلاك. ولهذا فنحن نرى أن الكثيرين ممن تشدّدوا إذا لم يرجعوا إلى السنة ضلّوا ضلالًا مبيّنًا، فليعلم الناس وليعلم هؤلاء أن عودتهم إلى السنة إنما هي عودتهم إلى الرحمة المهداة .. عودة إلى رسول الله ﷺ .. وإنما الحقيقة؛ فهل يطرد رسول الله ﷺ أبناءه إذا تابوا وآبوا وأنابوا إلى الله.

الانطلاقة الرابعة: بيان كيفية أن شياطين الإنس هم من يفرحون بهم، وهم من

يوظّفونهم في هدم إسلامهم، وفهم هذا جزء مهم من الحل

لابد من الرفق بهؤلاء، والحلم عليهم، مع الأخذ على أيديهم .. فإنهم في كثير من الأحيان يكونون مستغلين من قبل العدو، والإشارة لهذا بقول النبي ﷺ: «تِلْكَ ضَرَاوَةٌ الْإِسْلَامِ وَشَرُّهُ»، وجعلها على الإسلام وأهله كما رأينا ونراه ليستغلها هو فيطعن الإسلام .. فيقضي عليه .. ولكن ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]، ثم ينبغي أن نكون أكثر حذراً ورفقاً بأبنائنا، وأكثر فطنة.

وينبغي أن لا نبالي مطلقاً بما يقوله غير المسلمين في هذا ... إذ هل يبالي الرجل بمن يدخل بينه وبين ولده، فهؤلاء أبناء رسول الله ﷺ فالحذر الحذر من العدوان على أبناء رسول الله ﷺ فهو القائل: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ»^١.

وإن الحقيقة أن عامة هؤلاء وجملتهم إنما هم ضحايا أناس من المسلمين في الأساس لقتلهم العدو أخبث التلقين، ورضعهم وطمعهم، وغدأهم حتى غدوا قادة في جيش الشيطان - نعوذ بالله - ودخلوا من باب ضراوة الإسلام، فاستجاب لهم هؤلاء الشجعان المستعجلون، قليلو العلم والدراية.

وما أثارهم في الأساس إلا علو المنكرات والاستعلان بها، وكثرة الاستباحت، كما أنه الفقر والإفقار المقصود بعدم وجدان مقومات العيش المعتاد في بلادهم .. فلا بلدانهم توظفهم، ولا من أهل من يكفيهم، أو يشعر بهم أساساً ... إذاً فما هو إلا الخروج، والهجرة، والجهاد! عياداً بالله تعالى.

إذا فوصية رسول الله ﷺ هي أن نعيدهم إليه هو ﷺ.

١ رواه أبو داود (٨)، وحسنه الألباني.

الحديث الثامن: المفتاح: [إلا من أبي]

الحادثة والحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»^١.

المشكلة: مشكلة عدم دخول الجنة!

كان الأمر في عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوجد رجل يأبى ... ولهذا استغربوا .. فهل مازال هذا الذي يأبى غريباً .. أم عادت الأمة هي الغريبة؟!

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا:

الانطلاقة الأولى: السنة ليست حكراً على نفرٍ مُعَيَّنِينَ

ومن هذا الحديث ننتقل إلى أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست قاصرة على ما اصطاح عليه طلاب علم الحديث ومن يسلك مسلكهم في هذا الزمان خاصة، حتى أصبح في فترة معينة قبيل هذه القليلة هم المقياس لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .. فاقصر الأمر على قطع من الأعمال محفوظة، ومظاهر محدودة، وانفصام بين السنة والخلق، وانفصام ما بين السنة والغيرية على الأمة، والتوحد ما بين السكوت على المنكرات العامة ومعاداة من ينكرها وينكر عليها .. وهكذا وهكذا!

١ رواه البخاري (٧٢٨٠).

ومن هذا الحديث نطلق كذلك إلى مزيد اليقين أن الخطاب الجامع للأمة هو المنهج المعتمد في جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ وإن لم يرد التنصيص على هذا، لأن هذه هي القاعدة، وتخصيص الصحابة رضي الله عنهم دون الأمة هو الذي يحتاج إلى دليل، وأن علينا - نحن أبناء هذا الزمان - تحمّل مسؤوليتنا في بيان هذا الأمر، وتعيد هذه القاعدة، وأن الله ﷻ سوف يحاسبنا على التقصير في بيان وإيصال هذه الأمانة للناس كافة، وأن من أغرب الغريب وأعظم التقصير مع سنة رسول الله ﷺ هو أن نتظر ممن سبقنا من العلماء أن يبيّن لنا ما يخصنا من خطاب رسول الله ﷺ من السنة .. وهو ليس من أبناء عصرنا، ولم ير عصرنا، ولم يستطع مطلقاً أن يتصوّر هذا النتاج العظيم لفتح الله ﷻ على العقلية البشرية في الحياة كلها، ولم يتصوّر النظام العام في هذه الدنيا، بل ولا وقوع الأنظمة الخاصة .. ولهذا فإن الرسول ﷺ أدرك هذا التخلف في أمته، وخصوصاً ممن ينتسب ظاهراً إلى سنته، ومن ثم رأينا وسوف نرى كيف أنه ﷺ لا يكاد يترك حديثاً إلا ويبين فيه لنا نحن المنفردين بعصر الدنيا الأخير، عصر العجائب والغرائب، وعصر العلوم والأنظمة، والعصر الذي بلغت أعداد الدنيا إلى هذا الحد، والعصر الذي امتلأت فيه الأرض ظلماً وجوراً، وفتناً وفسوقاً وعصياناً ودجلاً؛ أنني أقصدكم .. أنني أريدكم .. خطابي لكم .. فهو ﷺ كالموقف الذي يرسل لنا العلم والوصية والهدف، ويرسل معه التنبيه الخاص ومعه الإعجاز،

الانطلاقة الثانية: تصحيح النسبة .. فإنها قد انتكست الآن .. وهذا أول الحل

لو أن رسول الله ﷺ قال: كل أمي يطيعونني إلا القلة القليلة جداً، أما كان هذا السياق غريباً جداً في هذا الزمن ونحن نرى أمام أعيننا اليوم أن رسول الله ﷺ هو أعظم من تعصيه أمته، إذ إن المطاع عندهم كما هو عند العالم إنما هو الشيطان - لعنه الله، ونعوذ بالله

منه -، ولكنه ﷺ قال عبارة حملت الإعجاز عبر الأزمان، كما حملت دليلها في ذاتها، وهكذا حملت حكمها وقضاءها... فقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»، فهذه لا يخالف فيها أحد سواء كان من الأولين، أم كان في هذا الزمان، أو من بعدنا إلى يوم القيامة، لكن جاءت الغرابة في الاستثناء وهو قوله ﷺ «إِلَّا مَنْ أَبِي»، ثم جاء بيان الاستثناء والتعليم والتعليل والحكم والقضاء في الشطر الأخير؛ «قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» ولهذا كان الأمر غريباً في عهده ﷺ، لأن الجميع له طائع ﷺ، فالجميع يريد أن يدخل الجنة فالمعادلة صحيحة ويؤديها الواقع أعظم تأييد... لكن ما حدث الآن هو أن «وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» هي التي كشفت أن الغريب في هذا الزمان هم: «مَنْ أَطَاعَنِي».

فكم هم أصحاب الأهواء في هذا الزمان، وكم هم المرابون، وكم هم المتكبرون، وكم هم الزناة والزانيات، وكم هم الذين يفعلون الموبقات، والذين يفعلون الكبائر، وكم هم الخوالف، وكم هم العلماء الساكتون عن الحق وهم يعرفونه، وكم هم الخطباء المنافقون، وكم هم الذين لا يقتدون برسول الله ﷺ في أخلاقه، وكم هم العاقون لوالديهم، وكم هم القاطعون لأرحامهم... أليس الغريب ضد هؤلاء في الأمة؟! ألم يثبت فيما ذكرنا أحاديث عنه ﷺ، بل وأكثر من ذلك؟!!

وأحسب الآن أنه قد فهم بعض الإعجاز في جوامع الكلم في عبارة واحدة شملت الزمان والمكان والناس والأحداث.

الانطلاقة الثالثة: تحديد رأس من أبي دخول الجنة، وهذا من الحل:

إن مَنْ أبى درجات، وليسوا درجةً واحدة، ولهذا فإن من الظلم حقاً أن ننظر إلى عامة أفراد الأمة وشعوبها ونطبق عليهم نتيجة الحديث العظيم بينما ننسى أو نتغافل عن رأس كتيبة من أبى. لهذا فإن هذا الأمر إن فاتني أو فاتك أو فات عموم الأمة النظر إليه فإنه لم يفت النبي ﷺ أبداً؛ كيف وهو الذي عانى ما عانى من المملأ الذين كفروا، والمملأ الذي ظلموا، والمملأ الذين استكبروا، والمملأ الذين مكروا، والمملأ الذين أجزموا، والمملأ الذين أفسدوا. ومن أخص خصائص هؤلاء أنهم لم يابوا وحدهم ويكتفوا بمعصيتهم هم الشخصية، وإنما هم من ينافسون رسول الله ﷺ في أمته على طاعتهم .. وهم مَنْ يُجْرِّضُونَ الْأُمَّةَ عَلَى أَنْ تَصْبِحَ «مَنْ أَبِي»، وَيُشَجِّعُونَهَا وَيُكَافِئُونَهَا، وَإِذَا مَا أَبَتْ يَكْرَهُونَهَا وَهَكَذَا، ولهذا فإن الأصل في علاج القطعة الخبيثة من المرض الخبيث أن تُقَطَّعَ ولو كانت في الكبد.

فهل فوق هذا المنكر من منكر، وهل يجوز أن نذكر آحاد المسلمين الذين عصوا وربما أكثرهم مغرر بهم، أو مضطر، أو معذور ... ونسى أعظم «مَنْ أَبِي» الذي شرع الشرائع لقومه وهو الحقيق بقول الله - عز وجل - : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

الانطلاقة الرابعة: حل المشكلة كلها بطاعة رسول الله ﷺ:

وأول المراد بطاعته ﷺ هو طاعة الله ﷻ، وطاعة ما جاء في القرآن أولاً، فإن البعض يصرفون النظر عن القرآن ويجعلون السنة كافية بناءً على هذا الحديث وأمثاله عن الأخذ بالقرآن .. بل صنع البعض تفريقاً ما بين القرآن والسنة .. وسَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ أَوْ

أهل السنة، مع إن الأئمة الذين أطلقوها أول مرة لم يطلقوها للتفريق بينها وبين القرآن ... لكن الفكرة انحدرت حتى تحوّلت إلى فُرقة في الإسلام، وتحوّلت إلى ما يقابل القرآن، ولذا تجد اليوم النادر من أهلها من يحفظ القرآن العظيم، وربما من حَفِظَ منهم القرآن حفظه صغيراً قبل أن يأخذ هو بهذا المنهج، ولذا لا تجده يُنَشِّئُ طلابه على حفظ القرآن، ولا تجده وأمثاله يستشهدون بالقرآن في أحكامهم وأحاديثهم، ولا تجد منهم مُفسِّراً للقرآن، وإن كان فهو تقليدي لا جديد فيه ولا تجديد رغم أن البحار نقاط في كلمات ربي!

والعجيب أن هذا التوجُّه وهو طاعة الرسول ﷺ حق والله لا ريب فيه إنما يستشهدون عليه بأحاديث معدودة مثل: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، بينما كل سنة النبي ﷺ أمره بطاعة الله والأخذ بالقرآن ونحو ذلك إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وهذا يعني أن أمراً من طاعة الرسول ﷺ أولاً هو الأخذ بالقرآن .. ومعاذ الله أن أنهى عن شيء وآتيه، بل أنا أقول ما قال الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

وسبحان الله فلقد أصبح هؤلاء الذين لبسوا لباس الحزبية المقيتة باسم سنة النبي ﷺ، ولبسوا لباس الحديث هو المستنقع الآسن للخلوف في هذه الأمة، وللنفاق، ولحرب الأمرين بالقسط من الناس ... وهم المثال في رهبة العلم والاكتفاء به والتعالي به على الناس.

الانطلاقة الخامسة: طاعة الرسول ﷺ بكل ما جاء به .. فهذا هو الحل:

إذ إن المشكلة هنا إنما هي تجزئة سنة النبي ﷺ كتجزئة أولئك العباد من الصحابة الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ وسألوا عن عبادته، وكل واحد أخذ من سنته عبادة

١ أخرجه أحمد (١٧١٧٤)، وصححه الألباني.

وضخّمها على نفسه. وهذا سمّاه النبي ﷺ «رغبة عن سُنته»، فقال عليه الصلاة والسلام: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^١.

فإن الانطلاقة نحو الجنة لا يمكن أن تكون لأي فردٍ من أمة محمد ﷺ بذاته إنما هي تكون على طريق رسول الله ﷺ، وَمَنْ أَبِي فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، وذهب إلى الهاوية، فسبحان الله ما أعظمها من مشكلة، وما أيسره من حلٍّ لها، وما أطوله من طريق، وما أكثر ما وضع الناس له من شروط وشروح وحواشي، بينما جماع الحق من ذلك كله في هاتين الكلمتين: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

١ أخرج: البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

الحديث التاسع: المفتاح: [وإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّْ]

الحديث والحادثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

المشكلة: ضعف تقدير أمة محمد صلى الله عليه وسلم لخاصية معجزتهم في هذا الزمان:

هي أن الكثيرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يعرفون هذا التفرد والاختصاص ما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الأنبياء عليهم السلام، وأن الكثيرين ممن يعرفون الفارق لا يعطون هذا الفارق حقه وواجبه ومقتضاه، ولو أن الأمة أعطته حقه لما بقي في الأمة معضلة أبدًا.

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الزمان لحل المشكلة:

الانطلاقة الأولى: حل مشكلة الأمة في عدم تحقيقها رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»:

هذه الخاصية وهو كون القرآن وحياً أوحاه الله صلى الله عليه وسلم لا يخص الأولين وحدهم، بل يخص الآخرين كذلك وربما أكثر.. فإن معجزات الأنبياء عليهم السلام كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإذا ذهبت ذهبت، فكان أصحاب النبي الأولين هم الذين يشهدونها أما الآخرون فما كان لهم منها إلا الذكر والرواية، إلا هذا القرآن فهو الوحي الذي حمله الوحي على قلب رسول الله

١ رواه البخاري - الفتح ٨ (٤٩٨١) واللفظ له، ومسلم (١٥٢).

ﷺ ليبقى حياً أبداً الأبدية، ويبقى الوحي جزءاً لا يتجزأ منه، فليس هو خالداً فحسب، وإنما يبقى وحيًا، ويبقى يبعث الحياة في الأموات - بإذن الله - لأنه الروح، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وكما أنه الروح، وأنه الوحي، فإنه النور فهو لا ينطفئ أبداً، وهو الهدى الذي يبقى بذاته هدى فلا يغلبه ضلال أبداً، بل هو من يغزو الضلال أبداً، وهو الحق الذي يزهد الباطل أبداً.

وكل خصائصه التي ذكرت مع خاصية الوحي تشمل الآخرين كما الأولين، وزيادة؛ فإنه لو لم يكن كذلك لما كان النبي ﷺ أكثرهم تابعاً، لأن الجهد سيعود كله لأصحابه ثم لمن بعدهم مما سمعوا وروى لهم ثم يدخله التغيير والتبديل وهكذا...! ولهذا فإن هذه الكلمة عظيمة ثقيلة للآخرين؛ فإن الناس في عهد النبي ﷺ محدودون... وهم لا يمكن ولو اقتصر الأمر عليهم وعلى من بعدهم فلن يكون الرسول ﷺ أكثر تابعاً.. فأين مائة ألف وزيادة من أمة أصبح تعدادها أكثر من سبعة عشر ألف مليون شخص، في عالم بلغ تعداده سبعة آلاف مليون شخص؛ فهذه الكلمة بل هذا الرجاء من رسول الله ﷺ إنما هي دعوة من رسول الله ﷺ لأمته: أني وإن ذهبت فإن هذا القرآن وهو الوحي باقٍ معكم فميلوا على هذا العالم بهذا الوحي، وهو الهدى، وهو النور، وهو الفرقان، وهو البرهان، وهو الحجة البالغة، وهو الميزان، وهو الروح، وهو كلام الله... واجعلوني أكثر تبعاً فهذه فرصتكم وفرصتي.... فكونوا بقدر رجائي «فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ألا ما أبلغها من رسالة ... وما أعظمها من غفلة حين يأتي الزمان بأهلها فيمرون بصاحب الرسالة ﷺ وهم عن رسالته غافلون ... هذا ومع الرسالة رجاؤه ﷺ.

الانطلاقة الثانية: رجاؤه ﷺ متحقق فليكن لكل واحد منا سهم هدى .. فذلك الحل:

فلا والله لن يترك الله لرسوله ﷺ رجاءً إلا حققه، لكن السعيد لمن يكون له سهم من الله ﷻ في مشروع تحقيق رجاء رسول الله ﷺ، والسعيد هو من يجعل هذا همّه ويبدل فيه إذ الناس في غفلة واسترخاء، أو في فتن عاصفة عمياء صماء ... وهو يعاني في الدعوة معاناة السابح ضد التيار، والصاعد ضد الشلال، وهو لا يلين ولا يستكين أبداً.

فهذا وأمثاله هم من يختارهم الله لوعده إذا جاء الله بأمره ... فكون الله ﷻ وعداً ومحققاً فهذا لا يزيد المؤمن الموقن إلا يقيناً وعملاً وسبقاً، كما أن بشارة النبي ﷺ لبعض أصحابه بالجنة لم تزد المبشرين ﷻ إلا سعياً لها وحرصاً وسبقاً.

ونحن إذ نقول هذا فلقد أخبرنا الرسول ﷺ عن رجل من عترته قد جعل الله تعالى له ذلك النصيب من الهداية، واختار له من الصحب المخلصين الصادقين الذين كأصحاب طالوت الذين قتلوا جالوت وانتصروا عليه، وكأصحاب بدر مع رسول الله ﷺ، ذلك الرجل الذي اشتق الله له من الهداية اسمه فهو المهدي، وإنه رغم أن الهداة المهديين لا يحصيهم إلا الله وأعظمهم هم أنبياء الله ﷻ إلا أنه إذا أطلق اسم المهدي في الدنيا لم ينصرف إلا إليه ﷻ، فهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً امتلاءً كاملاً بمعنى أنه لا يبقى فيها ذرة ظلم ... أي أنه يفرغها إفرغاً كاملاً من الظلم، ثم يملأها عدلاً، وقد خرج النبي ﷺ يوماً على صحبه مستبشراً يقول: «لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا

أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»^١، وهذا يعني أن الظلم مع الظالمين قد ولّوا إلى غير عودة لأول مرة في تاريخ الأرض، وأن الهدى عمّ الخلق وانتشر حتى لا يكاد يوجد أحد على غير الإسلام، وذلك لقول المصطفى ﷺ: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»، هذا في الوقت الذي أصبحت الأرض كما نشاهدها سبعة مليارات ... إذا كيف لا يكون النبي ﷺ أكثرهم تابعا؟! ثم إن المهدي ﷺ يبلغ الناس برجاء حبيبهم رسول الله ﷺ بهذا، ويبلغهم برجائه الآخر بقوله: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ»^٢، فتنتقل أرحام المؤمنات المحبات حبيبات رسول الله ﷺ تندفق بالذراري الطيبة، وتطيب نفوسهن بتزويج أزواجهن حبًا لرسول الله ﷺ وينطلق الفتيان والفتيات بالزواج عند أول البلوغ، فكم ستتضاعف الأعداد، وكم ستعظم الأمة في عهده، وأكثر الأرض أصبحوا مسلمين، والخير وفيرًا جدًّا، والبركة قد عمّت كل شيء، والتبكير في سن الزواج أصبح هو الأصل، والجميع مكفولًا، والأمل عمّ الأرض، والظلم زال، والجميع يريد وجه الله الكريم، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : «وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ»، أي: في عهده، فلقد صحَّ عنه ﷺ عن رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي السَّمَاءُ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ السَّمَاوِيُّةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا»^٣ يَعْنِي حِجَابًا.

١ رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وصححه الألباني.

٢ أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، وصححه الألباني.

٣ أخرجه الحاكم في مستدركه (٨٦٧٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

الانطلاقة الثالثة: ظهور إعجاز للقرآن لم يعرفه بعد رسول الله ﷺ أحد، وهذا سيكون

الحل:

فالقرآن ليس مثل معجزات الأنبياء متجسدة في شكل أو محسوس أو كتاب في ألواح ... إنما هو وحي أوحاه الله لرسوله ﷺ فهو فاعل مؤثر هادٍ منير بوجود الرسول ﷺ وبعده .. بل ربما احتاج من بعد الرسول ﷺ إلى تعويض عن فقدان الرسول ﷺ تثبيتاً لهم؛ فهنا يظهر من التأيد ما لا يتصوره أحد، فهذا المهدي ﷺ، وهذا الهدى وهو كتاب الله تعالى، وهذه هي الجولة الأخيرة في رحلة الهدى إلى الصراط المستقيم وسادتها هم الأنبياء ﷺ وسيدهم رسول الله ﷺ ... فكان القرآن العظيم الوحي الذي أوحاه الله تعالى، وكان هو من يتفجر نوراً وإعجازاً وعجباً للعالمين لم يروا مثله أبداً ... وكل هذا مما وعد الله ﷻ في قوله: ﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ [فصلت: ٥٣].

الحديث العاشر: المفتاح: [إِنْ كُنْتَ صَادِقًا]

الحديث والحادثة:

عن وَبْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُصَلِّحُ أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَأَنَا مُحْرِمٌ؟ قَالَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَنْهَانَا عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَرْجِعَ النَّاسُ مِنَ الْمَوْقِفِ، وَرَأَيْتُهُ كَأَنَّهُ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْهُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ» وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ مِنْ سُنَّةِ ابْنِ فُلَانٍ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.

أين المشكلة؟: الاختلاف عند اجتماع الناس:

إذا اجتمع الناس حدثت خلافات بينهم، فإذا كان الموضوع الذي اجتمعوا عليه عبادة كان الخلاف في تلك العبادة ... ولا اجتماع على شيء مطلقاً فضلاً عن الاجتماع على عبادة كاجتماع الناس في الحج ... فكيف حلَّه الصحابة رضي الله عنهم؟

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ إلى هذا الزمان:

الانطلاقة الأولى: حدّد ووحد المرجعية الزمانية، وذلك الحل:

قد بيّننا من قبل أن الرسول ﷺ يعلم علم اليقين عظمة أمته وكثرتها في آخر الزمان؛ وبيّننا ما ستؤول إليه الأمور من شدة ازدحام الحجيج على المناسك، وهذا مؤذن بوقوع اختلافات ربما تعصف بالأمة، فإن هؤلاء ممثلو الأمة في هذا المجمع العالمي لأمة محمد ﷺ

١ رواه أحمد (٥١٩٤)، وقال الأرثوذكس: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الذي لا نظير له في طول بقاء الناس ومكثهم فيه، وفي تنوع مناسكه، وفي طول سفره والبعد عن الأهل فيه، ومن ثم فكثر الاحتكاك والأحكام العملية التي تواجه الناس حتى يقع بين مراجعهم ما يقع من الخلاف ... فلله درُّ ابن عمر رضي الله عنهما وهو من أعظم الناس تحريماً لسنن النبي صلى الله عليه وآله فكانت فتواه رضي الله عنه مبنية على فعل النبي صلى الله عليه وآله فقطع في المسألة وانتهى وما أطال، وليس بعد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله من مقال، فقال: [«حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ» وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ مِنْ سُنَّةِ ابْنِ فُلَانٍ]، بل الأمر هنا ليس أن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله أحق أن تتبع فحسب، وإنما كل من يُفتي بخلافها فذلك من جعل لنفسه سنة تقابل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ... فأى شيء أصعب على نفس كل مُفتٍ أن تكون له سنة تقابل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ذا من الناس يتبع سنة غير سنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

وليس من موعظة أبلغ في توحيد الأمة، وتوحيد الفتوى والمرجعية في هذا الجمع العظيم وما فيه من اجتماع علماء هذا الدين على مصدر واحد بين الناس أجمعين وهو رسول الله صلى الله عليه وآله ...

وابن عمر رضي الله عنهما حين يُفتي بهذا فإنما أفتى بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن مبنياً إلا على علمٍ بما سيكون عليه هذا الجمع في قادم الأيام من كثرة وشدة ازدحام ... ولك أن تتصور أي تضحيات سوف يقدمها المسلمون لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله انتظر عند الطواف بالمبيت حتى يرجع الناس من الموقف؟! ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى ذلك العدد المحدود في عهده لو سعه الطواف كما وسعتهم كل المناسك ... لكنه صلى الله عليه وآله كان ينظر إلى الأمة الواضحة أمام ناظريه الغائبة وقتها عن عينيه، ولهذا كان يخاطب أولئك بأوسع صيغ الجمع دائماً وأبداً

... «يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا»^١، ويقول:
«لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^٢.

فأي مُفْتٍ أو عالمٍ أو خبيرٍ يمكن أن يلحظ هذا الملحظ وينظر لهذا الغيب الزمني البعيد في كل شيء .. نعم في كل شيء؟! والجواب: هذا هو عين المستحيل، ثم كيف يتمكن من أن يجمع تصرف الأولين والآخرين ويجمعه ويوجِّهه في عبارة واحدة جمعت الحكمة للجميع دون أن يشعر بها إلا أهلها المقصودون بها إذا جاء وقتهم .. فصلى الله عليك يا رسول الله ... أرايت كيف هو في كل مرة؟!!

الانطلاقة الثانية: حل زحام الحج ومشكلاته بالتيسير:

إنه ﷺ بنى الحج على أيسر الأحوال وأوسعها، ورفع الحرج عن الأمة بشكل مطلق حتى كان شعاره لكل من فعل شيئاً «افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»^٣، وهنا بيّن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمل النبي ﷺ إنما هو على التيسير؛ فمن سبق ينتهي ليفرغ المنسك للمتأخرين ولا عذر له إن أَّخر، ولا علم ولا حجة له بذلك. وهذا ظاهر من الانطلاقة السابقة، وقد كان النبي ﷺ راكباً راحلته بين الجموع [فإذا وجد فجوة نصَّ].

١ صحيح الجامع (٧٨٨٢).

٢ رواه البخاري (٦٧).

٣ رواه البخاري (١٧٣٧).

الانطلاقة الثالثة: [إِنْ كُنْتَ صَادِقًا]: هذا هو الحل مع نقلة الأخبار

رضي الله عن ابن عمر كيف قطع الطريق على هذا؛ سواءً كان عالماً أم كان خباباً بين المسلمين أو بين القادة أو العلماء خاصة، وكيف أوصل رسالة عظيمة لنا أن لا تصدقوا من جاءكم نبأً وتوقفوا في خبره ولا تحققوا وخصوصاً إن كنتم علماء؛ فكم سيتسع الخلاف بعدكم ويعمُّ في الأمة... وهذا ما هو واقع اليوم.. وما فعلها ابن عمر رضي الله عنه من عند نفسه.

الحديث الحادي عشر: المفتاح: [اللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي]

الحديث والحادثة:

عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقتدوا باللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ»^١.

المشكلة: الفراغ القيادي ووقاية الأمة منه:

كيف وقى النبي ﷺ أمته أخطر مشكلة يمكن أن تحدث من بعده مباشرة فتعصف بالأمة كلها، وهي التي تُسَمَّى في المصطلح الحديث [الفراغ الدستوري]؟! بيننا آخرون يكتبون وصية طويلة عريضة فيشعلون الأفهام نارًا، والنفوس شكوكًا واتهامًا، والخلافات استعارًا، وربما أدخلوا البلاد إلى المجهول!

الانطلاقة مع النبي ﷺ:

الانطلاقة الأولى مع النبي ﷺ: **الحل بتناول جوامع الكلم على أنها لنا وتجمعنا يقينًا:**

لو تصور المرء كيف حلَّ النبي ﷺ مشكلة ستقع من بعده بكلمتين ليس مثلها مشكلة، فلا فراغ أعظم من الفراغ الذي سيتركه رسول الله ﷺ من بعده .. ولكنها جوامع الكلم التي لا يدركها أصحاب زمانه على الحقيقة حتى يأتي الزمان الذي أطلق النبي ﷺ، وعندها يدرك هؤلاء كيف أن النبي ﷺ قد أراد الزمانين هذين وجمعها في كلمتين أو كلمات قليلة ... وهذا بغير إدراك الإنسان الزمانين محال إلا من باب الظن والتوقع ... هذا إن توصلَّ العقل إلى الظن

١ رواه الترمذي (٣٦٦٢)، وقال الألباني: صحيح.

أو توقع المقصود! ومن حسن حظنا أن نجد أماننا الآن هذين الزمانين المتجاورين، فلقد قال النبي ﷺ هذا الحديث وأمثاله في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما تُوفِّي النبي ﷺ واجتمع الناس في السقيفة كانت هذه الكلمات وأمثالها كافية لأن يرجع الأنصار عن مطالبتهم بالخلافة... لكن أنى للناس عبر العصور أن يدركوا ما قاله النبي ﷺ وهو يريد به زماننا... ولهذا فلا غرابة أن نكتب نحن هذا الكتاب على أننا المقصودون بخطابه رضي الله عنه في هذا الزمان... ولو لم ندركه بفضل الله وفتحته وإكرامه.

الانطلاقة الثانية: [رجل المرحلة] هو الحل:

خَطَّ للأمة من بعده عموماً ولمن بعده على وجه الخصوص طريقاً واضحاً يناسب مثل حالتهم وهو أن اختارَ شخصين معروفين حَيَّين؛ أما الأول فهو الصديق رضي الله عنه وهو الحل الأول فكان هو الحل المقصود والمحدد لمرحلة وقوع الأمة في خطر الضياع أو الاجتياح، وأما الثاني فإنه الفاروق عمر رضي الله عنه فتبيّن بعد ذلك أنه الحل إذا ما احتاجت الأمة لتحسين داخلها وتشريع نظمها ثم الفتوح الخارجية من حولها.

ولكل مرحلةٍ رجلها وقائدها... وهكذا يكون المنهج في الأمة إلى يوم القيامة.

الانطلاقة الثالثة: الوصية القاطعة للاضطرابات هي الحل:

في جميع الأحاديث الوارد ذكر ترتيب الصحابة رضي الله عنهم فيها فضلاً وإمامة وقدراً كان التقديم لأبي بكر رضي الله عنه، وأبى الله رضي الله عنه إلا أن يقدم أبا بكر كما قدّمه رسوله ﷺ، فجعله رضي الله عنه الخليفة الأول، وجعل عمر هو الخليفة الثاني.. وهذا يعني أنها سيجتمعان على أمورهما ولن يختلفا،

وأنها إن اختلفا في بعض المسائل فالعبرة بالثابت الأول وهو الصديق ﷺ، ولا يصلح لأمر الوصية بالخلافة وتعيينها إلا هذا التعيين وبهذا القطع منذ الابتداء.

الانطلاقة الرابعة: [القدوة في القائد] هي الحل:

ومع هذا الوضوح والتحديد للخلافة إلا أن الأمر يعيننا نحن كذلك أكثر وهو بالإضافة للاقتداء بهما في توليهما الخلافة وفي ترتيب أفضلية الصحابة من بعدهما وما إلى ذلك .. إلا أن النبي ﷺ جعلها قدوتين لكل أجيال الأمة بشكل عام ولقادة الأمة بشكل خاص إلى يوم القيامة، فهما مجتمعان يمثلان الكمال في القيادة وفي القدوة على حد سواء؛ فهما ﷺ كما قال رسول الله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ»، مع أن كل واحدٍ منهما قدوة ليس مثله بعد رسول الله ﷺ قدوة.

١ أخرج البيهقي (١٢١٨٦)، وصححه الألباني.

الحديث الثاني عشر: المفتاح: [فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُّوهُمْ]

الحديث والحادثة:

عن مالك بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَنَحْنُ شَبَابٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُّوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فليُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^٢.

المشكلة: اغتراب الشباب عن أهلهم:

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا:

الانطلاقة الأولى: الحل معايشة القدوات:

لا بد من معايشة الأجيال القادمة للشابة للقدوات الكبار وللقدوة الأكبر ما أمكن لكي ينشأوا قادة بحق ويعودوا قادة وقدوات ... ولا قائد ولا قدوة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بد لهم من أن يحسنوا الاقتداء ويدققوا ويطبّقوا طوال بقائهم، لأن زادهم إلى من وراءهم وإلى من بعدهم هو ما ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لهم: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» بهذا التدقيق والتطابق في الاقتداء، وذكر الصلاة لا يعني عدم الاقتداء بما بعدها، بل يعني أهمية الصلاة وإلا فإن الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿[الأحزاب: ٢١]﴾ بهذا

١ شبيبة: جمع شاب مثل برة جمع بار.

٢ رواه البخاري (٦٠٠٨) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

الإطلاق والشمول، وإلا ماذا كانوا يصنعون في عشرين ليلة تباركت في معية رسول الله ﷺ إلا النظر والاعتداء والمذاكرة؟!

ومن عايش القدوة أصبح قدوة لمن بعده، وهكذا تتوارث القدوات ولا ينقطعون ما داموا كذلك، ولكنها تنقطع حين تصبح القراطيس هي القيادة وهي القدوات ... هنا تقول: على الأجيال السلام!

الانطلاقة الثانية: رسول الله ﷺ يقصدنا نحن .. فلنتبته، فالحل ثم:

هكذا وَصَلْنَا حال النبي ﷺ في لَيْلِهِ ونهاره وكل أحواله... ولولا ذلك ما قال ربنا - تبارك وتعالى - لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢١]، فحين حفظ الله ﷺ الأسوة الحسنة حفظاً كاملاً أمر المؤمنين بالتأسي بها والاعتداء بها ... ونحن اليوم إذا نظرنا في هؤلاء الشباب الكرام ﷺ وجدناهم عشرين رجلاً محققاً مقتدياً صادقاً مصداقاً .. كل واحدٍ انتقل إلى أسرته ثم إلى أرحامه ثم إلى حيّه وديرة أهله ... فهم إذاً عشرون جهة ... والدور في التبليغ يأتي على الدائرة الأوسع والأبعد، ثم لمن بعدهم وهكذا وهكذا حتى وصل الأمر إلى أن قيّدت أحوال رسول الله ﷺ وحُفظت وحُرست، ثم بُيِّنَتْ وُشِّرحت على أحسن ما يكون، ثم وصلت إلى زماننا الذي هو ثورة في عالم الزمان كله، فما أعظم تشابه تلك الأزمان، وما أعظم تفرّد هذا الزمان عن كل زمان. إنه عصر الثورة العلمية كما يسمونه وما تبعها من حضارة .. فكان التحوّل ضرورة في النظر إلى هدي رسول الله ﷺ ... فإنه ما دام هذا العصر اختلف وتفرّد فلا بد أن يجمع النبي ﷺ العصر الحديث بكل ما يحتاجه في جوامع كلمه التي خَصَّه الله ﷺ بها ... فهذا البيان لهذه الطريقة إنما هي معتمدة على ما رواه الصحابة ﷺ ورواه عنهم من بعدهم وهكذا،

وهي معتمدة على شروح العلماء الذين شرحوا السنة ﷺ مع البيان لكل ما قَصَدَنَا النبي ﷺ به ونحن لا ندري ... فلكأنه ينادينا؛ إياكم أريد .. يا هؤلاء أقصدكم! ونحن في غفلة نحسب أن من سبقهم المقصودون فقط وظننا نحن تبعًا لا نظرة إلينا ولا معنى لنا أبدًا! وما نحن نرى بحمد الله أن رسول الله ﷺ قَصَدَنَا بكل شيء.

وهذا هو من أعظم غايات فكرة هذا الكتاب.

الانطلاقة الثالثة: [فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُّوهُمْ]، وأنذروهم ليحذروا ... فهذا هو الحل:

إنكم ترجعون الآن إلى أهليكم بغير الوصف الذي جئتم به من أهليكم، فالآن ترجعون إليهم مُعَلِّمين، ومجازين بإجازة رسول الله ﷺ لكم، وليس هذا فحسب، بل معلمين وأمرين؛ فإن المُعَلِّمَ دينَ الله لقومه لا يليق به أن يكون تحت سلطانهم وقيادتهم في علمه الذي تلقاه، لأنه وريث رسول الله ﷺ في قومه ف «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»؛ وهذه رسالة واضحة لهذا الزمن الذي انتكس فيه الحال والحرام، فكان هو من أعظم أسباب الانهيار؛ حين أُذِلَّ العلماء وهم ورثة الأنبياء ﷺ، وحين امتهنوا في أوضاع تصنيفات المهن، فامتنت الأمة في أوضاع المقامات بين الأمم، حين رُفِعَ الفاجر والفساق والكافر ووُضِعَ وريث النبي ﷺ إلى أسفل سافلين. لقد جعل الله ﷻ للاغتراب غاية، وجعل للعودة منه غاية، فقال - سبحانه -
: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فالفقه هو أبعد من الحفظ، بل ومن العلم ومع هذا فإن هذا ليس غاية إنما الغاية هي إنقاذ القوم عند الرجوع إليهم، ولهذا قال - سبحانه - : ﴿

١ رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني.

وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣٣﴾، فالإنذار دون حذر لا قيمة له، والحذر يشمل أمر الدنيا والآخرة، وأولها مخاطر الآخرة .. وهما بغير شك يجتمعان في الأمة .. وبهذا لن يتحول العلم النظري والتعليم النظري دون الإنذار الجاد وقول الحق، وتقديم مصلحة الأمة على مصلحة النفس إلا عنواناً لتحولٍ مخيف، وسلام قاتل!

الانطلاقة الرابعة: عودة المغتربين المخلصين وتمكينهم في ميادينهم .. فهو الحل:

جعل النبي ﷺ عودة المغتربين حلاً لكشف الجهل وتحقيق النهضة العلمية، وهكذا كانت بداية النهضة العلمية في أوروبا، وإلا فمن أين لأوروبا العلم السابق إلا من المغتربين في بلاد المسلمين والمستشرقين، والمترجمين لعلوم المسلمين وهكذا ... وسبحان الله يأتي هذا الحديث وقد دارت الدائرة على المسلمين إذ عاد المسلمون في جهل عميق حتى في علوم العصر الحاضر ... فكان لا بد من أن يعيد المسلمين اليوم المغتربين إلى أمتهم ليتكفلوا بعمل نهضة علمية تحمي الأمة، وتقويها، وتغنيها، وتحفظ شبابها، وتحفظ قلوبها من التعلق باليهود والنصارى، وتجعلها تفيض على الناس بالخير والفضل والغنى.

فهل رأينا كيف يخاطبنا النبي ﷺ ويوجِّهنا ونحن في آخر عصر أسفل سافلين بينما عسعسة عصر فجر الأمة الجديد يسمع صوت تنفسها من قريب.

الانطلاقة الخامسة: الحل بالرحمة والرفقة والرفق مع العلم:

لا يمكن أن تكون عودة حقيقية إلى علو الإسلام وظهوره على الدين كله ما لم يكن في القائد رحمة ورفق ولين في باطنه وظاهره ... وسبحان الله كيف عادوا بالرحمة والرفق والرفقة هنا مع كونهم عادوا بالعلم ...

هل رأيتم مثل اليوم عجبًا؛ كيف تجتمع كل هذه العناصر لعصرنا في حديث واحد ...
أهذا غير مقصود؟ أم أن هذا تأليف وتلفيق - معاذ الله -؟! وليس الموضوع موضوع حادثة
إنما هو موضوع جوامع الكلم، بل هو الله رب العالمين الذي اختار هؤلاء الرجال وسخر
الأحداث وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ، فبقوا عنده عشرين ليلة، فكأن رسول الله ﷺ رأى أثر
الاجتراب عليهم فجلس معهم وأوصاهم بما يصنعون عند عودتهم إلى أهلهم ... وكأن هذا
العصر في ذاك العصر في عيني رسول الله ﷺ .. بل كانت جوامع الكلم تجمع العصر إلى العصر
.... فاللهم أنزل رحمتك وأرسل غوثك وأعد المغتربين ليُعلموا أهلهم وأمتهم، ويؤموا
المسيرة بدل أكوام الجهلة من أهل الثراء والفحشاء .. ليقوم الناس بالقسط.

الانطلاقة السادسة: رفع شعار الإسلام الأعلى: «الأذان» وصلاة الجماعة .. فذلك

الحل:

قال رسول الله ﷺ: «وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ
أَكْبَرُكُمْ»:

لم يقل النبي ﷺ كونوا معًا طوال الليل والنهار بعدما تتركوني، بل اذهبوا وعلموا
أهليكم ومن يحتاج إلى تعليم، واسترزقوا، وقوموا بواجباتكم في الحياة، والدعوة المستمرة إلى
الله تعالى .. ولكن إذا حضرت الصلاة فلا بد من الأذان من أي واحد كان منكم، ثم ليتقدم
للإمامة أكبركم، ثم الصلاة كما هي صلاة رسول الله ﷺ.

فإنه إذا كان الأذان للصلاة فقد احتاج الأمر إلى موضع مسجد وهذا يوشك أن
يتحوّل إلى مسجد .. وهكذا كان أول ما يفعله ﷺ هو المسجد وهو أول ما تقوم عليه الحياة

المسجد، والأذان هو شعار الإسلام وشعار العزة والعودة وإعلان الحياة، وهذا الأذان يقوم به أي واحد بل كل واحد يحرص على نداء الإسلام ورفع شعاره وهو نداء الدعوة الأعلى إلى الله ..

ثم ليتقدّم للصلاة أكبركم فإنها حضارة تقوم على العلم والأدب .. وتعلم العرب أن هذه العودة عودة جامعة بين علم الحياة وآداب العرب الأصيلة التي يعرف فيها كل واحد مقامه، ويعرف فيها أهل الدين مقامهم .. وإلا ما معنى الابتداء بالصلاة ... أما تفاصيل كيف أن الأكبر يتقدّم هنا وليس الأحفظ، فلعلّ هؤلاء الجمع خاصة لما بقوا عند النبي ﷺ فترة واحدة حفظوا كمية واحدة فتحتم أن يتقدّم الأكبر، فكان هذا من تدبير ربنا العظيم سبحانه ليجمع كل ذلك لنا نحن أهل هذا الزمان كما كان هو بالأساس لزمانهم.

ثم إن الصلاة مع الأذان سوف تقيم المسجد في هذه القرى والأحياء ... فتنبعث الحياة ويقبل الأحياء إلى الله تعالى .. ويصبح محور البيوتات بيت الله ﷻ وهو أعلاها ومرجعها، ومركز قيادتها ... وكل هذا عاشه هؤلاء الشبية العشرون في مسجد رسول الله ﷺ بكل تفاصيل الحياة والعلم والعبادة والقيادة، والدعوة والقدوة.

الحديث الثالث عشر: المفتاح: [مَا بَالُ أَقْوَامٍ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^١.

المشكلة: مشكلة الغلاة وكيف حلها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الاندفاع الإيمانية غير المنضبطة عند الحماس أو عند الابتداء يمكن أن تأتي على البناء كله فتهدد في أوله أو آخره على أهله فيكون وأهله هم أول ضحاياه... فتأمل كيف اتقى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الإعصار المدمر.. وأعاد الأمور إلى أصلها، وما رأى واحداً من أصحابه صلى الله عليه وسلم من الرهبانيين، ولا من الغلاة، ولا من الخوارج، ولا أمثالهم حتى ماتوا جميعاً رضي الله عنهم.

الانطلاقة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا:

الانطلاقة الأولى: الحل: أغلق باب البحث فيما لا يعنك:

هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم في عهده صلى الله عليه وسلم وبإمكانهم الاطلاع على عمله في السر، وها هم قد جاؤوا إلى أخص الناس به.. جاؤوا يسألون أزواجه عن [عَمَلِهِ فِي السَّرِّ]، ومع هذا كان موقفه صلى الله عليه وسلم واضحاً وقاطعاً وحاسماً ولا يحتمل رأياً آخر وهو أنه: ما لكم وهذا

١ رواه مسلم (١٤٠١).

الأمر ... ولا ينبغي لكم أن تبحثوا عن السر «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا»، «ما بال أقوام يسألون عن كذا»، ما ظهر لكم من رسول الله ﷺ وعمله كافٍ ووافٍ وفائض وهو المقصود، فما لكم تذهبون إلى ما لا يعينكم، ثم لتعلموا أن ما عند رسول الله ﷺ في سره هو ما ترونه في علانيته ولا شيء فوق، وما كان فوق هذا أظهره لكم وبيّن أنه من خصائصه مثل الوصال في الصيام ... ولذا قال لهم النبي ﷺ: «لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»، فإذا كان النبي ﷺ قد نهى هؤلاء الصحابة الكرام ﷺ عن هذا البحث، وبيّن أن لا يوجد عنده تزهد ولا ترهب فوق ما يرون فإنما هي رسالة واضحة منه ﷺ لمن يأتي في العصور من بعده الذين لا يستطيعون أن يأتوا إلى بيته فلا يرونه ولا يرون أزواجه أن يبحثوا، ثم إذا بحثوا فسوف يضيع وقتهم وعمرهم ولن يجدوا إلا ما عرفوا أول مرة ... وهذا والله ما وقع فيه جلّ الذين شغلوا أنفسهم في مباحث السنّة من تشقيق وتنميق وافتراسيات على رسول الله ﷺ لإثباتها أو نفيها، وكثيرٌ منها يترك المسلم مُعَلِّقًا! أو انشغالات في الفهرسة وفهرسة الفهرسة وتنويعها فضلًا عن الردود والردّ عليها وكل في السياق النظري فالجدل يجرُّ إلى جدل أكبر لا عمل .. ولا تحول إلى عمل، ولا قدوة، ولا تحول للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تحويل سنة رسول الله ﷺ إلى خادمة لأهواء الذين غلبوا على أمرهم، وما عاد يعلو اسم واحد من هؤلاء إلا تبادر الذهن إلى صور المنافقين أمثاله، ولا حول ولا قوة إلا بالله! واليوم تقلّب كفيك لتنظر ما بقي فيها من علم فلا تجد شيئًا.

وهكذا من دققوا في الزهد والتصوّف والطرق والأذكار وما إلى ذلك، وأغلب مباحث العقيدة جدلية وكل هذا رغبة عن سنة النبي ﷺ، وإن بدا أن هؤلاء طلاب السنة، ولذا كان ردُّ النبي ﷺ جميع مناهجهم وأنها في حقيقتها رغبة عن سنته ﷺ، ورسول الله ﷺ

بريء منها ومن أصحابها ... وهذا وحده كان كافياً ليقضي النبي ﷺ على هذه الموجة النشاز في عهده ... فهل يكفي إنكار النبي ﷺ على قومنا اليوم .. ليقلعوا، وليلعلموا أن لا شيء غير ما ظهر من دين الله، وأن النبي ﷺ قد بيّن كل ما أمر الله به بيانه.

الانطلاقة الثالثة: الحل أن لا تمنهج الأجزاء وتغالي فيها:

كل واحدٍ من هؤلاء الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ فزع إلى عبادة معينة، واجتزأً منهجاً من جزء عملي من أجزاء الإسلام .. وأخذ يهول ذلك الجزء حتى غدا عنده منهجاً كاملاً بينما هو نقطة واحدة في الإسلام ...، والحقيقة أن من مال إلى نقطة كان ذلك على حساب ما يقابلها من نقاط، فطف الكيل من جهة فدمرها وثقل من جهة أخرى فأهداها للعدو ... ودمر حصن الإسلام في جهة معينة حتى إذا اجتمع هؤلاء أتموا تدمير الإسلام من كل جهاته.

فهؤلاء الثلاثة جميعاً كان توجههم على حساب الحياة، والعمل الصالح، وعلى حساب المجاهدة في ميادين المواجهة، والبكور للعمل المنتج، وإعداد الأمة لتكون عظيمة في كل ميدان، والإعداد الصناعي العسكري لتحصين الأمة، وزيادة قوتها الهجومية، وتقوية الأمة في الاقتصاد، والنظام، والعلم، والخلق العظيم، وما إلى ذلك ... فهل يشك أحد أن هذا هو واقع المسلمين ...

الانطلاقة الثالثة: المشكلة في ترك العمل المتعدي، بل وترك التفكير فيه .. والحل:

إن الأصناف الثلاثة جميعاً إذا نظرت لها وجدت أن هذا هو ما يريد العدو منها .. فهي مواصفات الأمة التي انسحبت من الميدان، وتركت غيرها للإنتاج، وتفرغت هي

للاستهلاك، وهجرت العلماء العاملين، وفلسفت النوم والتهيه، وتفرغت للجدل والفراغ، والأهم أنها تركت الجهاد في سبيل الله، وتوجهت لمواجهة كل مصلح للأمة ومصلح لقومه أينما كان.

وأقول بكل وضوح: إن هذا الحديث يحمل معجزة عظيمة في كشف حقيقة التوجهات والجماعات في هذه الأمة .. نعم يكشف حقيقتها بل يكشف أسماؤها وشعاراتها؛ وهذا هو ما يليق برسول الله ﷺ فالرسول ﷺ لا تعرّهُ الشعارات ولا المظاهر المغرية وربما المغررة، ولهذا فإن النبي ﷺ يدافع في هذا الحديث عن سنته ويذّب عنها، ويكرّم سنته ﷺ من نسبة هؤلاء إليها .. بل نسبة من زعم منهم أنه يطلبها ويريدها، فضلاً عما قال: إنها منهجه، أو أنه إمامها أو إمام من أئمتها، فإن كل واحد منهم اليوم يعتبر معتدياً على سنته ﷺ، ورسول الله ﷺ منه بريء!، فسنة النبي ﷺ لا تقبل التجزئة، ولا الانتزاع منها وتأسيس سنة وتسميتها سنة رسول الله ﷺ، وأن من يفعل هذا هو صاحب سنة! فالعجب كل العجب هنا هو أننا نجد الإعجاز ظاهراً مبهرًا؛ وهو أن جميع الجماعات الإسلامية الشهيرة التي رفعت شعار الانتساب إلى سنة رسول الله ﷺ أو رفعت شعار الحديث الشريف كلها من هذا النوع الذي ذكرت وكلها راغبة عن سنة النبي ﷺ في حقيقة الأمر آخذة بجزء من السنة بل جزئيات من السنة، متفقة على عدم أخذ الإسلام ككل متكامل كما جاء به النبي ﷺ؛ فهي إما أن تكون مُضَيِّعة للجانب العملي من الحياة، وإما أن تكون مُضَيِّعة بقية سنن النبي ﷺ وهي السنن الكبرى ... السنن الكلية، ومع هذا فهي مُضَيِّعة لجوانب من السنن آخذة بجانب واحد ورسول الله ﷺ يتبرأ من هذا المنهج ومن أصحاب هذا المنهج فيقول: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

ثم إنها جماعات بينها قاسم مشترك واحد وهي أنها تنتسب إلى السنة أو إلى الحديث، ولكنها جميعًا تقف في كل البلاد ضد الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وتنكر على أهل المعروف، ولا تنكر على أهل المنكر إلا نادرًا أو كان الإنكار آمنًا، ولا تطلب العلم ولا تعلم الناس إلا تزلفًا واسترزاقيًا ومحاربة للأمرين بالقسط من الناس، ولذا فإنهم قد أصبحوا المستنقع الآسن لعملاء اليهود والطواغيت والخولاف والمتجسسين، ويزعمون أنهم يتعبدون الله بهذا التجسس وهذا الولاء .. فهم في الحقيقة يقفون ضد عودة الإسلام بكل طريق إلا طريقهم ... ولكنهم ليس لديهم أي طريق آخر بديل لعودة الإسلام ... ولقد أصبحوا باسم السنة الحربة النجلاء في صدر كل من يسعى لعودة الإسلام إلى الإمامة وإقامة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على البلاد والعباد، ولو أن النبي ﷺ ترك هؤلاء الصحابة وأمثالهم ولم يواجههم هذه المواجهة الحاسمة، حتى إنه جعل لهم سنة تقابل سنته ﷺ، وأنه طردهم من سنته إن استمروا على ما قالوا، فقال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» لكان مصير أولئك إنشاء جماعة تقابل أصحاب رسول الله ﷺ وحاشاهم ... فسرعان ما عادوا وآبوا وكان منهم عثمان بن مظعون الشهيد - رضي الله عنه - ... وسبحان الله حين ترك الأمر للمجاملات ومن غير إنكار يزداد الأمر سوءًا، ويتحول الباطل هو حقًا، فقد وجدت في باكستان قبيل سنة ١٩٩٠م للميلاد أكثر من ثلاثين جماعة كلها تنتمي للحديث الشريف! ألا يا ليت هؤلاء الكرام يعلمون فيعودون ولا يُصْرُونَ .. فإن أصرُّوا فيا ليت أتباعهم يتركونهم وينصرفون عنهم عائدين إلى رسول الله ﷺ وإلى سنته التي جاء بها هو وليس التي جاء بها هؤلاء.

ولا يستغربنَّ أحد من وجود هؤلاء في عصرنا، بل إن هؤلاء الذين جاؤوا إلى بيوت النبي ﷺ إنما جاؤوا ليأخذوا عبادات أكثر لأنفسهم كلَّ يعمل بما يختار لنفسه ... فهذا اختار

الصيام، وذاك اختار القيام، وثالث اختار الاعتزال والتفكر وترك خلطة الناس وما إلى ذلك. فالقاسم المشترك أنهم إنما أرادوها عبادات شخصية لأنفسهم لا لنشرها ولا للدعوة لها .. أما ما نجده في العصر الحاضر فالمشكلة أعظم وأكبر حين يتحوّل أغلب وعاظ السنة .. الذين يغترفون من كتب السنة المنسوبة للحديث الصحيح .. المحققة كما يسمونها ... فتكون دعوتهم منحصرة في الدعوة لمنهج هؤلاء الذين جاؤوا يسألون عن سنة النبي ﷺ ... فهذا ما جاء على حساب الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاء على حساب الصدقات المتعدية للغير، جاء على حساب نصره المسلم، وصلة الرحم، والالتزام بالأخلاق الحسنة أخلاق رسول الله ﷺ .. جاء على حساب سنة النبي ﷺ.

الانطلاقة الرابعة: المشكلة في الشرّة إذا وافقت هدى .. وحلّها:

لا يبنى الإسلام العظيم ولا يبقى بناء الخلافة إذا بُنيت على الطفرات والشرّات، سواء كانت شرّة فقهية مذهبية، أو شرّة تزهدية تصوّفية، أو شرّة دعوية حزبية، أو شرّة جهادية، وهذا ما حصل بعد الخلافة الراشدة.

فكان حلُّ ذلك كله بإبطال الشرّات في أي جانب وإغلاق بابها.

الحديث الرابع عشر: المفتاح: [أرسل الماء إلى جارك]

الحديث والحادثة:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي شَرَاخِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَحَ الْمَاءَ يَمْرُ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَأَخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ أَحْبَسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ»^٢ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا} [النساء: ٦٥].

المشكلة: مشكلة الاشتراك في المياه والأرزاق السائلة في الأرض .. فكيف حلها النبي

ﷺ؟

هذه من المشكلات التي تحدث على مرّ العصور على الأشياء المشتركة، لكن المشكلة الصغيرة الواحدة تولّد في العادة مشكلات وربما ظلّمًا إذا كان فيها أحد أرحام الحاكم.

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: «اسقِ يا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»:

١ شراح الحرة: هي مسابيل الماء، وواحدًا شَرَجَةٌ، والحَرَّة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء.

٢ الجدر بفتح الجيم وكسرهما، وهي الجدار وجمعه جُدُر والمراد بالجدر أصل الحائط.

لا بد للأفراد العاملين المتحركين من وقوع اختلافات بينهم في تعاملات الحياة ...
فهذا أمر طبيعي، ولذا لا بد من المسامحة والتجاوز، ولا بد من التفاهم والاتفاق، ويكفي لبيان
واقعية هذا الاختلاف أن يقع في عهد رسول الله ﷺ، وأن يُرفع إلى رسول الله ﷺ، وأن يجيب
فيه رسول الله ﷺ، ثم يقضي فيه رسول الله ﷺ .. وما هذا إلا لواقعية هذا الدين، وأن المثالية
والملائكية غير موجودة في جيل أصحاب رسول الله ﷺ .. وهذا ما يجعل أحداث ذلك الجيل
تتكرر في جميع العصور من بعده .. وهنا تأتي الواقعية الحقيقية لكل حل ينير به رسول الله ﷺ
درب أمته، ويقول في حكمه الكلمات الجامعات لكل المعاني المرادة والشاملة لكل العصور؛
لتدخل بعد ذلك في وعد الله بحفظها أبد الآبدين كما قال رب العالمين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب:
٢١]، فلو ضاع هدي رسول الله ﷺ لتساءل الآخرون فقالوا: كيف نتأسى به ولا أسوة ولا
أحداث محفوظة؟!!

ولهذا حُفظت الأحداث وحُفظ جواب النبي ﷺ وحكمه وحكمته عليها، وبهذا ترك
النبي ﷺ دينه وأمته «على مثل البيضاء، ليلها كنهاريها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ»، فإذا قضى
رسول الله ﷺ انقسم الناس في قضائه، وحُفظ هذا الانقسام كذلك ليكون كذلك بياناً وبرهاناً
وهداية للنجدين للأمة القادمة

فما كانت هذه القصة لتلك المرحلة فحسب وذهبت مع ذهاب أصحابها، وما جاء
رجالها بإرادتهم المطلقة ... هكذا اصطفى الله سبحانه ذلك المجتمع، واصطفاه لمصطفاه ﷺ،

١ أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٤٨)، وصححه الألباني.

واصطفى تشريعاته وهدية ونوره للعالمين أجمعين ولكل العصور إلى يوم القيامة ... حَقًّا إِنَّ
الأمر في كل حديث يمرُّ وحادثة في كل هديه ﷺ أنه على قَدَرٍ، كما قال الله - سبحانه - لموسى
ﷺ: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ۗ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۗ ﴾ [طه: ٤٠-٤١]، وكل هذا
إنما هو الصورة العملية لكل ما في القرآن العظيم.

الانطلاقة الثانية: الحل مع المعترض بالعدل القاطع وحرمانه رحمة الحكم:

كَمْ كان في التسليم لحكم رسول الله ﷺ من رحمة وحكمة وتيسير ولين بالبعيد عنه
نسبياً قبل القريب، وما انكشفت الحكمة إلا حينما حُرِّم منها ذاك البعيد لعدم تسليمه لحكم
رسوله ﷺ ... وتبقى هذه سنة مطردة تجري على كل معترض على حكم من أحكام الله وهي
أن يجرم الخير والتيسير إن لم يستسلم لحكم الله ورسوله ﷺ وإن لم يعلم، ويصاب بالعت
والحرج والضيق لأنه جعل في صدره حرجاً من حكم الله وحكم رسوله ﷺ، كما قال سبحانه:
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا
مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۗ ﴾ [النساء: ٦٥]، إذا فليس الأمر أنهم لا يؤمنون فحسب
ولكن يصابون بالعت، والرسول ﷺ إنما جاء ليرفع عنهم العنت، وأعظم ما يثقل عليه ﷺ
العت على أمته.

إذا فهذا الذي حدث مع الأنصاري صورة واضحة بيّنة لفوات الخير الذي كان بين
يديه لو أنه رضي بحكم رسول الله ﷺ، لكنه لما قال ما قال وأظهر حرجه القلبي من حكم
رسول الله ﷺ أظهر رسول الله ﷺ له الحكم العادل القاطع كالسيف الذي لا يمكن تجاوزه
من غير أن يحصل على الخير الذي كان سيصيبه ويصيب بستانه إلى الأبد وهذا أصبح هذا

الأنصاري الذي بفضل الله لم يُعرف له اسم في الحديث وهذا من ستر الله وما أراه إلا أنه تاب وخصوصاً بعد ما رأى وجه رسول الله ﷺ كيف تغير، والله أعلم.

وهنا تأتي الرسالة من رسول الله ﷺ: هذا رجل واحد وجد في نفسه حرجاً في حكم واحد أصابه من الحرج والضيق عليه ما أصابه، فماذا يا ترى سوف يصيب الأمة إذا هي ألغت حكم الله وحكم رسوله ﷺ من حياتها جملة وتفصيلاً... إذ أعلنت أن حكم الله تعالى ليس هو حكم البلاد، بل هو حكم الدستور الذي وضعه الخبراء التشريعيون...

فكم ستحمّل الأمة من عنت، وضيق، وذلة، وهوان، وتمزق، وآهات، وآلام، وتيه، وآثام، وما تجره الآثام من عقاب الله القاسي وابتلاءاته المتابعة التي تقع ضرورة، لأن حكم الله ﷻ هو من كان يصدّها لو أقيم فيهم، فهم من كشفوا عن أنفسهم من كان يصدّ عنهم عذاب الله فمثلاً يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فإذا رفعتم القصاص فقد استبدلتم الحياة السعيدة بالعذاب والتعاسة، وهكذا في حد السرقة والزنا وما إلى ذلك.

وإذا كان الله ﷻ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، فماذا تتوقعون بعد هذا إذا فتحتم صروح الربا وجعلتموها محمية بقوانين وتشريعات؟! وهكذا وهكذا... فماذا ترون

يصنع الله بأمة أعرضت عن حكمه وولت الدُّبر؟! والرسول ﷺ يقول: [وما ترك قوم حدًّا من حدود الله إلا^١]

الانطلاقة الثالثة: «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ»:

لقد تلوَّن وجه رسول الله ﷺ ومع أن وجهه تلوَّن فما تلوَّن حكمه وما ظلم الرجل ولم يأمر بقطع الماء عنه، بل أمر الزبير رضي الله عنه أن يأخذ حقه كاملاً من الماء حتى يرجع إلى الجدار ثم يرسل الماء إلى جاره؛ والإشارة بل الرسالة هنا من رسول الله ﷺ إلى أمته إلى أن حكم الله لا يتبع الهوى من الحاكم ولا رضاه ولا غضبه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]، فمع أن القاضي هنا والحاكم رسول الله ﷺ والذي طاعته كطاعة رب العالمين سبحانه، والذي يجد في نفسه حرجاً من حكمه كالذي يجد في نفسه حرجاً من حكم رب العالمين إلا أن ذلك لم يجعل عِرض هذا الرجل مُستباحاً، أو حاله مُستباحاً، أو مزرعته مُستباحة، أو الماء عليه حراماً، أو جيء له بعد ذلك بحيلة شرعية كمن عقد صفقة حَوْل على غرارها الماء إلى مزرعة الزبير، أو اشترى مزرعته بثمان بخس، أو شُهر فيه، بل لم يذكر في رواية الحديث اسمه.

الانطلاقة الرابعة: [إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحْكَمُوا فِيهَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا}]:

^١ لم أفق عليه.

فلا يحسبن أحد من الأمة أن هذا التشريع الوضعي الذي هم مُنغمسون فيه حتى الغرق لا يغير الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله وحده ... فذلك عند الله هو الطاغوت لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلًّا بِعِيدِآ ۖ ﴾ [النساء: ٦٠]؛ إذا فإن الآية كما نصّت على أن الذين يتحاكمون إلى غير ما أنزل الله كاذبون في إيمانهم، فإن الذين يحكمون عليهم بغير ما أنزل الله هم طواغيت، أليس هذا وحده كافياً للأمة التي تزعم الإيمان أن تعود إلى حكم الله تعالى ولا عذر لها أبداً إذا نَسَنَتْ هبتها وتنفس صباحها أن تحبس أنفاسها، بل عليها أن تغتنم الآن فرصتها.

الانطلاقة الخامسة: «فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ»، ولم يزد، ولم يتعدّ ... وحاشاه:

ما مال النبي ﷺ على هذا الرجل بكلمة واحدة بعدما طعن في حكم رسول الله ﷺ .. وما أشار النبي ﷺ للزير على الرجل بإشارة واحدة؛ والزير وما أدراك ما الزير هو حواري رسول الله ﷺ، وما زاد على تلون وجهه هو، وهذه عبارة عن مظهر المشاعر التي كظمها رسول الله ﷺ .. أي أنه لم يدخلها في الحكم وإنما تركها في داخله ﷺ ... ولقد مرّ على النبي ﷺ أناس اعترضوا على حكم النبي ﷺ، أو قسمة المال، أو نحو ذلك إلا أنه لم يعاقبهم وحقهم السيف وما ذلك إلا ليفصل النبي ﷺ بين الحكم والحاكم؛ ولئلا يدخل من هذا الباب أصحاب الأهواء فيقتلوا ويطشوا بمن اعترض على حكمهم، ويجعلوا ذلك من حقهم اقتداءً برسول الله ﷺ! ومع أن النبي ﷺ قطع عليهم هذا الطريق وأغلق دونهم هذا الباب إلا أنهم تقاهوه وكسروه وكسروا عتبه وتجاوزوا بالقتل إلى أهله وصحبه ومن يؤمن ببعض قوله ... هذا وهم من تجاوز حكم الله جملة وتفصيلاً فهم أحق بهذا وأولى.

أرأيت أي مبلغ في الإشارة بلغت إشارة النبي ﷺ ... فإنك إذا ما بلغت ما وجدت النور والظهور عندها حين تجد أن الله جعلها على عمقها إلا أنها الأولى بالحكم والأولى بالفهم مما قيل من قبل وهي مما تسمى من باب أولى.

الانطلاقة السادسة: الحل: الأولى هو الأقرب للمنبع، وللجميع حقهم دون استثناء:

فالزبير رضي الله عنه يمثل بلد المنبع أو البلد الأول الذي يمرُّ به الماء .. فله الأولوية في السقي وهذا بحكم الواقع حسب تقسيم الله ﷻ الأرزاق .. فهذا حقه، ولكنه لا يملك حق منع الماء عن جاره بل فرض عليه أن يرسل الماء إلى جاره بعدما يأخذ منه ما يشاء من غير إسراف ولا تعدُّ ولا ظلم .. وهكذا يجري هذا الحكم إلى حيث جرى النهر وانتهى مَصْبُهُ .. وهذا الحكم يجري في العيون وغيرها من الأشياء المشتركة ... وبهذا حلَّ النبي ﷺ الاختلافات المزمنة على الأشياء المشتركة بهذه السهولة، والحكم فيها سهل إلا إنه حاسم لا ريبة فيه، ولا رجعة فيه ... وغير هذا الحكم يُغضبُ الله ورسوله، ويجعل وجه رسول الله ﷺ يتلون غضبًا وربما أخرج الإنسان من دينه كما قال الزبير رضي الله عنه: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥].

وأول من يطالب بالرحمة هو بلد المنبع لأنه المستفيد المضمون والأول، ولأنه يقوم مقام المعطي، ومن بعده يكون أولى من بعده وهكذا ... فلكلُّ حقُّ فيه، وهكذا خلقه الله للجميع في الأساس، وما شقه هذا ولا ذاك، وما أمال الأرض هذا ولا ذاك، وما إمالة الأرض إلا بمثابة عدالة الله ﷻ لكل من أمال الأرض لأجلهم، وعلى هذا ينبغي أن تُوقَّع الاتفاقيات تفاديًا لحضور الأنفس الشح والشيطان - نعوذ بالله منها - بينهم، وتفاديًا لتدخلات اليهود

بينهم، لأن اليهود لهم تاريخ في الإفساد من خلال الماء ... وقد بيّنتُ هذا في بيان قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ﴾ [البقرة: ٦٠].

فسبحان الله العظيم: كيف جعل الله تلك الحادثة في ذلك الزمان بهذا التفصيل الدقيق على الماء نفسه، ثم شكاي الرجل نفسه على الزبير، ثم هذا الحكم، ثم نزول هذه الآية على هذا الموضوع ... ثم تكون الدول في هذا الزمان ووضع الحدود بينها وحدوث المشكلات على هذا الأمر وتكررها ... فهل ترك لنا النبي ﷺ المشكلة وما حلّها؟! بل هل ترك رب العالمين صورة لحياتنا ومشكلاتها إلا وأوجدها في عهد رسول الله ﷺ وأعطانا حلّها على لسان رسول الله ﷺ وحكمه الحق .. فالحمد لله رب العالمين.

الانطلاقة السابعة:

القاعدة العظيمة هي: «النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلْبِ، وَالْمَاءِ، وَالنَّارِ»:

وهذا حق الناس؛ بغض النظر عن دينهم أو لونهم أو عرقهم ... بل هو يتعدى إلى جميع الأشياء المشتركة وخصوصاً ما تحت الأرض مثل النفط، فإن النفط يجتمع فيه شبهة من الثلاثة أشياء، فهو سائل كالماء، وهو وقود النار، وهو رزق كالذهب.

والتعدي بالتحايل على المجرى الذي خلقه الله ﷻ عدوان وظلم، ويحكم على صاحبه بالتضييق عليه والتعويض، ومن أمثلة التحايل أن يجعل أحد المشتركين في الماء أو النفط

١ بلوغ المرام من أدلة الأحكام حديث رقم (٩٣٠)، وقال ابن حجر: رجاله ثقات.

مضخات تؤذي جاره، أو تسحب حقه إليه، فهذا عدوان وطغيان ويُردع صاحبه ويُضيق عليه
سواءً كان فردًا أو بلدًا، كما قال رسول الله ﷺ: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ
إِلَى الْجَدْرِ»، ويُسترد ما أخذ من حق الآخرين.

الحديث الخامس عشر: المفتاح: [في مكان يُباعدهُ عمرو عن الإمام]

الحديث والحادثة:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَيْبَانَ، قَالَ: أَتَانَا ابْنُ مَرْبَعٍ الْأَنْصَارِيُّ وَنَحْنُ بِعَرَفَةَ فِي مَكَانٍ يُبَاعِدُهُ عَمْرُو عَنِ الْإِمَامِ فَقَالَ: أَمَا إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: «فَقُومُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»^١.

أين المشكلة الآن؟:

مشكلة الازدحام في الحج ... فكيف حلها النبي ﷺ؟

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: هذا الحديث لا خفاء فيه ولا خصوصية لأحد فيه، إنما هو على الأصل الذي قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والأصل الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ [البقرة: ١٩٩].

وكم من إعجاز في هذا الحديث العظيم رغم قصر عباراته، الإعجاز في الإشارة لنا نحن أهل هذا الزمان خاصة، فإن ثمة وفي هذه الأيام دعوة عالمية لتعميم الحج دولياً أو

١ رواه أبو داود (١٩١٩)، وصححه الألباني.

لوضعه تحت الإشراف الدولي، أو لجعله كما هو بإرادتنا ولكنه محكوم بأحكام دولية تمنع الانفراد به من قبل أمة محمد ﷺ، وجعله تحت إشراف وأحكام الأمم المتحدة!

وهكذا نظام مكة والمدينة، ولذا رشحت الأخبار عدم المطالبة بنظام جديد للتملك الخارجي في مكة والمدينة!

هنا فلتذكر قول النبي ﷺ: «مَشَاعِرِكُمْ» أنتم وليست مشاعر سواكم، «قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ» في هذه الفترة خاصة فإن لم تقفوا عليها حارسين مرابطين ذابين عنها بكل ما تستطيعون فمن من الناس سيحفظ لكم مشاعركم؟ بل إن الناس يريدونها ولو تحكماً لا حكماً، ولو تنظيمياً لا نظاماً! يريدون انتزاع أي شيء من هذه المشاعر لهم.

وسبحان الله فلقد ابتدأ الحديث الراوي بعبارة تخلع القلوب عند تدبرها جيداً فعبر هذه السنين كان رسول الله ﷺ إلى أمته عامة، وإلى من يقف على هذه المشاعر خاصة

يقول لنا: أنا رسول الله ﷺ يقول لكم: «قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ»! احفظوها إلى أن يأتي أمر الله وتكونوا عندها قد أدبتم الأمانة.

احفظوها فإنها ستفضح من يخونها .. احفظوها يا أهل الأرض المباركة أولاً وإلا فإن الله كما حفظها بالطير الأبابل فما زالت خزائن الله ملاءى والله جنود السماوات والأرض، فليكن جند الله معكم وإلا فإنه سيأخذ من يرد فيه بالحد.

«قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» إنها الأمانة، أمانة الإرث تحفظونها للأيتام أبناء اليتيم ﷺ ...

أبناء الرجل الأب الصالح ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، ومن أصلح من رسول الله ﷺ وأحق باسم الصالح، وقد اتفق أهل السماوات جميعًا على تسميته بالصالح في رحلة المعراج سواءً الملائكة، أم أبيه آدم وأبيه إبراهيم ؑ، أم بقية الأنبياء ؑ الذين رحبوا به قائلين: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»^١.

«فَقُفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ»: فإنه ما بقي لكم في هذه الفترة من الزمان من سلطان على أرضكم؛ فلقد صادر العدو سلطانكم عن أرضكم الإسلام جميعًا، فتشبثوا بمشاعركم وإلا فاعلموا أنه لا بقاء لكم بعد ذهابها، ولا كرامة لكم، ولا أمانة، ولا شرف، ولا نخوة، ولا عهد، ولا مروءة...!

«فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»: فإنكم على إرث فيا ويل من أكل الإرث أو أكل بالإرث فلقد قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]!

«فَإِنَّكُمْ عَلَى مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»: والله إنه لعجب وما هو بعجب من تقدير الله كل شيء ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]، كل شيء ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

١ أخرجه البخاري (٣٣٩٣)، ومسلم (١٦٤).

ففي هذا التوقيت تحديداً يفهم الله أهل الإسلام أنه لا تغرکم هذه النزغة الشيطانية التي ظهرت في هذا العالم تدعو إلى ديانة جديدة اسمها [الديانة الإبراهيمية]، فلا تثقوا بملمسهم الناعم فإنهم يريدون التهام مشاعرکم بحجة أنها لإبراهيم عليه السلام.

فلنتذكر جيداً أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحراستها: «قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ» قفوا مدافعين مناضلين بكل ما أوتيتم من وسائل في هذا الزمان.

قفوا فإنها «مَشَاعِرِكُمْ» لا يشرككم فيها أحد من أهل الأديان فضلاً عن باقي العالم! حتى الذين يقولون: إن لهم حقاً، لأنها من تأسيس إبراهيم عليه السلام؟! وأن اليهود النصارى من إبراهيم عليه السلام.

كذبوا فالله عز وجل - وهو مالك الملك - قال لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَشَاعِرِكُمْ» ونحن أمته، فمن أراد ذلك فليدخل في ديننا ليكون له نصيب من هذه الأمانة، وحق عليه حفظها.

ثم إن إبراهيم عليه السلام قد طالب لهم بالإمامة فنزعها الله منهم، فما عاد للمفسدين من حق في أطهر بقاع الأرض قاطبة، إذ قال الله عز وجل عن الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي طَّالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ثم لو أردنا حسابها على الأنبياء عليهم السلام، فهل هذه إرث مأوى حتى فيه الحسبة؟! الجواب: لا هل هو بيت للبشر

الانطلاقة الثانية: الحل في تحويل الكعبة والمشاعر سبيل حديث لهداية الناس:

من الواضح أن الخطاب في هذا الحديث لنا نحن أهل هذا الزمان وليس لهم عليهم السلام، إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم يدعو أصحابه إلى الاجتماع، وإلى التراصّ والضمّ، وعدم الانتشار، كما في الحديث:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا - قَالَ عَمْرٌو: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ». فَلَمْ يَنْزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بَسِطَ عَلَيْهِمْ تَوْبٌ لَعَمَّهُمْ'.

ولهذا فإن مخالفة هذه القاعدة لها مقصود آخر لعل إدراكه صعب على الموجودين آنذاك وقد أدرك النبي ﷺ ذلك فأرسل من فوره إليهم رسولا من عنده يحدثهم بما دار في نفوسهم ودار بينهم - كما يظهر -، فقال لهم: «إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: «قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِزْثٍ مِنْ إِزْثٍ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»، فمنذ الحجة الأولى لرسول الله ﷺ وهي الأخيرة ... وهو ﷺ ينظر إلى هذه الأيام البعيدة التي تصبح فيها أمته بهذه الأعداد العظيمة، فلو أن النبي ﷺ ترك لهؤلاء الحجاج الذين أرادوا التقارب من نقطة الارتكاز وهي موقع الإمام فنهاهم النبي ﷺ حتى لو كان إمامهم رسول الله ﷺ كما هو وقت الحديث، لأن ثمة مصلحة عامة للأمة في مختلف العصور.

وهذا يعني أن الحج والمشاعر سبيل إلى هداية الناس كافة فهو دعوة إلى الله ﷻ .. فكم من رجل يرى المنظر من بعيد فيترجمه ترجمة لم تخطر لك على بال، فتكون تلك الفكرة التي انبثقت عنده من ذلك المنظر سببا لهدايته وهداية آخرين أمثاله ... هكذا أظهر النبي ﷺ الأمر، وعظم الشعائر، وأوحى للعرب بحفظ الشعائر وتكبيرها وتعظيمها وتشريفها والدعاء بذلك «اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مَنْ حَجَّهُ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا

١ رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وصححه الألباني.

وَبِرًّا^١، وفي رواية: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مِنْ شَرَفِهِ وَكَرَمِهِ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا وَبِرًّا^٢، وفي رواية أخرى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ: «اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا، وَتَعْظِيمًا، وَتَكْرِيمًا، وَبِرًّا، وَمَهَابَةً، وَزِدْ مِنْ شَرَفِهِ، وَعَظْمِهِ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَعْظِيمًا، وَتَشْرِيفًا، وَتَكْرِيمًا، وَبِرًّا، وَمَهَابَةً»^٣ ليراها من يرقبها ويراقب المسلمين آنذاك، ويبلغها بعد الحج لمن وراءه، وَمَنْ مِنْ أَوْلِيَّكَ كَانَ يَعْلَمُ بِأَعْدَادِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ لَاءَ كَمَا عَلِمُوا الْيَوْمَ .. وَمَنْ ذَا رَأَى مِنْهُمْ مَنْظَرًا لِلْحَجِّ فِي حَيَاتِهِ كَمَا رَأَى الْيَوْمَ ... لِهَذَا فَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ يَتَنَادُونَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ يَرُونَ فِيهِ عِزَّ الْإِسْلَامِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ أَسْلَمُوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا، فَإِنَّهُ لَا أَحَدٌ لِلنَّاسِ يَقْوَى عَلَى الْوُقُوفِ فِي طَرِيقِهِ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَهُ وَأَنَّهُ عَلَى حَقٍّ ... أَمَا كِفَاكُمُ كُلَّ هَذَا الْعِنَادِ، فَإِنَّ مَقْصِدَكُمْ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَمَا حَوْلَهُ وَالْحَجَّ وَشَعَائِرَهُ فَلَا أَحَدٌ يُعْظَمُ ذَلِكَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحْبِهِ.

١ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨١/٦) (٢٩٦٢٤) عن مكحول، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٥) (٩٢١٣)، (٩٢١٤) عن أبي سعيد الشامي، وقال ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير (١٥٦٧/٤) (٣٣٥٧): حديث مكحول مرسل، وسيأقاه أتم. وأبو سعيد هو محمد بن سعيد المصلوب كذاب.

٢ أخرجه الشافعي في المسند ص (١٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، وقال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (٣٥/٤): سعيد بن سالم هو القداح، قال فيه ابن معين: ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: محله الصدق. وقال ابن عدي: حسن الحديث، وأحاديثه مستقيمة، وهو عندي صدوق، لا بأس به، مقبول الحديث، وقال في التلخيص الحبير (١٥٦٨/٤): وهو معضل فيما بين ابن جريج والنبى ﷺ. قال الشافعي بعد أن أورده: ليس في رفع اليدين عند رؤية البيت شيء، فلا أكرهه ولا أستحبه. قال البيهقي: فكأنه لم يعتمد على الحديث لانقطاعه.

٣ أخرجه الطبراني في الأوسط عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَبِي سَرِيحَةَ الْغَفَارِيِّ (٦١٣٢)، وفي إسناده عاصم بن سليمان الكوزي: كذاب وصَّاع، كذا اتهمه ابن عدي، والفلاس، والدارقطني، وقال النسائي: متروك. انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٣٥١/٢). وقد حكم عليه الشيخ الألباني في «دفاع عن الحديث النبوي» (٣٦) بقوله: ضعيف جدا، بل موضوع.

والخلاصة:

أن طرق الحديث كلها ضعيفة، ولا يُقْوَى بعضها بعضًا.

ثانيا: ذهب كثير من العلماء إلى العمل به، واستحباب الدعاء بما جاء فيه، تساهلاً في أبواب الأدعية والأذكار بالعمل فيها بالمراسيل، إذا لم تكن منكراً أو مكذوبة. ولعل أول من نص على استحبابه الإمام الشافعي في «الأم» (١٨٤/٢) حيث يقول بعد أن روى الحديث عن ابن جريج في (باب القول عند رؤية البيت): «فاستحبَّ للرجل إذا رأى البيت أن يقول ما حكيتُ، وما قال من حسنٍ أجزأه إن شاء الله تعالى» انتهى.

وهنا تأتي الرسالة البالغة من الشعائر العظيمة للناس كافة ... فالشعائر أعظم سبيل
للدعوة العامة للناس كافة ... كيف وقد أصبح الإنجاز الأعظم لهذا العصر هو وسائل
الاتصال الاجتماعي للعالم، حتى لكأن الأرض أسرة واحدة وبيت واحد ... إذا فما للحج
وهو الاجتماع السنوي الأعظم على مستوى الأرض كلها في غياب عن الأمم في الأرض ..
إن هذا الموقف صورة لمحاولة طمس الدعوة إلى الله تعالى طمسًا كاملاً متعمدًا .. فاللهم لا
يظهر من الحج إلا بمقدار ما يخدم مصالحهم ويُعَلِّي شأنهم، ويدعو الداعون لهم، ويُخضع
الناس لملكهم وسلطانهم!

فلقد جعل الله ﷻ الحج هداية للناس فقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٩٧ ﴾ [آل عمران]، وقال
سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٦ فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ٥ ﴾ [آل عمران].

ولقد عمل الناس ذلك بإمكانات زمانهم المتاحة وأوصلوا الرسالة من المشاعر إلى من
لم يكن من أهل المشاعر. أليس من الواجب علينا إذاً أن نستخدم الإعلام بكل طاقاته
ووسائله، ونستحدث من الطرق ما يليق به وبدعوة الله هداية الناس والبيان لهم باللغة
والطريقة والإخراج الذي يفهمه الناس وبلغاتهم جميعًا ... فما أكثر قصص الحجيج؛ فكل
واحد من هؤلاء عمل قصة، وما أعظم رعاية الله لهم؛ فكل واحد منهم مشروع هداية للناس،
وما أكثر ما جعل الله في هذا البيت وما حوله من آيات بينات، ولكم في هذه المشاعر من ذكر
لها في الكتب السابقة .. كافية لأن تُعيد الأقسام إلى الإسلام وتعلمهم أنه دين الله، وأنه من

أوصى به الأنبياء ﷺ، وأن هذا هو وقت الهداية الموعود وهو الموعود الأعظم للهداية، فمن يفتح باب الهداية العظيم هذا على الناس كافة، ومن سيهيمى لهم الطريق، ويوسع لهم المكان، فالأمر المقطوع به أن محمداً ﷺ لن يتوقف عند هذا الحد، وأن من دخل في دينه اليوم خير ممن تأخر لأن من سبقنا قد أصبح عند الله خيراً منا. فليكن لنا في هذا المقام العظيم مقعد ولو في المتأخرين.

الانطلاقة الثالثة: الحل لضيق المشاعر: هو أن العبرة بالإمام لا بالأطراف مهما بلغوا:

إن العبرة ليست بأعداد البشر ولا بالمكان، بل ولا اتساع الناس عن حجم المكان، إنما العبرة باتباع الإمام وموقعه، فالشرط أن يكون الإمام في المشاعر.... وعندها فلا حدود ولا عدد محدود. فهذا هو هم أولئك الصحابة رضي الله عنهم الذين أرادوا الاقتراب من الإمام، لأن الاقتراب من الإمام كما يعلمون هو قُرْبَةٌ، وربما سباقٌ، لكنه اليوم غداً شيئاً آخر والأمر بمقاصدها. وما قد جاء الوقت الذي أدركنا أن رسول الله ﷺ يقصدنا، وأن مساحات المشاعر قد ضاقت على الأمة رغم أن الحج محظور على أكثر الأمة...! فما أكثر ما تجد أناساً ضاق عليهم مشعر مزدلفة أو مشعر منى أو مشعر عرفة فباتوا خارج المشعر...! هنا جاء الحل لما عدّه الناس اليوم معضلة وما هو بمعضلة، فالعبرة باتباع الإمام مهما تباعد المأمومون عن الإمام، فما ارتبط بالمركز فله حُكْمُه وإن امتدت الصفوف آلافاً مؤلّفة فحكم الحجاج بتبعية إمام الحج كحكم المصلين بتبعية إمام الصلاة حتى لو امتدّت الصفوف خارج المسجد وإلى الربع الخالي.. فمحور هذه البلاد هو المشعر الحرام، والبيت الحرام هو مركز البلد وكلها حوله سواءً كانوا ألفاً أو ألف مليون ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ

لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فلم يحدّد عدد الناس، ولن يرضى رب العالمين أن يرُدَّ قلبًا قد هوى وجاء، كما ذكر أن الرزق الذي يخرج الله هنا إنما هو لأهل البيت ومن يأتيهم أيًّا كانوا، فالرزق هذا الذي تراه إنما هو دعوة إبراهيم ﷺ حين كان بيني البيت.

الانطلاقة الرابعة: الحل استفراغ كل الجهد العقلي والعلمي والمادي لتوسعة المشاعر

إلى حد المتبهي من الطاقة:

هذه من الرسائل العظيمة التي يحملها هذا الحديث العظيم لهذا الزمان، وهي من معجزات النبي ﷺ، بينما منع النبي ﷺ هؤلاء من الاقتراب إلى الإمام والمساحات فارغة ليرسل للناس كافة أن من جاء منكم فهو بيننا فالمساحة واسعة ومقامكم في قلوبنا ولن نجلسكم في الأطراف، كما أنها رسالة بعظمة الإسلام، وأن دين الله حق، وأن الهدى هدى الله، وأن لا شيء يُقارن بالإسلام، فأسرعوا إلى الهدى والهداية والاهتداء و....

ولهذا كان من الأساسيات التي لا بُدَّ منها أن تفسح أوسع المساحات وتفتح وتفرغ لاستيعاب الأمم القادمة مع توفير الخدمة التي تليق بوفدٍ دعاه الله من خروجه من بيته أينما كان إلى إعادته لبيته في بلاده، وأن لا يُرَدَّ واحد في الأرض استجاب لنداء الله وأذان إبراهيم ﷺ الأول، وأذان رسول الله ﷺ وهو الأذان الأعلى، فهؤلاء ضيوف الله ووفده .. وهو خير وفد ... ويا لحظ من أنابه الله ﷻ للقيام بتضييف وفده ... «الْحُجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَفُدُّ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^١.

١ أخرج البزار كما في «كشف الأستار» (١١٥٣)، وحسنه الألباني.

الحديث السادس عشر: المفتاح: «أذكركم الله في أهل بيتي»

الحديث والحادثة:

عَنْ يَزِيدِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدِمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْيِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى حُمَّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّهْمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ^١.

المشكلة: ضياع حقوق آل بيت رسول الله ﷺ

١ رواه مسلم (٢٤٠٨).

الانطلاق مع رسول الله ﷺ:

الانطلاق الأولى مع رسول الله ﷺ:

الحكمة في توافق وتناسق بل تطابق حديث رسول الله ﷺ مع مقاله مع أن الذي يظهر أن لا علاقة مطلقاً بين الاثنين، فهنا على سبيل المثال؛ يفوت على الناظر بين قصة سفر النبي ﷺ، وهذه الموعدة ...!

فلننظر؛ فإن الرسول ﷺ كان في سفر وهذه الدنيا سفر، ولعل هذا السفر كان في أواخر حياته المباركة في هذه الدنيا، ثم إن رسول الله ﷺ كان في طريق العودة والإياب إلى المدينة من سفره ذلك، قد كان في طريق الإياب إلى الله وهل يقول المسافر العائد إلى أهله إلا «آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»؟! وهل كانت آخر كلماته ﷺ في هذه الحياة إلا قوله: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^١، وهو ﷺ القائل: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^٢ ..

فما أعظم وقع الموعدة على المتعظين الحاضرين إذا توافق الحال مع المقال، أو نبغ المقال من الحال .. إنها الحكمة، ورسول الله ﷺ هو رأس من أوتي الحكمة.

بل عجبت كيف أن «الصحابي زيد بن أرقم» رضي الله عنه حين سأله هؤلاء الكرام وغبطوه على صحبته لرسول الله ﷺ وغزواته وصلواته وحياته كلها ذكّر لهم ما يوافق ما ذكرنا ... فهو

١ رواه مسلم (١٣٤٥).

٢ رواه البخاري (٤٤٥١).

٣ رواه الترمذي (٢٣٧٧).

لم يكن في سفر كسفر الخروج والعودة إلى المدينة، إنها ذكر لهم أنه ﷺ في سفر وأنه في آخر هذا السفر وختامه، وأنه الآن على وشك انقضائه ..

فهل كان هذا مجرد صدف .. لا والله؛ إنها حكمة الله ﷻ، وإن حياته ﷺ صنع الله ﷻ بل حتى هنا حياة أصحاب رسول الله ﷺ وتعلقاتها ... فمجيء التابعين لهذا الصحابي وهو في أواخر عمره، وتذكير الله ﷻ بحياته في آخر سفره ليربط هذا بشيء آخر وهو تذكره ونسيانه وهو دليل تقواه ﷻ.

الانطلاقة الثانية مع رسول الله ﷺ: استقبله قبل وصوله ولو حبواً على الثلج:

وما أعجبها من انطلاقة فالنبي ﷺ قد تذكر حال الأمة من بعده .. وتذكر أشد ما يكون عليه حال الأمة عامة وحال آل بيته الكرام .. وهل من حال أشد من حالها في جميع مراحلها من الحال الذي نحن فيه الآن .. بشكل عام وآل بيت النبي ﷺ بشكل خاص .. والعجيب حقاً أن النبي ﷺ قد ذكر هذه الموعدة العظيمة وأوصى بالقرآن العظيم وبآل بيته الكرام عند موضع ماء في الطريق يُطلق عليه: «غدير خم»! والعجيب كذلك أنه أقرب إلى المدينة .. فما بينه وبين الجحفة إلا ثلاثة أميال ... فالاقتراب قد أصبح من كل نوع ومن كل جهة. وثم أمر مهم أن رسول الله ﷺ قد ذكره عند الغدير ... وهل تكون سلامة المسافر وأمانه إلا عندما يجد الماء في الصحراء .. وهكذا فهذه الأمة تعيش في صحرا بعد انقضاء عصور الخلافة الإسلامية بمختلف أنواعها إلى عصور الملك الجبري القهري القائم الآن، وهذه الفترة والتي مدتها مئة عام سوف تكون أصعب فترة في حياة الأمة على الإطلاق .. حقاً إنها الصحراء القاتلة .. أجواء السموم الخانقة .. المتاهة التي لا أمل في الأفق بالخروج منها

أبدًا ... إنه عصر تفكك رباط الأمة وحزامها وانفراط العقد الجامع لها والجامع لقلوبها ...
إنه كما سَمَّاهُ سائلٌ من أصحابه رضي الله عنه وهو يسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم عصر «الرخاء».

فَعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ: سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَذْكُرُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَارٍ كُلُّ
ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَردُّوه عَلَيْهِ، فَقَالَ:
«لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةٌ سَنَةٍ»، فَالَهَا
مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ لِدَلِكِ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ.
الْحُسْفُ وَالرَّجْفُ، وَإِزْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلَّبَةِ عَلَى النَّاسِ»^١.

وها نحن على مشارف انقضاء المئة عام إن لم تكن قد انقضت بغير القرآن حكمًا
ومنهاجًا للحياة كلها .. مئة عام على الارتخاء؛ بلا أمة، وبلا قرآن، وبلا تكاليف، وفرط بلا
شيء ... فأي ارتخاء مثل هذا؟ فلقد كان تحقق انفراط الأمة وإعلانه في سنة ١٩٢٢ م.

إذًا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يشير هنا إلى أخطر مرحلة فارقة في حياة الأمة ومصيرها وهو عودة
القرآن بعد غربته مع عودة آل البيت إلى قيادة الأمة بعد ظلمهم وشتاتهم وتغريبهم ... ولا
عودة للقرآن ولا للأمة إلى على يد ولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو المهدي، وهنا تصل الأمة إلى غدورها
وربيعها كوصول ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غدیر خم ... فتأمل هذه الأحاديث العظيمة:

ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ أَقْبَلَ
فَتِيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ، فَقُلْتُ: مَا نَزَأَ

١ رواه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم في مستدرکه (٨٢٩٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجْرَجْ لَهُ.

نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتُ سُودٍّ، فَيَسْأَلُونَ الْحَيَرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَقَاتِلُونَ فَيَنْصُرُونَ، فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ»^١.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ^٢.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجَلِي أَقْنَى، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مَلِئْتُ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ»^٣.

الانطلاقة الثالثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحلّ لِمَا أَبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كأنّي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى أصحابه في خطبة «غدير خم» تلك الخطبة العظيمة يستكشف مصير أمته ومستقبلها - من مقامه ذاك - من خلال تعاملها مع كتاب الله ومع آل بيته، ولهذا ولغيره أوصى بهما معًا.

١ رواه ابن ماجه (٤٠٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٧٢٧)، وضعفه الألباني.

٢ رواه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال محمد فؤاد عبد الباقي في التعليق عليه: في الزوائد هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط الشيخين، وضعفه الألباني.

٣ رواه أحمد (١١١٣٠)، وقال الأرئوط: حديث صحيح دون قوله: «يكون سبع سنين».

وكانني برسول الله ﷺ وهو ينظر في وجوه فتيان آل بيته الداخلين عليه الآن ونظره إلى منتهى بصره الذي فتحه الله في طريق الغيوب لمستقبل أمته وآل بيته؛ وأي عناء سيصيب آل بيته، وأي نكران سيطنغي على أمته تجاه أبنائه ﷺ، وأي تشريد وتطريد سيصيب ذريته من بعده، ثم تطريد ما هو أعظم من آل البيت إنه كتاب الله ﷻ وهجرانه وتهجييره ... فكان ما كان من تمزيق الأمة ذاتها، وعقابها من داخلها، وفرقتها وظلم بعضها بعضاً، واحترابها وذهاب خيراتها لعدوها، وعلو أراذلها عليها ..

ولو أنها ذكرت رسول الله ﷺ حقاً وصدقاً، ولو أنها وفّت له بعض حقه وحبه لو فّت لآل بيته، كيف وآل بيته هم وصيته التي أوصاه الله ﷻ أن يوصي أمته ﷺ بهم، وما ترك سبحانه حفظ هذه الوصية لألواح البشر وقراطيسهم، ولكنه سجّلها سبحانه في السجل الخالد أبد الأبدين وهو كلامه العزيز؛ القرآن العظيم فقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

ترى أي الأمور أبكى رسول الله ﷺ وهو ينظر في وجوه فتية بني هاشم فاغرو رقت عيناه بالدموع ..؟! أهم الفتية ذاتهم .. أم هم أبنائهم وذرايرهم الآخرون في هذه الأمة .. أم هي الأمة نفسها التي أنشأها بنفسه ﷺ وفداها بروحه وماله وأهله، ولأجلها ادّخر دعاءه المجاب إلى يوم القيامة، وبها يباهي الأمم ﷺ ... أم لأجل القرآن العظيم .. وما أدراك ما القرآن وماذا صنع برسول الله ﷺ نفسه، وماذا صنع بصحبه، بل ماذا صنع بعده، والله ﷻ يقول له: ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٥٢]، وما من مصاب أعظم من المصاب بهجران القرآن ...

كل ذلك ظاهر، وحديث الباب يشهد بهذا وأن الأمر أمر القرآن وأمر آل البيت أساسًا، فإن من ضيَّع جوهرة الأمة وأسَّها أضاع الأمة كلها، وأما القرآن فيكفي أنه القرآن العظيم كلام رب العالمين الذي قال الله ﷻ فيه لرسول الله ﷺ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۚ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۗ ۛ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۗ ۛ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]!؟

كيف وقد تقوَّلت الأمة اليوم على ربهَا أقاويل وأقاويل ونسبها لله رب العالمين...! فهل من بلدٍ إلا له كتاب آخر يحكمها ويوجِّهها ويمنهج حياتها .. وهو دستورها المنسوب للشريعة الإسلامية، وللبلد المسلم، وهو يزعم أن هذا الدستور مأخوذ من الشريعة الإسلامية زورًا وبهتانًا.

وإن القرينة واضحة في هذا الموقف وهو أن الذي أثار النبي ﷺ لهذه الخطبة بعدما اقترب من المدينة آيًّا من حجة الوداع ما تعرَّض له علي ﷺ، وذلك لما شكاه بعض جنده إلى النبي ﷺ كما أخرجه أحمد وغيره، فعن بُرَيْدَةَ ﷺ: قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ عَلِيِّ الْيَمَنِ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّضَتْهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^١.

ألا ما أحكمه من ربط ما بين ذلك الموقف وموقف الأمة وخصوصًا في آخرها إذا هجرت القرآن؟

١ أخرجه أحمد (٢٢٩٤٥)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ولا أدري لعله كما اغرورقت عينا رسول الله ﷺ هنا فقد جاءت البشرية العظمى
بالفرج حين خرج على الناس يوماً من الأيام مُبَشِّرًا مُتَهَلِّلاً مسروراً.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي
أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَّازِلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتُمْ جَوْرًا وَظُلْمًا،
يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا
صِحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ: «وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنًى، وَيَسْعَهُمْ
عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ
فَيَقُولُ: أَنَا، فيقول: ائْتِ السَّدَانَ - يَعْنِي الْحَازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي
مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نِدَمًا، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ
نَفْسًا، أَوْ عَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ،
فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ - أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ - ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ - أَوْ
قَالَ: ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ -»^١.

ولا أدري لعلَّ الله ﷻ أبلغه قبل هذا الحادث حادث الشكوى على عليٍّ رضي الله عنه وتغيَّر وجه
رسول الله ﷺ لكن الشيء يُذكر .. فذكرت الشكوى على عليٍّ رسول الله ﷺ بما هو
أكبر منها وهو نكران الأمة لآل بيت رسول الله ﷺ بل لو وصية الله تعالى ووصية رسوله ﷺ
بآل بيته.

١ رواه أحمد (١١٣٢٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

الانطلاقة الرابعة مع رسول الله ﷺ: الحل لذهاب ريب أمة محمد ﷺ وتمزقها:

إذا فهنا مشكلة عظيمة بل هي المشكلة العظمى، وهي ذهاب أمة محمد ﷺ بذهاب وحدتها، وذهاب الخلافة، وهجرها القرآن، وطردها آل بيت رسول الله ﷺ... والنص على هذا في مجموع الأحاديث التي مرّت معنا كما أن الحلّ موجود في مجموع الأحاديث، والإشارة لكل ذلك ظاهرة في حديث الباب... وليس بعد مشكلة ذهاب الأمة وذهاب حكم القرآن العظيم من مشكلة... وهنا العجب من حلّ النبي ﷺ لها وذلك عن طريق الوصية بالقرآن العظيم والوصية بآل البيت الكرام، وسبحان الله كيف جمع رسول الله ﷺ ما بين القرآن العظيم وبين آل البيت؛ فإن ذلك هو العودة إلى الأصل، فالله ﷻ أنزل القرآن العظيم أصلاً على رسول الله ﷺ وهكذا قام الإسلام وانتصر الإسلام وجاء نصر الله والفتح، وبهذا الاجتماع ثانية يعود الإسلام ويتنصر ويأتي نصر الله والفتح الأعظم والذي ومن يقوم مقام رسول الله ﷺ في آخر الزمان إن لم يقم مقامه آل البيت.

والأمر الثاني: هو أن تحلّي الأمة عن الوصيتين كتاب الله وآل البيت إنما يعني لزوم الاستبدال لمن توكل بأمر المسلمين واحداً كان أو مجموعة كبيرة، ومن ثمّ فإن العودة لا بد أن تكون عودة من يقوم بحق القرآن وحق آل البيت... ومن حَفِظَهَا حَفِظَهُ اللهُ وحفظ الأمة به وهذا ما جاء في الأمر الثالث.

والأمر الثالث: هو حسم كل واحدٍ في الأمة أمره في بيعة المهدي ﷺ قبل بعثته، والنية على بيعته، وعقد العزم على ذلك عند أول سماع خبر بعثته بلا تردّد ولا كبوة، ولا انتظار، بل والخروج إليه من غير اعتبار مشاق حتى لو كان الطريق إليه ثلجاً، وكان المشي إليه زحفاً،

وكان الزحف على الثلج يكلف كثيرا، ويؤخر طويلا، ويقضي على الإنسان تجمدا ... تقول:
ألى هذه الدرجة؟! أقول: هكذا هو معنى ما قال رسول الله ﷺ.

بل يجب الخروج إليه وكل ما يمنع من الخروج كبيعة ونحوها فأت في حل منها،
هكذا أمر رسول الله ﷺ فهو ﷺ من قال: «فبايعوه» أمرا من صاحب ﷺ، والأمر هنا ليس
بانتظاره وبيعته إذا دخل البلد عليكم .. بل يلزمكم الخروج إليه واستقباله قبل أن يصل
ويدخل ..

وهكذا تعود الأمة إذ جعل النبي ﷺ الأمة كلها مستنفة.

حلّ كل مشكلات الأمة باستمساكها بكتاب الله ﷻ وطاعة رسول الله ﷺ

عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شُبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ حَمُّ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاءِهِ»^١.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «الْفَقْرُ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَصْبَنَّ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَهُ^٢، وَإِيْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ^٣، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»^٤.

عن مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - بَلَّغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ نَضِلُّوهُمَا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ»^٥.

١ رواه أبو داود (٤٦٠٤) واللفظ له، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٧١): صحيح برقم (٣٨٤٨)، الترمذي (٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن.

٢ لا يزيغ قلب أحدكم إزاعة إلا هيه: هي ضمير يرجع إلى الدنيا.

٣ البيضاء: أي المحجة البيضاء.

٤ رواه ابن ماجه (٥) واللفظ له، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٧)، وقال الألباني: حديث حسن.

٥ رواه مالك في الموطأ، (ص ٨٩٩) واللفظ له، وقال محقق «جامع الأصول»: وهو حديث حسن (جامع الأصول ص ٢٧٧).

المشكلات المهلكات والوقاية منها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^١.

١ رواه البخاري - الفتح ١٣ (٧٢٨٨).

الفصل الثاني: التدريب الأول بالاختصار للقارئ وترك التفصيل له

المقدمة

لو كان التأليف بذاته لأبقيت الأمر على نفس المنهج وطريقة الشرح النموذجي كما في الفصل الأول، وأطلقت العنان للقلم، فإما أن أبلغ نهاية كل حديثٍ قاله رسول الله ﷺ أو أموت دونه ..

ولكن لما كان هذا المنهج جديدًا لم يُسبق، وذلك لأنه مرتبطٌ بهذا العصر الذي لم يسبق له مثيل ... كان لا بد من صناعة أكبر من عقلية التلقين أو الحفظ، وأبعد من مجرد الإعجاب، لا بد من صناعة عقلية التجديد لفهم السُّنة .. فإن إدراك التجديد في السُّنة إنما يكون بإدراك الإعجاز في جوامع الكلم في كل حديث تراه من أحاديث النبي ﷺ.

إدراك الإعجاز حين ترى بعينيك أن النبي ﷺ قد جعل لنا علامات في كل حديث أنه يقصدنا نحن أهل هذا الزمان، وأنه ما غفل عنا وحاشاه.

إدراك الإعجاز واستخراجه، والتنصيص عليه، حتى لكأنه ﷺ معنا.

وما كان لي أن أجعل هذا الفصل والفصل الذي بعده هنا لولا أنني قد كتبت الفصل الأول، وهو الفصل النموذجي، وقد بينتُ كل ذلك تفصيلاً كافياً في كل حديث من الأحاديث السبعة عشر التي تناولتها هناك بعدما بينتُ المنهج مفصلاً في مقدمة الكتاب تفصيلاً.

وهذا هو الإعجاز في جوامع الكلم، وليس الإعجاز أن أبين ومضات لغوية في كلامه
ﷺ وهذا لا ينكر، ولكن أين هذا الإعجاز اللغوي من إعجاز ثمرته إحياء سُنَّته ﷺ، بل إحياء
أُمَّته.

كما كان بمقدوري أن أجعل الفصل الأول كتابًا مستقلًا، ثم آتي بالجزء الثاني وآتي
بالسنة حديثًا حديثًا، وأجعل لكل حديث عنوانًا فيه إشارة لهذا المنهج، حتى أمرَّ على السُّنة
كاملة، أو أمرَّ على كتاب نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين كاملاً، لأنه هو الكتاب الذي
اخترته، ولكن رأيت أن هذه الطريقة ربما تلقي عن عاتقي العبء، إلا أنها لن تصنع تجديدًا
ولا تصنع عقلية التجديد في تناول سُنَّة النبي ﷺ... فكان لا بد من التدريب العملي للقلب
المسلم والعقل المسلم في هذا الزمان.. وليشيع هذا الأمر ويكسر احتكار السُّنة، وتحيا الأمة
بروح سنة المصطفى ﷺ وروحها ووحياها.

فكان هذا المختصر بالنسبة لما مضى أولاً.. ثم كان الفصل الذي بعده، وكان الحمل
على القارئ أكبر، وذلك لأن الفصل الثالث القادم هو مجرد أسئلة.. وبها من لذة.. لما فيها
من دلالات على الإعجاز الجديد، وما فيها من تناغم، وتساؤل، وتجاوب، وتناغم ما بين
الأسئلة الموجودة وبين قلب المتلقي وعقله.

ولما كان المقصود هو صناعة تلك العقلية التي ذكرت جاء التدريب على نوعين، كما
جاء مطوَّلاً بمجموعه بالنسبة لأعداد الأحاديث المشروحة شرحاً نموذجياً ستة عشر حديثاً
في مائةٍ وثمانين صفحة، منها المقدمة وحدها، والتي تجاوزت الستين صفحة.

بينما جاءت الأحاديث المشروحة شرحًا موجزًا كما في هذا الفصل ثلاثة وعشرين حديثًا في ست وستين صفحة فقط.

أما الفصل الثالث وهو فصل التدريب على المنهج بالتساؤل والتجاوب، أو بالتجاوب من خلال التساؤل، وذلك لأن السؤال هو من يدلُّك على الجواب، فقد جاء هذا الفصل في مائة واثنى عشر حديثًا في أكثر من مائة وتسعين صفحة ..

لكني أحسبها خفيفة لطيفة على القلب، مائعة للعقل منتجة ثمرة - بإذن الله - أحسن

الإنتاج.

الحديث السابع عشر: المفتاح: [فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟]

الحديث والحادثة:

عَنِ الْعَرَبَابِضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيْرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^١.

المشكلة: الخلاف الكثير في هذا الزمان خاصة

مفاتيح الانطلاقة مع النبي ﷺ:

الانطلاقة الأولى: الإطالة على تفاصيل عصرنا بعيني رسول الله ﷺ الكريمتين

هذا هو العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاب من شبان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين يشهد هذه الصلاة خلف رسول الله ﷺ وكأنه **والله** يشهدنا لنا، بل كأنه مرسل من عصرنا إلى ذلك اليوم

١ عضوا عليها بالنواجذ: مثل في شدة الاستمسك بأمر الدين؛ لأن العَضَّ بالنواجذ عَضَّ بجميع الفم والأسنان، والنواجذ هي أواخر الأسنان، وقيل: هي التي بعد الأنياب.

٢ رواه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣ / ٨٧١): صحيح، الترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، ابن ماجه (٤٢)، أحمد (٤ / ١٢٦، ١٢٧)، الحاكم (١ / ٩٦ / ٩٧)، الدرهمي (١ / ٩٥)، حديث (٩٥)، وقال الألباني: صحيح - صحيح الجامع (٢ / ٣٤٦).

العظيم والفرض العظيم الذي صَلَّى خلف رسول الله ﷺ، حيث عاد يروي لنا ما رآه ملء عينيه، وما سمعه ملء أذنيه، وما تأثر به قلبه وذرفت لأجله **عيناه**.

فما كان ذلك إلا بعد ما رقت القلوب في لقاء الله .. وما كانت الموعدة بعد الصلاة ممنوعة ولا حرام .. ومن ذا يجرمها! فكان رسول الله ﷺ هو الواعظ والأمر.

وما كان الوعظ **وصفة** الوعظ، ووصف الواعظ **منقصة** كما يعدّه من سموا أنفسهم بعلماء الحديث هذه الأيام وطلاب العلم هذا الزمان.

ثم ألا ترون كيف تجاوزت القلوب مع **موعظة** نقلتهم إلى الرحيل .. وتجلّى عليها صدق رسول الله ﷺ حتى ظنّ الحاضرون أن رسول الله ﷺ يحدثهم عن وداعه هو للدنيا ولهم؟!!

ألا ترون أن الصحابة **رضي الله عنهم** بعد هذا التأثر انتقلوا إلى طلب الوصية لهم من رسول الله ﷺ؟!!

ألا ترون أن الرسول ﷺ أوصاهم وحديثهم عن حالهم **يوم يحدث في الأمة اختلاف كثير**؟! بل إنه **حدثهم** يوم أن انفلت من أيديهم الجبل المتين، وانكسرت العروة الوثقى .. بل وافلت الأمر حتى من النواجد؟!!

ألم يحدثهم رسول الله ﷺ عن كل هذا في المسجد؟!!

ألا ترون كم من العصور قد **مرّ على** هذه الموعدة من عصور الأمة .. فأبي عصرٍ من عصور الأمة كان الأحوج لها من عصرنا هذا؟! بل هل تحسبون أنني وأنا في هذا الزمان البعيد تنبّهت لشيء لم يتنبّه له رسول الله ﷺ، وعلمت بحق نراه لم يعرفه عنا رسول الله ﷺ ... والله إن باطن الأرض أحب إليّ من ظاهرها من أن أظن هذا الظن ... عيادًا بالله تعالى!

والانطلاقة الأولى كافية - بإذن الله - لتمهّد الطريق لفهم الانطلاقات الانطلاقات الأربع القادمة لإنزال الإعجاز على هذا العصر وبيان ذلك من الحديث نفسه، وبيان جوامع كلمه الذي جمع رسول الله ﷺ شتات عصرنا في كلماته الجامعات.

ولقد تنوّع الشرح في الأحاديث في هذا الفصل تنوعاً كبيراً؛ فالضابط هو إعانة القارئ على الاستنباط من مختلف الأوضاع والاتجاهات من حديث رسول الله ﷺ.

الانطلاقة الثانية: قراءة فكرة القائد قبل أن يفصح عنها

الانطلاقة الثالثة: الالتفاف حول الخليفة وأمرائه

الانطلاقة الرابعة: قدوة الخلفاء ومعيّارهم [الخلفاء الراشدين] ﷺ

الانطلاقة الخامسة: دلالات [وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا] لهذا الزمان في بلاد الإسلام

الحديث الثامن عشر: المفتاح: [إنما أردت خلافي]

الحادثة والحديث:

عن ابن أبي مُليكة قال: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بغيره، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢] إِلَى قَوْلِهِ: {عَظِيمٌ} [الحجرات: ٣]، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ.

المشكلة: وأشار الآخر بغيره

مفاتيح الانطلاقة مع النبي ﷺ:

الانطلاقة الأولى: نقطة الخلاف عند الكبار في الحق تكبر، بل تختفي سريعاً

إنك لا تشك أبداً أن هذا المجتمع كان هو صنع الله **كيف لا وهو** المجتمع القدوة للأمة في جميع **مراحل** مجتمعاتها وعصورها، وإنه على الأخص لعصرنا الحاضر الأخير هذا .. إي والله.

تقول: فأين قصة عصرنا هذا في هذا الحديث!؟

١ رواه البخاري (٧٣٠٢).

استمع إلى ما قاله ابن أبي مليكة في صدر هذا الحديث: «كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». حَقًّا إِنَّهَا قِصَّةٌ، لَكِنَّهَا قِصَّةُ الْغِصَّةِ الَّتِي مَا اسْتَطَاعَتِ الْأُمَّةُ أَنْ تَبْتَلَعَ لِقْمَتَهَا مِنْ بَعْدِهَا، وَهِيَ فِي عِدَادِ الْهَلَكَى فِي الْحَقِيقَةِ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ!

نعم؛ فإذا كان الاختلاف يصنع بأعظم الناجين من الكفر - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - كل هذا، ويهلكهما وإن كانا سادة الناجين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما بالك بغيرهما .. ما بالك بالأمة اليوم التي أهلكتها الخلاف ما بين القومية التركية، والقومية العربية، والذي كان صناعة يهودية بامتياز. وتواصل الخلاف حتى أصبح دولاً مستقلة، وديساتير وَضَعِيَّةٌ، ثم اختلافاً داخل البلد الواحد على الطبقات التي فيه، ثم التحزُّبات داخل البلد الواحد، وفي كل ميادين الحياة، حتى الميادين الاجتماعية، بل حتى الزواج.

وما زلنا نواصل نزيف الروح الواحدة، ونزيد الاحتقان، ونُشْرِعُ للخلافات قواعد وأصول!

وسبحان الله فلقد كان اختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على تعيين أميرٍ على قومه من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأي موضوع - اليوم - لا يسمح بتجاوز الخلاف إلى الاتفاق في الأمة مثل هذا؟!!

وأي جدية ينبغي للأمة اليوم أن تأخذها في حل الخلافات أكبر من أن يؤدي إلى نسيان وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، والتوقف والرجوع إلى أمره؟! إذاً فماذا سيصنع، بل قد صنع بناء هذا الاختلاف؟! والسؤال هو: إذا كان هذا صنْعُ الاختلاف وصاحب السنة صلى الله عليه وسلم حيٌّ بينهم،

وقد حلَّه رب العالمين .. فكيف بنا نحن الذين في هذا العصر وليس عندنا رسول الله ﷺ ..
وليس عندنا منه إلا مجرد روايات ومرويات!؟

الانطلاقة الثانية: من مؤهلات أعظم القادة القدرة على تحويل المهلكات إلى منجيات،

ومنارات

الانطلاقة الثالثة: [القائد القدوة ...] وكفى الله المؤمنين

الحديث التاسع عشر: المفتاح: [والله لَنَمْنَعُهُنَّ!]

الحادثة والحديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنْتَكُمْ إِلَيْهَا» قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أَخْبِرْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ!.

المشكلة: تقديم العاطفة المتوارثة على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

مفاتيح الانطلاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الانطلاق الأولى: إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقَدَّم على إذن الزوج على زوجته، والوالد على ولده، والامر على مأموريه.

الانطلاق الثانية: رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل إذن الزوج شرطاً.

الانطلاق الثالثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل خروج الزوجة لبيت الله مشروطاً بإذن زوجها فكيف بغير المسجد ...

الانطلاق الرابعة: من يقوم مقام ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فيرد مَنْ يلتزموا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن خرجن بغير إذن ولغير بيوت الله!؟

الحديث العشرون: المفتاح: [مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ السَّالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

المشكلة: توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الانطلاقة الأولى: هذه أول وأكبر نقطة خلاف في الخلافة الأولى وقد حسمها الصديق

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مهدها... وما زلنا نبحث اليوم من جديد فيها. **الانطلاقة الأولى:**

سبحان الله؛ فهذا هو الدرس الأول لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من

وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إنه الدرس الذي خرج من وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبقاء أمته العظيمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

على طريقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك الدرس هو كيفية اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. كيف حل مشكلاتنا بهديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. هو

١ رواه البخاري - الفتح ٣ (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) واللفظ له.

كيفية الاستدلال والترجيح إذا ظهر للناس أن ثمة أدلة من القرآن وأدلة أخرى من السُّنة، وأن الظاهر بينها هو التعارض.

كيفية حل مشكلاتنا إذا كان الدليل واحداً وكلا الطرفين يستدلان به، كيفية حل مشكلاتنا وقد بلغ الخلاف في هذا الفهم وجود الإسلام أو ذهابه إلى الأبد!

فهل من درس لموضوعنا هذا [كيف حل النبي ﷺ المشكلة] مثل هذا الحديث من كل جهة!

لقد توقف عمر رضي الله عنه هنا عند ظاهر الحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ}»^١، وسبحان الله: كيف جعل رب العالمين أقوى الأمة في هذا الموقف يمثل منهجاً قائماً ومنتشراً ومؤثراً في هذه الفترة من الزمان .. وهم من يعتبرون الأخذ بالسُّنة إنها هو الأخذ بظاهرها، ويقولون: إنه الأصل بمعنى الأصل الذي لا يجوز تجاوزه!

فجاء الصديق رضي الله عنه ولم يجادل في حديث رسول الله ﷺ، بل كأنه هو الرجل الذي أشار له النبي ﷺ «فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»^٢، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من استحق دعاء النبي ﷺ «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ»^٣، فكانت رحمة الأمة وإنقاذها بحفظ هديه ﷺ والعمل بفقهاء. ولو ترك الأمر للعمل بظاهر الحديث دون فقهه لما

١ رواه مسلم (٢١).

٢ أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

٣ أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وصححه الألباني.

كانت اليوم أمة محمد ﷺ، لكن الله مع حفظه لأمة محمد ﷺ يعلمنا أسباب حفظه لها، وتهيئته أصحاب رسوله ﷺ ليقوموا بحمل رسالة رسول الله ﷺ كما يحببه الله ورسوله ﷺ.

وليكونوا هم القدوات العملية لنا نحن إذا ما واجه هديه ﷺ الحياة وليس بعد مواجهة الصحابة رضوان الله عليهم الحياة بعد رسول الله ﷺ وموته من صعوبة ومصيبة، ولهذا كانت هذه المواجهة هي الحل لكل مصيبة دونها. وهل من مصيبة إلا هي دون مصيبة موت رسول الله ﷺ!

هكذا يحكم الله آياته، ويحكم هدي رسوله ﷺ في حياته وبعد مماته، وهكذا جعله الهدي الباقي قدوة إلى أبد الدهر بهؤلاء الرجال، وبكل ما حدث لهم بعد رسول الله ﷺ في شأن أمتهم.

هنا كان الفهم للسنة هو الفاصل كما كان الفهم لسليمان عليه السلام هو الفاصل والمرجح على حكم أبيه داود عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۗ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۗ﴾ [سورة الأنبياء].

وسبحان الله؛ كيف يأتينا نحن هذا الأمر في هذا الوقت ونحن في فترة قد عاد أناس ليس إلى الأخذ بظاهر السنة فحسب، وإنما إلى إعادة حفظ السنة بالطرق الأولى برواياتها ورواياتها.. دون العناية مطلقاً بفهمها المنطلق من عصرها وظروفها كما انطلق الصديق عليه السلام مع من [فرّقوا بين الصلاة والزكاة]. ولو بقي الأمر في الاختلاف العلمي المحمود لكان خيراً، لكنه تمزيق جديد في قلب الأمة اليوم.

وسبحان الله فقد كان هذا الموقف الأعظم بعد رسول الله ﷺ لا يليق بالصدِّيق فانفرد به ﷺ عن جميع الصحابة ﷺ .. وقد خَطَّ به للأمة خطأً عظيماً وصرافاً للسُّنة مستقيماً في فهمها ثم أجرى ما كان لرسول الله ﷺ لخليفته ولأمته على ما كان حتى بعد موته ﷺ لا فرق ... فإن وجود رسول الله ﷺ لا تعلق له بوجود شرع الله وهدى رسول الله ﷺ .. ولا موته ﷺ موت لهديه، وهكذا حلَّ أبو بكر الصدِّيق ﷺ المشكلة .. وهكذا نحلها نحن بإذن الله .

الانطلاقة الثانية: من أقام نفسه في الخلافة مقام رسول الله ﷺ حكم بحكم الصدِّيق

ﷺ لا محالة .

الانطلاقة الثالثة: لا يسع الأفراد أن يقيموا أنفسهم مقام الصدِّيق لكن لا يسعهم إلا

أن يعتقدوا باعتقاد الصدِّيق ﷺ .

الانطلاقة الرابعة: لا يسع العالم إلا البيان .

الحديث الحادي والعشرون: المفتاح: [تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا]

الحديث والحادثة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيهَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدْلِكَ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، يَعْنِي مَالَ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلَا عَمَلَنَ فِيهَا بِمَا عَمَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَتَشْهَدَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي^١.

المشكلة: أعظم مشكلة في الإسلام اليوم انبعثت من لا مشكلة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الانطلاقة الأولى: مقام المرأة: هذا هو مقام المرأة في المجتمع القدوة الذي أخرج به الله صلى الله عليه وسلم من الموات إلى الحياة؛ وهذه هي فاطمة - عليها السلام - ترسل إلى أبي بكر فيأتيها إلى بيتها، وهذا هو مقام آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا حفظ الله صلى الله عليه وسلم ملك الأمة حين حفظوا وصية الله التي أوصى بها رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوصي بها الناس وأعلنها الله،

١ رواه البخاري - الفتح (٣٧١١-٣٧١٢).

وخلدها الله ﷺ في القرآن العزيز فقال الله ﷻ: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣].

ارجع إلى كل ما قلناه تجد عظمة الرسائل التي أرسلها أصحاب رسول الله ﷺ وهم صناعة ربه ﷻ وصناعة يده ﷻ وصورة هديه في الحياة وبين الأحياء.

ارجع إلى كل نقطة من منظار ما نحن فيه قبل أن نمضي ونكمل هذه القصة العظيمة والحقيقة الباقية الناطقة: [كيف حل النبي ﷺ المشكلة].

ارجع إلى الحديث وانظر كيف كانت مطالبة المرأة بإرثها كما ظنته .. وانظر إلى حرمان المرأة اليوم من الميراث في أمة محمد ﷺ في هذا الزمان في بلاد إسلامية.

ارجع إلى الصديق ﷺ وكيف قدّم تطبيق دين الله على مجاملة آل بيت رسول الله ﷺ .. فهذا حق الأمة وحق الأجيال ... فلا آل بيت يعلو على شرع الله .. وإن كان آل بيت رسول الله ﷺ .. وإن كانت فاطمة - عليها السلام - وهي فلذة كبده ﷺ.

انظر إلى الصديق ﷺ كيف أجاب فاطمة بما حفظ عن أبيها ﷺ، فأخذ بنص الحديث، بينما ردّ على عمر ﷺ ومن اعترض في حروب الردّة ومنع المانعين الزكاة بفقّه الحديث.

انظر إلى صدق الصديق وثباته على الحق فقد أرجع علي ﷺ إلى الحق كما أرجع عمر ﷺ إلى الحق بثباته وصدقه.

وصدق من كتب يوماً كتباً قرأناه في الصغر [ردة ولا أبا بكر لها] هذا حال المسلمين يومذاك وهذا حالنا اليوم ولك أن تكمل القصة.

الانطلاقة الثانية:

هو ﷺ هو قدوة الخلفاء والأمراء ولا إرث لذريته فوق ذراري أمته، بل لا إرث لهم مطلقاً.

الانطلاقة الثالثة:

الصديق ﷺ هو الذروة في الحب والعاطفة وهو الذي في **الحزم في الحكم** وتطبيقه ...
فمن يجتمع فيه هذان الأمران في وقت واحد؟!!

الانطلاقة الرابعة:

مفتاح حل المشكلة الخاصة والعامة .. الماضية والحاضرة والقادمة في قول الصديق ﷺ: «وَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

الحديث الثاني والعشرون: المفتاح: [اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهبٍ]

الحديث والحادثة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهبٍ، فاتخذ الناس خواتيم من ذهبٍ، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتماً من ذهبٍ فنبذته، وقال: إني لن ألبسه أبداً»، فنبذ الناس خواتيمهم^١.

المشكلة: [فاتخذ الناس خواتيم من ذهبٍ]

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: اقتحام حدود الله

سبحان الله العظيم كيف **فصل** هذا الحديث لنا تفصيلاً ما نحن فيه اليوم. إنه ورغم معدودية كلماته إلا أنه يعلمنا الأدب مع رسول الله ﷺ حين نظن مجرد الظن أن لا دخل لنا في أي حديث من أحاديث رسول الله ﷺ. بل حين نظن ذلك في حديث واحد! وما ينبغي لنا بعد كل هذه الجولة ... التي ما تقصدنا جمع أحاديثها في هذا الشأن والموضوع إنما هي كما كتبت من قبل لم أغير حديثاً من موضعه لأخذ حديثاً شاهداً على **قولي** .. بل تركت كل حديث كما هو لنعلم أن رسول الله ﷺ قد **بلغنا** الرسالة ونحن في آخر العصور أعظم البلاغ وأحسنه وأنه ما نسينا ولا **حجبه الزمان** رضي الله عنهما عنا والله أبداً **فصلى الله عليه وسلم**.

١ رواه البخاري - الفتح ١٣ (٧٢٩٨).

ولنعلم أن الجهد اليوم أماننا عظيم لنغوص في الأعماق فنستخرج منها خطاب رسول الله ﷺ فالأمر غالٍ ونفيس وليس طافٍ كزبد البحر على **ظاهرة** أو كفضلات البحر ونباتات أعماقه المجتثة أو أسماكه النافقة.

إن هذا الحديث كلمات معدودات كما تراها يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَبَدَّهْ، وَقَالَ: إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا»، فَبَدَّ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ.

إن هذا الحديث هو حديث عن واقعنا هذه الأيام من دون أيام أمة محمد ﷺ وأعصرها السابقة جميعًا .. إنه الحديث **الضرورة** الذي **يهدي ويعلم ويذكر** حين نفتقد فيه الأمة القدوة والقدوات .. وهو الحديث عن أعظم مشكلة وذلك حين **يتجول** فيها من كان مفترضًا فيه أن يكون قدوة صالحة إلى قدوة سيئة!

فحين ترى القدوات في بيوتهم أو في مجتمعاتهم وفي بلدانهم يلبسون خواتم الذهب بحجة دبلة الخطوبة كما يسمونها أو يعلق بعضهم سلسلة ذهب في عنقه فترى أحيانًا من تحت عنقه خلف ثيابه .. وكل الناس يعرفونها.

والحديث ليس محصورًا في شكل خاتم فحسب .. إنما هو اقتحام حدود الله بالقدوات ... وإلا أما كان ربنا سبحانه قادر أن يمنع رسول الله ﷺ قبل أن يلبسه أول ما لبسه ..! لكن أي رسالة سوف تصل إلى أصحابه رضي الله عنهم وإلى العصور من بعدهم بمجرد النهي بالكلام!؟

وأى رسالة عملية بليغة هذه التي وصلتنا نحن القدوات ونحن المقتدين في هذا العصر! إن هذا الحديث يبين مشروعاً ضخماً وهائلاً يعمّ الأمة كآمة وليس كفرد من الأفراد **في هذا الزمان خاصة ..**

إن قصة الخطباء الذين كادوا ينقرضون من الذين كانوا يقولون كلمة الحق فسكتوا، بل ظهر من استلم المنابر وإنما هو صنيعه النفاق والمداهنة، وقول الباطل، واستدعاء كل شيطان أن يقتحم الدين وهؤلاء هم الصادون عن هجوم أصحاب كلمة الحق من فضحهم أو هجومهم عليهم!

إنها قصة إعلان المنكرات وإظهارها **وعمل مشهور** من المشهورين دعاية لها، أو افتتاحية لمشروعها... أليس هذا المشهور هو من يسمى [قدوة] سواءً سيئة أو حسنة.. وهذه المشاريع التي يقتحمها هؤلاء القدوات في جميع المحرمات وبشكل مناهج، ومؤسسات، وديساتير، وأعمال، وحرمان **وحدث** ولا حرج! أليس العلاج الواضح هنا هو بتوبة القدوات وإقلاعهم وإلا فالاستبدال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

الانطلاقة الأولى:

الحل بحركة دون موعظة [فنبذهُ].

الانطلاقة الثانية:

كم يوفر القدوة على نفسه من الاعتذار والتبرير بمجرد الترك.

الانطلاقة الثالثة:

اتخذ عملاً صالحاً ومنهجاً صالحاً ... وكل الناس من بعدك صالحون.

الحديث الثالث والعشرون: المفتاح: [أبلغ عند الله]

الحل والحماية: بالاستعاذة بالله أولاً

الحادثة والحديث:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُلِّ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلِّ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»^١.

المشكلة: ألا يعرف الإنسان ما لا يصلح له

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الانطلاقة الأولى: لتصور تلك المرحلة التي كان القرآن فيها حديث التنزل؛ وكم كان اشتياق الصحابة لتناول كلام الله وحفظه أولاً بأول في قلوبهم، فجاء عقبة يلتمس بأقوى صور الالتماس حفظ هاتين السورتين؛ تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال حتى وجد الفرصة، فوضع يده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بعد هذا توَسَّلُ، وقال متوسِّلاً: «أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ». فأى طلاب علم هؤلاء رضي الله عنهم ... وأي شغفٍ هذا .. ولعله كان يريد إقراءه السورتين إذ هو صلى الله عليه وسلم على دابته.

الانطلاقة الثانية:

١ أخرجه النسائي (٩٥٣)، واللفظ له، والبعغوي في شرح السنة (٤/ ٤٧٩)، قد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٢ - ٥٧٣) طرقاً كثيرة لهذا الحديث ختمها بقوله: فهذه طرق عن عقبة كالتواتر عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث. وصححه الألباني.

العلم ليس بالمكاثرة؛ العلم حسب كل شخص، وحسب حاجته، وحسب مرحلته ..
ومن يدري فلعل همةً مثل هذه أحوج ما تكون إلى حراسة قبل الابتداء فكانت الوصية
بالمعوذتين.

الانطلاقة الثالثة:

الإقراء ليس آليّة، والمقرئ ليس جهازًا جامدًا؛ فالقمة أن يعلم وأن يقدم الأبلغ عند
الله، وإن لم يعلم فليعلم ما معنى الأبلغ عند الله ... وأول ذلك هو حاجة الأمة؛ فهذا هو
القدوة حقًا.

الحديث الرابع والعشرون: المفتاح: [فَأَخَذَ بِكَفِّي]

الحادثة والحديث:

عَنْ شَكْلِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ.
قَالَ: فَأَخَذَ بِكَفِّي فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ
لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي» يَعْنِي فَرْجَهُ^١.

المشكلة: «عَلَّمَنِي تَعَوُّذًا»

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى: كان يتصور أن التعوذ من شرور خارجية عن بدنه ونفسه فإذا بالنبى

ﷺ يأخذ بيده .. ليشير إلى التعوذ من أشرار في ذاته .. في نفسه .. بما تكسبه يده!

الانطلاقة الثانية: أول ما علمه التعوذ منه النبى ﷺ هو القنوات التي هي المعابر ما

بين الخارج وداخله حيث قلبه، وشهوته، وعقله الذي هو مغذي لسانه.

الانطلاقة الثالثة: وأكبر من هذه الشرور وأعظم منها خطرًا هو من يملك خيلها

وجندها .. فيركب خيلها ليغزو بشياطينه السمع، والبصر، واللسان، والقلب، والفرج ...

ولا يتركها الليل والنهار حتى يدمرها تدميرًا .. عامًا .. في صاحبه، أو في أصحابه أو في

مجتمعه.

١ رواه الترمذي (٣٤٩٢) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو داود (١٥٥١)، والنسائي (٢٥٥ / ٨)، والحاكم في المستدرک (١ / ٥٣٢) -

(٥٣٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو في الصحيحة (١٥٤٢).

الانطلاقة الرابعة:

كل واحدٍ يحرس أماناته؛ فمن ملك أماناته الذاتية من سمع وبصر ولسان وقلب
ومني .. ولم يملك إلا الاستعاذة فليستعد .. ومن كانت أماناته **بحدود** أهله فليحرس
أسماهم وأبصارهم ونحو ذلك .. ومن كانت أماناته أكبر محاسناته أكبر وهكذا .. فكان الله
في عون الحارس الأكبر وهو خليفة الأمة.

الحديث الخامس والعشرون: المفتاح: [عند النبي ﷺ]

الحادثة والحديث:

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمْجُنُونُ أَنَا؟ أَذْهَبُ!.

المشكلة: [حَتَّى انْتَفَخَ]

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

حتى في مجلس رسول الله ﷺ لن يترك الشيطان جُلاس رسول الله ﷺ ... فأبي
خطورة هذه...؟! نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والرسالة: إياك أن تغتر .. إياك أن يدخل منك الشيطان إلى أعزِّ مواقع الأمة ومركزها.

الانطلاقة الثانية:

١ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦١٠).

الحل هنا بكلمة واحدة: أعوذ بالله من الشيطان .. لكن أنت من يتعوذ، ولست أنا الذي أعيذك، ولا يفعلها إلا من عَرَفَ عدوه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

الانطلاقة الثالثة:

لن يكون أحدٌ في حماية أحدٍ من الشيطان نعوذ بالله منه، سواءً كان في مجلس رجل صالح، أو صحبة عالم رباني، أو ولي من أولياء الله ... فمن ذا مثل مجلس رسول الله ﷺ ... ومنه كانت الدلالة على الحل الذي به النجاة إلى يوم القيامة من الشيطان عند الغضب وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

الانطلاقة الرابعة:

تنبه إلى عظمة الاستعاذة في أول الأمر وخذ بها بجِدِّ، وإلا فلربما بلغ بك الغضب أن تردَّ كلمة رسول الله ﷺ عياداً بالله من ذلك.

الحديث السادس والعشرون: المفتاح: [أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»^١.

المشكلة: التهاون في الاستعاذة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الانطلاقة الأولى: الحل تعليم الصغار الاستعاذة وأهميتها:

عن ابنِ عَبَّاسٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَلَا أَدُلُّكَ - أَوْ قَالَ: - أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»^٢.

الانطلاقة الثانية: خطر التهاون

١ رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وصححه الألباني.

٢ أخرجه النسائي (٥٤٣٢)، وصححه الألباني.

الاستعاذة ليس حفظ كلمات فحسب، إنما هي حفظها، وقولها ومعرفة غايتها، ومعرفة خطر التهاون بها؛ فعن ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ قُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^١.

الانطلاقة الثالثة:

إذا تحصن الصغير بالاستعاذة بنفسه عاش حامل مسئولية حارساً لنفسه وإن غاب وليه.

الانطلاقة الرابعة:

هذه الحماية من الشياطين الجِنَّة، فوجبت الحماية من شياطين الناس فهؤلاء أخطر في هذا الزمان .. فلا بد من الحماية منهم.

١ رواه مسلم (٥٩٠).

الحديث السابع والعشرون: المفتاح: [إذا تزوج .. أو اشترى]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذُرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^١. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: زَادَ أَبُو سَعِيدٍ، ثُمَّ لِيَأْخُذَ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَاتِ فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ.

المشكلة: إهمال شيء بغير طلب حمايته.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

كل شيء عندنا معرض لخطر الشيطان ما لم نُحرس النفس منه بالاستعاذة ..
فالاستعاذة هي الحل.

الانطلاقة الثانية:

ليست الاستعاذة وحدها كافية، بل لا بد من طلب خير كل شيء؛ وتحقيق المطلبين إنما هو عند الله وحده.

١ رواه أبو داود (٢١٦٠)، وحسنه الألباني.

الانطلاقة الثالثة:

ترسيخ العلاقة الوثيقة ما بين المؤمن وبين كل ما حوله من أهلٍ أو جمادٍ أو حيوان.

الانطلاقة الرابعة:

كم نحتاج إلى هذا الدعاء في زمان قد اختلط فيه الخير والشر أكبر اختلاط، وقد ألبس فيه الشر لباس الخير، وقد اختلط فيه الحلال بالحرام والحرام بالحلال، وتداخلت فيه الميتة من الذبائح بالمذبوح شرعاً .. وهكذا الشريرة من البنات بالمؤمنات الغافلات.

الانطلاقة الخامسة:

أليس الواجب أن من يستعيذ بالله من شيء من المحرمات والموبقات والمهلكات أن يأخذ بأسباب البعد عنه واجتنابه ويكون أشد فراراً منه ... مادام يستطيع ذلك وإلا ربهما تحول هذا المستعيذ إلى متهاون، ولربما إلى مستهتر!

الحديث الثامن والعشرون: المفتاح: [اللهم إني أسألك]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: وَإِذَا تَحَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا} [الأحقاف: ٢٤]»^١.

المشكلة: الغفلة والاستغفال مع آيات الله من حولنا

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى:

اللجوء إلى الله ﷻ بصدق وإشفاق وخوفٍ حقيقي فذلك هو الحل الأول.

الانطلاقة الثانية:

تحركات هذا الوجود من حولنا رسائل ... فهو لا عبث عنده ... فلا هدوء حتى

نعرف الرسالة التي حملها.

١ رواه مسلم (١٩٩).

الانطلاق الثالثة:

تحركات رسول الله ﷺ غير المعتادة جاءت في مقابل تحركات الوجود غير المعتادة، وهذه ما كانت إلا خوفاً على مجتمعه وعلى أمته وهو رسول الله ﷺ، وهكذا يجب أن يكون الخليفة والراعي.

الانطلاق الرابعة:

هذا حال رسول الله ﷺ حذراً، وخوفاً، وإشفاقاً، حتى أمطرت السماء، ولا توجد أي معطيات، أو مقدمات لحدوث غضب الله ﷻ وهو أرحم الراحمين سبحانه ... فكيف وما فعله قوم عاد، وثمود، وقوم لوط كله موجود اليوم، وممنهج ومستعلن به؟!

فالحل: **بالتربية الفورية العامة الشاملة، وتجديد التوبة عند كل حدث، والحل بتحسين**

المجتمع ... وإلا فقد كان ما حولنا هو جند الله الأول على من قبلنا.

الحديث التاسع والعشرون: المفتاح: [فَإِنَّمَا رَأَتْ مَلَكًا]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّمَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَمِيقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّمَا رَأَتْ شَيْطَانًا»^١.

المشكلة: في منهجية الصّدِّ عن المنذر والمبشّر من حَوْلنا من المخلوقات

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الانطلاقة الأولى:

أحسنُ الظنِّ بما حولك، فهو إما يحدّرك لتستعيد، أو يبشّرك لتغتئم.

الانطلاقة الثانية:

ضرورة القراءة الصحيحة لكل ما حولنا .. وهذه لا يمكن أن تكون إلا بالله وحده.

فالديك ليس ملكًا، والحمار ليس شيطانًا .. وإنما كل منهما مُبلِّغ، فأصغِ سمعك للبلّاغ

الذي جاءك، بل وتجاوب مع كل واحدٍ بحسبه .. فذلك هو الحل.

الانطلاقة الثالثة:

١ رواه مسلم (٢٧٢٩).

هل نكتفي بأن نتفرّج على الديك وعلى الحمار، وقد قام كلُّهما بكُلِّف به من تبشير أو إنذار، ثم لا نكون مثلها على الأقل لأقوامنا.

إن الديك والحمار يستنهضان من رأى في الأمة خيراً قادمًا فليبشّر به، وليدعُ إليه، ومن رأى شرًّا قادمًا فعليه أن يقف له ويحذر منه **وكلُّ حسب عمله**.

قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨]، ومدى مسؤولية كل واحدٍ في هذا الأمر **إنما تعني** مدى ما يبلغ صوته ويمتد أمره ويده، ويا ويح القرية يوم لا يبقى فيها من منذرٍ ومبشِّرٍ إلا الكلب والحمار؟!

الحديث الثلاثون: المفتاح: [لو كان فيك خيرٌ لرأيت]

الحديث والحادثة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يرؤن الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول فيها رسول الله ﷺ ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خيرٌ لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ذات ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم في خيرًا فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحدٍ منهما مقمعةٌ من حديد، يُقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم إني أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيني ملكٌ في يده مقمعةٌ من حديد، فقال: لن تُراع، نعم الرجل أنت، لو كنت تُكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطويةٌ كطي البئر، له قرونٌ كقرن البئر، بين كل قرنٍ ملكٌ بيده مقمعةٌ من حديد، وأرى فيها رجالاً مُعلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة، على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن عبد الله رجلٌ صالح، لو كان يُصلي من الليل». فقال نافع: فلم يزل بعد ذلك يُكثر الصلاة.

المشكلة: توطين النفس على الدون ... وذهاب جو السباق إلى الله

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

عودة بيوت الله إلى ما كانت عليه، وعودة الفتیان إليها هي الحياة... فالمسجد له جوّه، والجو هو من يصنع من فيه.. وكان ذلك هو ما صنع التنافس.. فصنع جيل ابن عمر رضي الله عنهما على عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم... وانطلقوا من المسجد إلى مجالات الحياة.. ولما عادوا إلى الحياة كانوا داعي الإيمان إلى المسجد ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

الانطلاقة الثانية:

من خلال هذه الرؤيا التي ما جاءت إلا بالدعاء.. وكانت هذه الرؤيا المفصلة العجيبة سبب في حل جذري لنفسية ابن عمر رضي الله عنهما وشخصيته، وما يشعر به من تأخر عن الركب... وهكذا يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يسير على دربه من الأئمة والعلماء فلقد كان يقول أول الحديث: «وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السُّنَنِ، وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكَحَ» فحوّل النبي صلى الله عليه وسلم نظره لنفسه إلى أنه رجل يقوله في تعبير الحديث: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ»، وكان متشككًا في صلاح نفسه وربما قبول عبادته، فتحول بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنه رجل صالح. وكان لا يقوم الليل فجاء الحل بالرؤيا وبتعبير من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم إلى قوام الليل إلى أن مات.

الحديث الحادي والثلاثون: المفتاح: [وكيف لو رأوني]

الحديث والحادثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لَهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أُنْهَمَ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أُنْهَمَ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^١.

المشكلة: قدرة مجالس الذكر اليوم

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ رواه البخاري (٦٤٠٨).

الانطلاقة الأولى:

هذا هو السمو الحق الذي يعيشه المؤمنون في المجتمع المؤمن؛ رجل يذكر الله في مجالس ثابتة أو طارئة في أي مكان... وملائكة مخصوصون طوافون بحثًا عن هذا النوع من الاجتماعات.. يصعدون إلى الله متصلين بالمؤمنين بأجنحتهم.. فتكون تلك الأسئلة العظمى... فتكون الشهادة من الله لتحفظها لهم الملائكة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: 64]، فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ] و [هُمُ الْجُلُوسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ]، فيا لعظمة أركان هذه.

الانطلاقة الثانية:

إذا رأيت الأمة نضبت من هذه المجالس فاعلم أن الشياطين قد **غزتها** وهزمتها **واحتلت** مجالسها، ولربما أخذت أصحابها أسرى وعبيدًا عندها ونساءها إماء.. ذلك أن هذه المجالس مقياس صادق لصلاح المجتمع ونسائه **نعوذ بالله من الشيطان الرجيم**.

الانطلاقة الثالثة:

«وكيف لو رأوني؟» «فكيف لو رأوها؟» الرؤية ليست عندهم شرطًا إنما هو الإيمان بالغيب.. ولو كانت لما كان إيمان بالغيب، ولما كان لاجتماع هؤلاء ضرورة إذ هم بهذا الاجتماع وأمثاله يتواصلون بالحق ويتواصلون بالصبر، ويسقون إيمانهم وثباتهم، ويتكاثرون ويستقطبون حتى من جاءهم لحاجة مثل هذا الرجل.

الانطلاقة الرابعة:

وجود مجالس الذين يؤمنون بالغيب دليل انحسار **الإلحاد**، و**ذهاب** مجالس الذين يؤمنون بالغيب دليل على انتشار الإلحاد وانتصاره، ودليل على قوة **من وراءه**، لأن الإلحاد

بذاته زاهق .. ودليل على أن وراء تلك القوة هم من قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةَ﴾ [النساء:

.[١٥٣]

الحديث الثاني والثلاثون: المفتاح: [فَمَتَى مَاتَ هُوَ لَاءِ؟]

الحديث والحادثة:

عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبِرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هُوَ لَاءِ؟» قَالَ: مَا تَوَا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافُنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.^٣

المشكلة: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا»

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الانطلاقة الأولى:

١ حادت به: مالت عن الطريق ونفرت.

٢ فلولا أن لا تدافنوا: أصله تدافنوا فحذفت إحدى التاءين وفي الكلام حذف يعني: لولا مخافة أن لا تدافنوا.

٣ رواه مسلم (٢٨٦٧).

[فَمَتَى مَاتَ هَوْلَاءَ؟] واضح من سؤال النبي ﷺ أنه سمع شيئاً مهولاً من عذاب هؤلأ فخاف أن يكون هؤلأ من أمته ... فلما قال له العارف بهم: [مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ] سكن ﷺ من هذه الناحية .. لكنه لا يزال خائفاً على أمته من عذاب القبر .. لأن عذاب هؤلأ على الشرك دليل على أن تَمَّ حساباً في القبر، وأي حساب بل أي عذاب هذا الذي يدعوكم أن لا تدافنوا! الله أكبر.

الانطلاقة الثانية:

كم كان رسول الله ﷺ عملياً فهو سأل عَمَّن يعرفهم، ولذا سأله ﷺ بعدها عن وقت موتهم وما سأله عن أسمائهم .. ليعرفهم أهم من أمته أم كانوا قبل ذلك؟ وكم من ضرر لو أعلن عن أسمائهم **وضرر** على الإسلام والإقبال عليه وهداية الخلق وفضيحة ذرياتهم .. فتركه ﷺ ولقنهم الاستعانة من أخطر المخاطر القادمة واحدة واحدة.

الانطلاقة الثالثة:

لو أن خطيب جمعة تحدث عن الفتن وتوقف بعد كل فتنة وقال استعينوا بالله منها فقال الناس بصوت واحد أو متفرقين جهراً من غير إسرار الاستعاذة .. ثم انتقل إلى فتنة أخرى وأمر الناس بالاستعاذة كذلك وهكذا ثالث مرة ورابعة وإلى ما شاء الله .. ألا يَعُدُّ بعض الناس مبتدعاً؟! **إِذَا** فهذا هو ما صنعه رسول الله ﷺ، وهذا هو الحق .. فالرسول ﷺ يعلم ما تفعل الاستعاذة، فكان من نصحه أن أمرهم فوراً بها ليعيدهم الله فوراً منها ... مع بركة الاجتماع، وهكذا من تحدث عن رسول الله ﷺ وأمر الناس بالصلاة عليه بعدما تأثروا

.. وهكذا ذكر من الصالحين المعروفين فدعا له فأمنَّ الناس، وهذا التجاوب الجماعي له وقته،

وله نفعه ووقعه، وله أثره في الأرض وفي السماء.

الحديث الثالث والثلاثون: المفتاح: [جار السوء]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، مِنْ جَارِ السَّوِّءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ»^١.

المشكلة: جار السوء في دار المقام

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الانطلاقة الأولى:

هذا هو علاج جار السوء بل هذه الإشارة إلى أنه لا علاج له إلا بأن يعيدك الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ومن شره .. وهذا من الحل.

الانطلاقة الثانية:

علاج جار السوء أن يسعى كل مسلم أن يتحرى ويسأل قبل سكنه، كما يسأل عن مَنْ جاء يخطب ابنته، فإن كان جار سوء لم يسكن بالبيت الجديد، وإن كان أحسن بيت، وهذا يعني دعوة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجرانه، فيعلم أن الأمة مأمورة بهجرانه بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيترك ويقلع ويتوب وهذا هو الحل إذا فهذا يعني أن إصلاح جار السوء هو الأساس وهو المقصود في نهاية الأمر، وهذا هو الحل الحقيقي الشامل لجار السوء، والطرق كثيرة لبلوغ هذا الأمر بإذن الله ...

١ أخرجه النسائي (٥٥٠٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

الانطلاقة الثالثة:

إذا نظر جار السوء إلى ما أمر الله ﷺ بالاستعاذة بالله منهم وجد أولهم الشيطان - نعوذ بالله منه -، والأشرار، والأمراض، والفتن، والعذاب، ونحو ذلك .. ووجد نفسه أنه في هذا الركب وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فهل من حافز لأن يتوب من فوره ويبدل خلقه إلى أحسن الأخلاق .. بهجران فريق قائد الشيطان والعياذ بالله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «والله لا يُؤْمِنُ، والله لا يُؤْمِنُ، والله لا يُؤْمِنُ». قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»^١.

الانطلاقة الرابعة:

إن المحصلة العظيمة إصلاح المجتمع وتطهيره من السوء كله، وإقلاع البيت السيء عن تصدير السوء إلى جاره لهذه الاستعاذة العظيمة. فهذا هو الحل، بل فيه إصلاح أهل البيت جميعاً لأن النبي ﷺ قد أصلح قائدهم وكبيرهم.

الانطلاقة الخامسة:

إنه الإعجاز النبوي في تعامل الجيران من الدول، فاليوم لا تكاد تجد بين الدول الإسلامية المتجاورة إلا العدا والتجسس والخلافات الحدودية، والخلافات على الثروات .. وكل هذا مما يستعاذ بالله منه، ومما يعمل معه كما يعمل مع الجار السوء من البيوت المقيمة. ومن أسوء الجيران أن يخذل الجار جاره في موقف يحتاج فيه نصرته في حقه.

١ رواه البخاري (٦٠١٦).

الانطلاق السادسة:

كم من الجيران السيئين - وهم قلة - من لا ينفع معه إلا بوضع حد له ولإساءته؛ وهذا في البيوت كما في البلاد، وهذا ما يأتي عادة ببيان الحدود والحقوق للجيران، والثاني بوضع الحدود والعقوبات على سوء الجار، وهذا يأتي من باب آخر الدواء الكيّ.

الحديث الرابع والثلاثون: المفتاح: [جاء رجل إلى النبي ﷺ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»^١.

المشكلة: [عقرب لدغني]

مفاتيح الانطلاق مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

كل شيء تستعيز بالله منه وقد مكنك الله ﷻ من عملٍ تعمله فلا بد أن تعمله فهذا مما كلفت به، ومن لم يأخذ بالأسباب المستطاعة ثم لدغ قيل له: لو كنت جاداً في استعاذتك لأخذت بالأسباب.

الانطلاقة الثانية:

الاستعاذة بما أمرنا بالاستعاذة بالله منه أعظم ضرورة من الأخذ بالأسباب الظاهرة.. والعقرب لا وقاية من لدغته عند ملامسة أي شيء ولهذا قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ، مَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ، إِلَّا لَدَغَتْهُمْ»^٢، «خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ،

١ رواه مسلم (٢٧٠٩).

٢ صحيح الجامع (٥٠٩٩).

وَالْغُرَابُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ^١، فهذا العقرب الذي لا يرى ولا يسمع ولا يرجع بهذه الاستعاذة لن يفعل شيئاً ولن يقدر ولن يضر .. فسبحان من عرّف الكائنات بالمستعبد وغير المستعبد، وسبحان من علّم خليقته في الأرض كلمات فحماه من كل شر في الأرض كما علّم أباه كلمات فتاب عليه .. وسبحان من جعل الوجود كله محكوماً بكلماته سبحانه.

الانطلاقة الثالثة:

من فضل الله ﷻ أن أتى رسول الله ﷺ جوامع الكلم ليفيض بها على الدنيا ببخور لا تنتهي أبداً ... فهو ﷺ الرحمة المهداة للعالمين أجمعين، ومن هذا الباب فلقد كان تعليم النبي ﷺ أوسع بكثير من الوقاية من العقرب ... فما أكبر وأكثر شرور المخلوقات والمخلوقات الشريرة، وأعظم وأوسع المستعاذ به .. أنه فوق كل **قدرة** وتصور المخلوقات؛ إنها [كلمات الله التامات].

١ رواه مسلم (١١٩٨).

الحديث الخامس والثلاثون: المفتاح: [فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ]

الحديث والحادثة:

عن أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكَتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشَّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةٌ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» قَالَ: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأًا وَبَرَأً، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ»، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المشكلة: كيد الشياطين نعوذ بالله منهم

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى:

لا شك أنها مشكلة كبيرة جدًا وخطيرة جدًا... فالشياطين قد أدركت أن كيدها إلى زوال وأنه سوف يعود عليها.. فقررت أن تجتمع وأن تكون ضربة من كل اتجاه وأن تكون مركزة على رسول الله ﷺ، ووضعت الخطة، وسُلِّمَت المقدمة لمن بيده شعلة نار... فكان الحد الفوري هو بوصول جبريل عليه السلام... وهكذا حفظ الله رسوله ﷺ، وحفظ دينه... وهكذا

١ رواه أحمد (١٥٤٦٠)، وصححه الألباني.

يحفظ الله الإسلام من الضربة المهلكة القاضية، ولن يقضي عليه أحدًا أيًا كان وفي أي وقت من شدائد الزمان .. فإذا لم تكن قيادة الشياطين برمتها قادرة على تنفيذ ما أرادت فكيف بعيد الشياطين وذرايرهم هؤلاء!؟

الانطلاقة الثانية:

ذهبت هذه القصة وأبقى رسول الله ﷺ لنا سلاحها العظيم الكبير الوفير الكافي في مخازن أمة محمد ﷺ، هذا السلاح الشامل الكامل المحيط المدبر للشيطان ... أجا من الأدوية أم من الجبال أم من السهول أم من الشعاب ... أو بأي عدد جاء ... فحفظ هذه الأمة منوط بحفظ الله ﷻ لها .. إذا فلا بد من الرجوع إلى الله فورًا، فقد اتحدت الشياطين على أمة محمد ﷺ من كل مكان، ولا بد للأمة كأمة أن تستعيد بالله ليعيدها، واستعادة الأمة لا تقتصر على الكلام حتى تأخذ عدتها وخصوصًا وأن عدوها الأكبر والأخطر هم شياطين الإنس، ولذا كان الحل العملي بعد معرفة الشياطين التي أعدت عدتها للعدوان هو أن تجتمع الأمة لهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

الانطلاقة الثالثة:

هو أن لا تغتر الأمة بصلاحها، ولا بعبادتها، ولا عبادةها ... تحسب أن الشيطان وجنده سوف يحترقونهم أو ينسحبون من العدوان عليهم.

الحديث السادس والثلاثون: المفتاح: [فَكُنْتُ أُخْدَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ]

الحديث والحادثة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال لأبي طلحة: «التمس غلامًا من غلمانكم يُخدمني حتى أخرج إلى خيبر»، فخرج بي أبو طلحة مُردفي، وأنا غلامٌ راهقتُ الحلم، فكنْتُ أُخدَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فكنْتُ أسمعُه كثيرًا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْتَكِبَ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُجْبِنُنَا وَنُحِبُّهُ»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ»^١.

المشكلة: حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى خَيْبَرَ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

١ رواه البخاري (٢٨٩٣).

الانطلاقة الأولى:

لقد ذهب أنس ذاك الصغير بخدمة النبي ﷺ **وشرفها** وذهبت خيبر، وذهب أنس بالأجر والثواب وبقي لنا نحن هذا الكنز الذي حفظه لنا أنس ﷺ وكأنه ما خرج إلا لهذا الكنز **الذي** بين أيدينا فرضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ فما أعظم فضلهم علينا.. وماذا سنكون لو لم يكونوا ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10].

الانطلاقة الثانية:

سبحان الله فلقد جاءت استعانة النبي ﷺ مفصلة على أحداث هذه الغزوة تفصيلاً؛ فلننظر ماذا أعطاه الله ﷻ بكلمات الاستعاذة هذه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» وأي هم بقي **بعد عموم** اليهود، والذين ما بقي من همهم إلا اليهود الذين في خيبر. «والعجز والكسل»: وقد عجز المسلمون في أول الأمر عن فتحها حتى استلم الراية علي ﷺ ففتح الله له، «والبخل والجبن»: وقد أعادهم الله ﷻ من العودة دون فتحها، كما وسع عليهم ليأكلوا **ويكرموا**، وأورثهم أرضهم ونتاجهم، «وضلع الدين»: وقد كانت خيبر هي العلامة الفارقة في التحول الاقتصادي في حياة المسلمين، «وغلبة الرجال»: وأي غلبة للرجال بقيت وهذه ابنة سيد اليهود قد جعلها الله ﷻ زوجة لرسول الله ﷺ! **وكل واحدة من هذه المكاسب التي جاءت بدعائه ﷺ ثم بالرجال تستحق دراسة مستقلة.**

الانطلاقة الثانية:

هذا هو رسول الله ﷺ وهذه هي المرأة عنده. إنها يهودية، وابنة رأس اليهود. إنها أسيرة .. وتحولت إلى أم المؤمنين أجمعين، إنه يكرمها ويعلن الفرح ويحتفي به، إنها التفاصيل الشرفية الرقيقة ... فمن له ذرة من **إنصاف** حتى يتتقص قيمة المرأة في الإسلام العظيم؟!

الحديث السابع والثلاثون: المفتاح: [مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ
ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ، مَا أَحْسَنُ دُنْدَنْتَكَ، وَلَا دُنْدَنَةَ مُعَاذٍ قَالَ:
«حَوْلَهَا نُدْنِدُنٌ»^١.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى: هل يقبل الإسلام على الشرط الفاسد؟

سبحان الله ﷻ كيف حل النبي ﷺ مشكلة في أذهان كثير من المسلمين عن أناس
كثيرين جدًا وهم بالملايين يوم أن تكبر الأمة عن حدود المدينة المنورة، وتكبر حتى تبلغ
أعدادها أعدادًا لم يحلم بها أحد ممن كان في ذلك الوقت إنها ليست آلافًا ولا مئات الآلاف
إنهم ملايين وعشرات من الملايين وربما مئات الملايين ممن يسمون مسلمين لكنهم لا يعرفون
من الإسلام إلا أقل القليل، بل لا يعرفون من الصلاة إلا أقل القليل، بل لا يعرفون منها إلا
غايتهما، والنبي ﷺ يكتفي منهم بمعرفة الغاية؛ الشهادتين وسؤال الله الجنة والاستعاذة به من
النار!

١ رواه ابن ماجه (٣٨٤٧)، وصححه الألباني.

أليس هذا حال أكثر من نرى من غير المسلمين العرب اليوم من أمم الأعاجم كالهنود والبنغاليين والباكستانيين، وبلاد القوقاز، وإيران بل وحتى بلاد الريف والزراعة من أراضي مصر وساكنيها وكذا العراق، وغير بلاد العرب أكثر بكثير.

ثم كم ممن جاء إلى النبي ﷺ فجلس النبي ﷺ إليه وعلمه ثم لم يتركه حتى تعلم، فكيف ترك النبي ﷺ هذا الرجل على ما عنده وليس عنده شيء لنعلم يقيناً أنه ﷺ لهذه الأمة من أولها إلى آخرها .. هكذا على الأمة أن لا تؤاخذ أبناءها الذين ولدوا في مجتمعات أمية، وفي ظروف لا علم فيها، ولم يكن النبي ﷺ يشترط على **كل أحد** من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة، بل قد روي أنه قبل من قوم الإسلام واشتروا أن لا يزكوا، فعن وهب قال: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت؟ قال: اشتريت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها، ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: «سيتصدقون، ويجاهدون إذا أسلموا»، وعن نصر بن عاصم الليثي، عن رجل منهم، أنه «أتى النبي ﷺ، فأسلم على أن يصلي صلاتين، فقبل منه»، وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث، وقال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها^٢.

الانطلاقة الثانية: أيقبل إسلام الرجل مع بقاءه على بدعة؟!!

أليس هذا خطاباً واضحاً وصريحاً وخصوصاً في مرحلة غربة الإسلام وضعفه أن يُقبل من أناس الشهادتين وما استطاعوا من أمر الإسلام ... إلا أن يقضي الله أو يقضي خليفته

١ رواه أبو داود (٣٠٢٥)، وصححه الألباني.

٢ رواه أحمد (٢٣٠٧٩)، وقال الأرئوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابه.

٣ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢٢٩/١).

فيهم أمره أليس في هذا رسالة لمن قالوا: إن الكافر يبقى على كفره خير من أن يسلم على
بدعة؟! أليس في هذا رسالة لمن قالوا: إن الإسلام لا بد أن يُقبل كاملاً أو يُردّ كاملاً؟! وإذا لم
نكن نحن اليوم في مرحلة غربة الإسلام فمن يكون!؟

الحديث الثامن والثلاثون: المفتاح: [يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوَّذَاتَانِ أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ»^١.

المشكلة: في عدم التحصن بالاستعاذة مما نعلم وما لا نعلم

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

الانطلاقة الأولى:

كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله ﷻ من عين الجان وعين الإنس ولم ينهه الله ﷻ عن ذلك بدليل أنه كان على صواب .. وأي شيء هو ﷻ يصنع إلا أنه يستعيذ بالله من خطر يعلمه ... إلى أن أنزل الله ﷻ المعوذتين فوجد رسول الله ﷻ فيهما الكفاية عن كل استعاذة وفيهما الزيادة، كما وجد فيهما من الغذاء الإيماني ما لا يوجد في أي استعاذة أخرى وإن كانت هي استعاذته. ثم وجد فيهما من القوة والتأثير ما لا يوجد في غيرهما .. هنا تكون المقارنة بين كلام الله ﷻ وبين كلام سواه سبحانه .. حتى لو كان كلامه هو ﷻ ولو كان جوامع الكلم، فإن المقارنة هنا مع كلام الله ﷻ .. **فكم بين جوامع الكلم وبين كلمات الله التامات؟! فإن كلام الله شيء آخر مختلف عن أي كلام آخر حتى جوامع الكلم، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**

١ أخرجه النسائي (٥٤٩٤)، وصححه الألباني.

حَكِيمٌ ﴿ [لقمان: ٢٧]، وفي هذا درس عظيم للأمة أن تقدم سنته ﷺ على كلام ربه ﷻ ... وأن تحيد عن هذا الترتيب. ولك أن تتصور لو أن رسول الله ﷺ لم يأخذ بالمعوذتين في استعاذته وأخذ بها كان عليه وما كان عليه إنها هو من كلامه الذي **أَقَرَّهُ** الله عليه ... أكان يحفظ؟! ففي كلام الله الغنية وفي كلام الله الشمول وفي كل كلام الله الإعجاز وكلام الله هو كلام الله والنبي ﷺ يقول: «وَفَضَّلُ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»^١.

وسبحان الله: فما أبلغها من رسالة موجهة لنا نحن أهل هذا الزمان وخصوصاً أصحاب العلم الذين جعلوا السنة محكمة والقرآن **حملاً**، **ولذا** لا يمكن أخذ الأحكام منه، **فقدموا السنة عليه .. وساووا** بين حفظ السنة مع حفظ القرآن!

وسبحان الله: فإن هذا الحديث يبيّن أن المسألة التي أخذ فيها النبي ﷺ بالقرآن لم تكن في الفضول أو **أنها** لا ينبنى عليها عمل، أو ليس وراءها بل وراءها الخطر على الروح والدين والأمة والرسالة، فكل ذلك يذهب لو ذهب رسول الله ﷺ وهو يعلم أن شياطين الجن ترصده وربما اتحدت عليه في وقت وكذا شياطين الجن .. ومع هذا ترك تعاويذه هو وأخذ بالمعوذتين.

الانطلاقة الثالثة:

في هذا تسهيل عظيم لأمة محمد ﷺ؛ فيوم تكبر الأمة، ويقل إقبالها على الدين، وتقل عندها قابلية الحفظ ففي كلام الله الكفاية والشمول والحفظ من كل شر، ومن استطاع حفظ

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني بعد ذكره لمجموعة من شواهد الحديث: والحديث حسن بجملة هذه الشواهد، فضائل القرآن لابن كثير ص (٢٧٤).

السنة فهذا ما **أُمرنا** به لن استطاع، لكن هنا النبي ﷺ يحل مشكلة عامة في أمته ستكون وهي
ذهاب الحفظ، ومشكلة أعظم هي قائمة وهي تأخير القرآن العظيم عن مقامه، وضعف
التمسك به وذهاب الحكم به وإزاحته عن كثير من أهل العلم عن مقامه في الأحكام أي
السمع والطاعة.

الحديث التاسع والثلاثون: المفتاح: [وَجَمِيعِ سَخَطِكَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»^١.

المشكلة: أي مشكلة أكبر من [يحسب أن ماله أخلده]

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

كل واحدة من هذه الأربع هي مشكلة من أعظم المشكلات ... بل لا تكاد توجد مشكلة إلا دخلت في إطارها .. والمشكلة العظمى أن كل واحدة منها مرتبطة بالغيب القادم، فكل واحد يخاف حدوثها .. فكان رسول الله ﷺ لها بالمرصاد، وقد علمنا رسول الله ﷺ الحل بالوقاية منها وذلك بالاستعاذة بالله ﷻ منها «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» فهل من حلٍّ لشر القدر القادم مثل الاستعاذة بالله.

الانطلاقة الثانية:

إن من ذاق لذة النعم خاف زوالها، ومن عاش العافية ورأى **مَنْ فَقَدَهَا** كان أخوف شيء على نفسه هو أن يفقدها، ومن رأى من تهاون بستر الله واستكبر على أمره وعلى عباده كيف انتقم الله منه من غير مقدمات، ومن رأى من اجتمع عليه كل خير ثم اجتمعت عليه

١ رواه مسلم (٢٧٣٩).

جميع أنواع سخط الله، وقطعت عليه كل طريق ... استعاذ حقاً من هذه الأمور وأوصى أهله وولده وأحابيه، وأن يقرؤوا ذلك على العباد ممن جعلهم الله عبرة وأن يتحاشوا هذا اليوم المرير الذي ربما امتد إلى آخر حياته .. وبهذا نعلم كيف أن الرسول ﷺ يحفظنا أعظم دعاء في الاستعاذة، وأنه يقينا ابتداءً أخطر المشكلات الحقيقية، وليس هذا فحسب وإنما هو يصنع ﷺ فينا نحن أبناء أمته قلباً يقظاً، وعقلاً مستنيراً فيكشف بنوره الذي وهبه الله إياه، ونور قول المصطفى ﷺ هذا **دوره** القادم من خلال أحداث الواقع .. وما أقل من يحسن قراءتها!

الانطلاقة الثالثة:

بهذا الوعي الذي يصنعه الرسول ﷺ في أبناء أمته إنما يصنع رجال أمته الغيورين .. ورجال كل بلد في أمته وكل قرية؛ إنهم الذين أيقظهم رسول الله ﷺ فاستيقظوا وأيقظوا أهليهم وقريتهم وبلدهم وأمتهم؛ أليس هو من **صاح** ليلاً ﷺ «وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ؟ مَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْحَزَائِنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجْرَاتِ؟ كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١، ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٣٢ يَوْمَ تُثَلَّثُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ٣٣ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٤ ﴾ [سورة غافر]، فهو لاء لا **يقتصرون** على لقماتهم، ولا لباسهم، ولا مسكنهم، ولا وظيفتهم، ولا أمانهم وخدمهم، إنما **المقدم عندهم هو المقدم** عند الله وعند رسوله ﷺ. وهم يعلمون حقاً أن من استعاذ من شيء وفعل ضد ما استعاذ منه،

١ رواه البخاري (٥٨٤٤).

وأقبل على ما استعاذ منه كالمستهتر وهو أولى بالعقاب من ذاك الغافل .. ولهذا فهو حين يأمر قريته ومجتمعه وأهله من هذا فإنه يبين لهم أن يجتنبوا أسباب ما استعاذوا منه .. هنا فلنتصور كم كان الله سَيِّقِينَا - نحن أهل هذا الزمان - من كوارث عَمَّتْ وطمَّت على رأس هذه الأمة لو أنها اجتنبت أولاً ما استعادت بالله منه استعاذ من الله ﷻ. وسؤال أخير: ألسنا نحن في هذا الزمان كأمة أشد ما نكون زوالاً للنعم، وذهاب العافية في الدين والدنيا، واجتماع السخط؟! فمن أولى بهذه الاستعادة ومقتضياتها منا نحن أمة محمد ﷺ في هذا الزمان!؟

الحديث الأربعون: المفتاح: [لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»^١.

المشكلة: إضاعة الدعوات وإضاعة الأولويات.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

الانطلاقة الأولى:

الحمد لله أن رسول الله ﷺ سمع أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها وهي تدعو هذا الدعاء حتى يبين لنا هذا الذي لا يستطيع أحد أن يبينه اليوم للولد لو أنه دعا به لأبيه أو للواظ لو أنه دعا به لوالديه .. من غير أن يشترط طول العمر مع طاعة الله وحسن الخاتمة مثلاً.

الانطلاقة الثانية:

الحمد لله أن أم المؤمنين أم حبيبة دعت بهذا الدعاء فإن أكثر الأمة يدعون به .. فيسمعها رسول الله ﷺ فيبين أن هذا من الدعاء الضائع الذي لا ينفع ولا يدفع .. لأنه كما قال رسول الله ﷺ «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ»، فهذا

١ رواه مسلم (٢٦٦٣).

أمر فيه تدخل بتوقيت الله ﷻ وأنه كما قال: «لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ»، والأمة حين يكون انشغالها بطول العمر فقد تطبعت بطبع من ذمهم الله ولعنهم فقال سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

والأمة حين يكون دعاؤها بطول العمر فإنها جعلت من طول العمر غاية وما هو بغاية، ومن ثم فإنها جعلت الموت في سبيل الله مكروهاً وهذه علامة ذهاب الأمة، وفي الحديث: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^١، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] .. وكيف يتصر جيش إذا كان دعاؤه بطول العمر؟! وكيف ينطق عالم بالحق إذا كان دعاؤه لنفسه بطول العمر؟!

الانطلاقة الثالثة:

البديل الصحيح استبدال ذلك بالنجاة من عذاب النار وذلك بالاستعاذة بالله منها، فهذه والله غاية، وما طول العمر إلا وسيلة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

١ رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٤٥٠). جود إسناده الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٧/ ٢٩٠)، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٤٢٩٧).

وَإِنَّمَا تُوقَفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وما قيمة طول العمر إذا أفضى إلى فتنة في
الدين، ثم إلى غضب الله وعذابه ... لذا كان الحل هو النجاة من عذاب النار والفوز بجنة
الله .. والحياة إذا انتهت بغير تحقق هذه الغاية فهي الوبال على صاحبها مهما طال عمر
صاحبها.

الفصل الثالث: البيان التدريبي الثاني بالتساؤل

مقدمة:

هاك هذه الأسئلة الكثيرة المتتابعة ... التي أعظم إشارتها الدلالة على عظمة الإعجاز في كلمات المصطفى ﷺ وهداه.

والتي أول دلالاتها الباهرة هو سؤال يتردد في كل مرة في نفس كل قارئٍ مُجدِّ أن يقول: سبحان الله؛ ألهذه الدرجة كان ينادينا ويوجِّهنا ويقودنا ويهدينا ويتقَّطع ليجمعنا، ويتأدَّى ليعلينا، ويفنى ويتفانى ليقينا ... ونحن أهل هذا الزمان عنه غافلون .. وربما معرضون.

ليس مقصودي الأساس أن تجيب عليها إجابة حَرْفية .. فهي ليست أسئلة اختبار ولا أن تجيب عليها إجابة لشخصك .. ولا أن يكون هذا في ذهنك أبداً، اللهم إلا بالقدر الذي تنطلق من خلاله إلى التمكن من المنهج، والتمكُّن من طريقة تناول كل هدي من هدي المصطفى ﷺ ... لتتكون العقلية التي يسهل عليها اكتشاف المعجزة في كل مرة من جوامع كلماته ﷺ التي قالها آنذاك ليرى بنورها حلَّ كل مشكلة في عصرنا هذا.

الحديث الحادي والأربعون: المفتاح: [فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيَّتِهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيَّتِهِ»^١.

المشكلة: الدعوة إلى الإخاء

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس إتيان الشيطان عائداً لقوة إيمان أهل العصر وضعفه؟

أليس هذه هي دعوة للإلحاد، ودعوة للعدوان على الدين بل على كل الأديان؛ وهي بالضبط دعوة الماسونية لهدم الأديان؟!!

أليس في هذه الدعوة وتصميمها في هذا الزمان - كما يظنون ويريدون - تهيئة العالم لتأليه الدجال بدل رب العالمين، قاتلهم الله؟!!

نعم كان الشيطان يأتي [أحدهم]، والآن أصبح دعوة عالمية .. ثورة على كل ما أمر الله به من العفة، وحفظ الحقوق، والغيرة، والمحارم، وحدود الله، وغير ذلك ..

أليست هذه هي الدعوة الطاغية في واقعنا المعاصر؟!!

١ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

الحديث الثاني والأربعون: المفتاح: [قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ]

الحادثة والحديث:

عَنْ خَارِجَةَ بِنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيَّةِ، عَنِ عَمِّهِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: إِنَّا أَنْبَأْنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رُقِيَّةٍ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوها فِي الْقُبُودِ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: نَعَمْ قَالَ: فَجَاءُوا بِمَعْتُوها فِي الْقُبُودِ، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدُوَّةً، وَعَشِيَّةً، كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بُرَاقِي ثُمَّ أَتَقُلُّ فَكَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ، قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعَلًا، فَقُلْتُ: لَا، حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «كُلْ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٍ حَقًّا»^١.

المشكلة: معتوها في القيود

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

س ١: أكان يمكن أن يُشفى هذا المقيد المعتوه لو قرأ هذا الصحابي ﷺ الفاتحة بغير يقين؟ ومن أين جاء اليقين لهذا الصحابي لو لم يعايشها في قلبه فاستقر ذلك عنده .. فإن من المقطوع أنه لم يتعلمها من أحد من قبل؟ وهل هذا الحديث يقتصر على الرقية بالقرآن أم أنه عام وهو دعوة إلى اليقين **بكلام** الله فهو الحق؟ وأنه كما يشفي مرض البدن فهو يشفي مرض العقل، وهو **كما يشفي الفرد فإنه** يشفي الأمة بأكملها .. لكن ليست رقية الأمة إلا بأن تستشفي به كما شرع لها كأمة.

١ رواه أبو داود (٣٩٠١)، وصححه الألباني.

وسؤال آخر: هو هل هذا الصحابي خالف **السنة** حين فعل شيئاً في الدين لم يفعله الرسول ﷺ؟! وإذا كان هذا التشريع لم يثبت إلا بعد إقرار النبي ﷺ إذا لم يقل له النبي ﷺ: [فعلت خيراً ولا تعد]، كما قال ﷺ **لمن ركع قبل الصف ومشي راکعاً حتى يدرك الركعة**. إذاً فهذا الصحابي لم يتدع، وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون قد نسي أن ينهي الصحابي عن **العودة** لمثل هذا العمل لأنه بدون إذنه وقع إنما الخطأ في تعريف البدعة المتداول اليوم، وهو كل ما لم يثبت عن النبي ﷺ. **والصحيح في تعريف البدعة: هو كل ما لم يثبت أصله في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ.**

١ عن أبي بكره رضي الله عنه أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راکع، فرکع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «رأيتك الله جرساً ولا تعد». رواه البخاري (٧٨٣).

الحديث الثالث والأربعون: المفتاح: [نعم، والله إني لراق]

الحديث والحادثة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رهطاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سافروها، حتى نزلوا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيئوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم، لعلنا أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ، فسعيننا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لراق، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيئونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصاحوهم على قطع من الغنم، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: الحمد لله رب العالمين حتى لكانما نسط من عقال، فانطلق يمشي ما به قلبه، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صاحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسّموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم، اقسّموا واضربوا لي معكم بسهم»^١.

المشكلة: فلدغ سيد ذلك الحي

مفاتيح الفهم للانطلاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سبحان الله: إني لأرى من تدبير هذه القصة وترتيبها وتقديرها مثلاً حقيقياً لجميع حياة الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي التشريع، وفي هذه الأحداث والأحاديث التي

١ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٧٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٢٠١).

نقرأها هنا ... هكذا هي حقاً؛ فلتدبر هذا الحديث فإنه مفصل تفصيلاً. ولقد ذكرت من قبل إن اختيار الصحابة رضي الله عنهم هو جزء من التشريع .. أليس اختيارهم اصطفاء من الله ﷻ .. أليس هم مادة التشريع وهم المصطفون للمصطفى، وهم حملة التشريع الذي هم جزء منه، فالتشريع لم يكن في أصله محاضرة ولا دراسة ولا علمًا نظريًا .. ولذا فإن العلم النظري ينبغي أن يحافظ على الحقيقة .. على العمل .. على الحياة والحيوية .. لا أن يلغيها كما هو الواقع اليوم ... وخصوصاً ونحن في **عصر** بلغنا فيه مبلغاً صعباً من السفول كأمة.

وهنا أسأل بعض الأسئلة المنيرة: س: هل استمسك الصحابة بورع متكلف فلم يأخذوا منهم شيئاً أم **شارطوهم** على **جُعَلٍ** قبل القراءة؟ وهل وافقهم النبي ﷺ على هذا؟ وهل علم أحد من الصحابة الذين كانوا معه أنه كان سيقراً بأمر الكتاب، أم هو أخذها من رسول الله ﷺ؟! فإذا كان الجواب كله: لا، لا .. إذاً فهل لقراءة أم الكتاب عند الصحابة أصل من القرآن أو من رسول الله ﷺ؟!

وجواب هذا: بلى؛ بغير شك وهذا وغيره من الأدلة الكثيرة، **أليس هذا يعني أن المعتمد** عند الصحابة في البدعة المذمومة إنما هو ما لم يثبت له في الشرع نص وليس له أصل؟

الحديث الرابع والأربعون: المفتاح: [فَاسْتَرْقُوا لَهَا]

الحديث والحادثة:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً، فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا» يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً.

المشكلة: [بِوَجْهِهَا سَفْعَةً]

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل ملاحظة من في البيت ولو كانت جارية أمانة والمسئول عنها صاحب البيت؟!

هل إذا كان عنده أربعة بيوت كان كل هؤلاء البيوت ومن فيهن مسئوليته؟!

هل إذا كبرت ملكياته فبلغت أكثر من ذلك **من قرى** ومدن كان مسئولاً عن كل أحدٍ

فيهن، وكان مسئولاً عنهم وعن من فيهن؟

ثم سؤال آخر: **أما** كان النبي ﷺ يستطيع أن يرقئها فتشفى من فورها فلم أمرهم

بذلك صريحاً فقال: «فَاسْتَرْقُوا لَهَا»؟!

هل من واجب ولي أمر الأسرة أن يلحظ كل واحدٍ من أبنائه ومن ولى أمره منهم؟

أليس الواجب أن يلحظ أي تغير في رعيته من خلال ألوانهم **وصفتهم** وضيقهم
وأحزانهم؟ هذا حزن النبي ﷺ على جارية في وجهها تغير فكيف إذا رأى تغيراً في أمته .. كيف
لورأى **أسراً** في العراء، وفي الخيام في المطر والشتاء؟!
إذاً فما هو واجب من عوفي من هؤلاء؟

الحديث الخامس والأربعون: المفتاح: [ازقيهم]

الحديث والحادثة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَلِ حَزْمٍ فِي رُقِيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ازْقِيهِمْ» قَالَتْ: فَعَرَّضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ازْقِيهِمْ».

المشكلة: في الاحتكار

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

وهنا سؤال: لو أنه ﷺ هو من رقى كل مريض فمن يرقى المرضى من بعده؟!

لو أنه حل كل مشكلة فمن يحل المشاكل من بعده؟!

لو أنه تولى كل أمر فمن يتولى أمور الناس من بعده؟!

ولو أنه ولى الرجال كل أمر فكيف سيكون شأن النساء من بعده؟!

وسؤال آخر: أليس في الرقية ممارسة اليقين بين العبد وبين الله ﷻ؟!!

أليس فيه سؤال الله ﷻ بالقرآن وهو أفضل ما يسئل به؟!

وسؤال آخر: أليس من مارس الدعاء في الرقية فاستجيب له دعا الله في الميادين

الأخرى للإسلام والأمة وأنه سوف يستجاب به؟!

أليس الإكثار من مجابي الدعوة نعمة عظيمة على الناس؟!!

وسؤال آخر: إذا تولى الخطيب الوحيد الخطابة بنفسه .. وتولى المؤلف **احتكار** التأليف

لنفسه ولم يعلمه غيره، وتولى القائد القيادة لنفسه دون غيره .. وهكذا وهكذا .. فمن أين

يخرج الجيل القائد؟!!

أوليس هذا هو أساس عظيم للعمل المؤسسي الذي ينشئ جيلاً من القادة في كل

ميدان؟

الحديث السادس والأربعون: المفتاح: [فَضْرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْزِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أَذْرِي مَا أَصِلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَذْرِي مَا أَصِلِّي قَالَ: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ اذْنُهُ» فَذَنُوتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضْرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَقَلَّ فِي فَمِي وَقَالَ: «اُخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَقُّ بِعَمَلِكَ» قَالَ: فَقَالَ عَثْمَانُ: «فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ»^١.

المشكلة: الاستعاذة لتحمل الأمانة .. وإلا فالاعتذار

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل من علاقة ما بين صحة الصلاة، وصلاح الصلاة وبين الصلاحية للإمامة وأداء

الأمانة؟!!

هل كان عثمان بن أبي العاص يعرف طريقاً لحل هذه المعضلة في العلاقة ما بينه وبين

ربه ﷺ ثم كان سيترك عمله ويجيء لرسول الله ﷺ؟!!

١ رواه ابن ماجه (٣٥٤٨)، وصححه الألباني.

وسؤال آخر: هل كانت الشياطين تسعى لإفساد حياة الأمة من خلال إفساد الولاة

والأئمة؟! ولماذا هؤلاء تحديدًا؟! وهل تغيرت الشياطين في هذا الزمان نعوذ بالله منهم؟!!

وسؤال آخر: هل إخراج الشياطين من صدور الولاة أكثر أهمية من إخراجه من

صدور غيرهم أم لا؟!!

وهل إذا لم يخرج الشيطان من صدر القائد سيؤثر على من تحته؟! **وما خطورة أن**

يسيطر على مقر القرار ... فتكون القيادة الحقيقية للشيطان؟!!

الحديث السابع والأربعون: المفتاح: [وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

الحديث والحادثة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَدَغَتْ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَقِي؟ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^١.

المشكلة: أن لا يكون ثمة مبادرين في الخير.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل كانت لدغة العقرب هذه بغير قدر من الله ﷻ؟!؟

هل شفي الصحابي الملدوغ، وانتفع الناس بهذه اللدغة؟

هل انتفعنا نحن اليوم بتلك اللدغة .. التي ذهب الصحابي بأجرها كما عوفي منها؟!؟

وسؤال آخر: هل يجوز لمن علم من نفسه إجابة دعاء واقتضى الموقف أن يدعو أم يكتفم

ذلك؟!؟

وهل قول النبي ﷺ «فَلْيَفْعَلْ» يقتضي الوجوب أم لا؟!؟

وسؤال آخر: ألم يحرص النبي ﷺ على أن يوجه النوايا للرفقة من خلال قوله: «أَنْ يَنْفَعَ

أَخَاهُ»؟

١ رواه مسلم (٢١٩٩).

ألم يحرص النبي ﷺ أن يوثق الأخوة بين صحبه وبين المؤمنين إلى يوم القيامة بكل طريق .. وأن يسقي جذر الأخوة التي عقدها هو ﷺ حتى بالرقية؟!!

وسؤال آخر: أليست هذه قاعدة عامة في نية المسلم أساساً وفي العلاقات والأعمال أم **لا وهي** «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»؟

وهل يوجد مجتمع **يقود** الإنسانية مثل مجتمع يحمل كل فرد فيه هذه القاعدة؟!!

أليست هذه القاعدة من أعظم أسباب أن يستدعي الآخرون **من الأمم** المسلمين لتعليمهم وتسليمهم الزمام؟!!

الحديث الثامن والأربعون: المفتاح: [عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^١.

المشكلة: وهل من مشكلة أكبر من فتنة المسيح الدجال لعنة الله عليه؟

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا نحن أهل هذا الزمان.

هل أعطى النبي صلى الله عليه وسلم لأمته من بعده حلاً لمشكلة الدجال؟!

هل من الحل أن لا يخرج الدجال؟! ولو لم يكن هذا الطلب اعتراضاً على قدر الله **لطلبه**

النبي صلى الله عليه وسلم من فوره.

من هم الذين اشتد خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أكثر من الدجال؟!

وسؤال آخر: ماذا في سورة الكهف حتى تكون لها هذه الخاصية العظيمة؟! ولماذا هي

ليوم الجمعة .. ولماذا الجمعة نور في الدنيا والآخرة .. وهل للترابط بين هذه الأمور من

دلالات؟! وهل للترابط ما بين قصة موسى والخضر عليهما السلام وفتنة الدجال علاقة؟!

وسؤال آخر: أليست العصمة عند أعظم الفتن بالقرآن؟!

أليس الحفظ هنا لأجل الحفظ؟!

١ رواه مسلم (٨٠٩).

أليس في هذا اجتماع الأخذ بسنة النبي ﷺ مع الأخذ بكتاب الله هو العصمة من

الدجال؟!؟

وسؤال أخير: أليس على الأمة أن تحفظ هذا، وتستعد مدى الدهر لهذا، وتُحَفِّظُ أبناءها

هذا، وتبين لأبنائها فقه هذا؟!؟

الحديث التاسع والأربعون: المفتاح: [عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^١.

المشكلة: عدم الاحتراز من الشيطان

مفاتيح الانطلاق مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن أبناء هذا العصر:

لماذا: [لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]؟! ولماذا هذه الصياغة التي **تَصُوغُ** النفس لو تدبرتها أعظم وأحسن صياغة؟! ولماذا مائة مرة.. أليس لهذا العدد الكبير العظيم دلالة كبيرة وأثر مؤكد، وتأثير كبير؟!

وسؤال آخر: أليس الجزاء من جنس العمل؟ فأين هذا في هذا الذكر؟! وما دلالة ارتباط هذا القول العظيم بعنق الرقاب؟! وما دلالته بالحرز من الشيطان يومه كله؟! ولماذا التحفيز العظيم بهذا الكم من الحسنات وتكفير السيئات؟! ثم لماذا السياق في فتح باب المزيد وهل للزيادة من حد محدود؟!

١ رواه مسلم (٢٦٩١).

وسؤال آخر: ثم ما معنى [سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ]؟ ولماذا هذا الأجر العظيم له؟! وهل

لهذا من ارتباط وثيق بأَم الكتاب!؟

الحديث الخمسون: المفتاح: [وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَجْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لِأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ.»^١

المشكلة: فجعل يجتو من الطعام

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل ثمة تناسب وحكمة ما بين **مسئولية** أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وروايته هذه؟!!

أليست المشكلة أن لا يدرك الحارس أنه أول من يحتاج إلى حفظ وحراسة من الله ﷻ، **ألم يقل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في أول الحديث [وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]؟ ألا ترى تزكية عظيمة لمن ائتمن على فريضة من فرائض الإسلام إذ هي في رمضان ولرمضان فلكانها فريضتان معاً؟ **ألا يعني هذا أن أبا هريرة نعم الرجل** القوي الأمين على سنة النبي ﷺ، إذ السنة هي مرويات فرائض الإسلام وسننها ونحو ذلك؟

أليس في هذا رسالة للأمة إلى أبد الدهر: إن من طعن في أبي هريرة فقد طعن في علم الله ﷻ، واختياره، وطعن في اختيار رسوله ﷺ، بل طعن في رعاية الله ﷻ لرسوله ﷺ.

١ رواه البخاري (٢٣٧٥).

أوليس هذا الحديث شاهد صدق على حفظ أبي هريرة رضي الله عنه الأمانة.

وسؤال آخر: ألا ترى أن مفعول آية الكرسي يسري على الإنسان نائمًا كما هو يقظان وأنه لا يزال عليه من الله **حافظ** إذ أسلم كل أجهزته الحافظة من سمع وبصر ويدين ورجلين وكل جسده وعقله لله رب العالمين؟

وسؤال آخر: ألا ترى كيف أن آية الكرسي كلها من الله عن الله لا شيء إلا الله وحده لا شريك له .. وأنتك توثق هذا الارتباط بالله وأنتك تنام على هذا ..

أو ليس من حسن ختام المؤمن لو مات المرء على هذا .. إذ النوم هو الموتة الصغرى؟
أليس من حسن الجزاء والفضل من رب العالمين أن يكون على العبد حافظ؟!

ألا يعني هذا أنه متى وصل الحافظ فرّ الشيطان؟!

فماذا لو أن الأمة كلها استحضرت آية الكرسي من أعلى كرسيها إلى آخر رعيّتها ألا يحفظها الله ﷻ حتى وإن غفلت أو شغلت .. فإن سلطان الله حافظ للأمة ولكرسيها وإذا حفظ الله ﷻ كرسيها حفظت؟!!

فلنقرأ آية الكرسي من جديد بأنفسنا، **وَبِنَفْسِ** أمة محمد ﷺ إذ غدت خاوية على عروشها بغير عرش واحد ولا كرسي بعد!

الحديث الحادي والخمسون: المفتاح: [سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^١.

المشكلة: أن لا يعرف المسافر من صاحبه في السفر!

مفتاح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ماذا لو لم يسخر الله ﷻ لنا هذه الدواب والمعادن في البر والبحر والفضاء فكيف نعيش

!؟...

أفلا يدلنا السفر في الأرض **على السفر** إلى الله ﷻ في الدار الآخرة؟! وإلا ما معنى

«وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»؟

١ رواه مسلم (١٣٤٢).

أو ليس من العجب أن ابن آدم يُسَخَّرُ الله له هذا التسخير، ويقول في سفره: «وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، ثم هو يسافر «ومأكله حرام ومشربه حرام ومركبه حرام وغذي بالحرام»، ثم هو ينوي في سفره فعل الحرام؟!!

ألا ما أجمل وأجل دعاء السفر كله، ولكن لا جمال ولا جلال فوق صحبة الله ﷺ
«اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ»، ثم «وَالْحَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ».

وسؤال آخر يقول: ألسنا في هذه الدنيا في سفر .. أليس نهاية سفرنا في هذه الحياة جميعاً «وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»؟ فلماذا لا نعيش في حياتنا هذه العبارات البحور؟! لماذا لا **نغذي** بها حياتنا؟ **فهل الراحل** إلى الله يخون، أو يسرق، أو يعتدي، أو يظلم، أو ينافق، أو يجعل الله في شيء وراء ظهره، فضلاً أن يترك كتاب الله وسنة نبيه ويتبع في تشريعه تشريع الشياطين ... وهكذا وهكذا؟! **كيف وقد قال هو بنفسه** هنا: «وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، **وكيف وهو** يقول في ابتداء الإياب: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»؟!!

الحديث الثاني والخمسون: المفتاح: [كَانَ يَدْعُو بِهِمْ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو بِهِمْ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ العَدُوِّ، وَشَهَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^١.

المشكلة: **حين تكون** الغلبة ليست لك عياداً بالله

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

هل من عوفي من غلبة الدين أوتي نعمة عظيمة!؟

هل ينبغي له أن يشعر بشعور من غلبهم الدين ... وهمهم ليلاً وذلتهم نهاراً!؟

كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه لم يغلبه دين يوماً فكم من مرة أتاه طالب الدين يطلبه فما
رجع إلا وقد أخذ حقه معه .. إذا فهو صلى الله عليه وسلم **يَعْلَمُ** أمته علاج هذا الهم العظيم.

وسؤال آخر: هل من عصر من عصور أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان أشد غلبة للدين على مستوى

الأفراد ومستوى الدول من هذا العصر الذي تأسست فيه منهجية غلبة الدين؟

ألم يجتمع في هذا العصر مع غلبة الدين غلبة العدو فالأمة مَدِينَةٌ مَغْلُوبَةٌ **حيث** غلبها

دينها وغلبها عدوها، مع شهاتة عدوها بها علانية؟

١ أخرجه النسائي (٥٤٧٥)، وصححه الألباني.

وسؤال آخر: هل أصبح الترغيب في الدين **شراكا** ومصائد متجددة متلونة؟ هل يقع في هذه المصائد الكثير من أبناء الأمة؟! **ألا يقع في هذا أبناء دول الثراء ...** بل هم أكثر من غيرهم وقوعاً؟! وهل لهؤلاء **قانونٌ يمنعهم من جور الدائنين**؟

وهل للدين إن كان بالربا قانون يحمي الربا كما يحمي أصل الدين؟ أليست هذه **حيلة** حبكتها شياطين الإنس؟

أليست الاستعاذة موجّهة بالله لمن يطبق هذا القانون على المسلمين؟!!

وسؤال آخر: وهو ألا ينبغي إزالة القوانين الظالمة التي تحمي الربا وأهله؟!!

ألا ينبغي أن تنشأ مؤسسات توعوية لهذا الغرض؟!! ألا ينبغي أن تنشأ صناديق

القرض الحسن، ولكن متى تتخلص بلدان الأمة من القروض الربوية وتعود **غنية**؟!!

الحديث الثالث والخمسون: المفتاح: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ»^١.

المشكلة: أن يقدم المرء على **ما** استعاذ منه

مفاتيح الانطلاقة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس الأصل أن يفتر الإنسان ما استعاذ منه؟!

أليست كل واحدة مما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا مشكلة **لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الزمان؟!**

أليست هي مشكلة أكبر وأخطر، وأعم وأشمل حين تغزو المجتمع **وتصبح** ظاهرة؟

أليس الابتداء بالعلاج هو التوعية الإيمانية أولاً، ثم صناعة العقول التي تتكفل

بإيقاف المشكلة ثم إزالتها حتى كأنها لم تكن؟

وسؤال آخر: أليس ما وهب الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين من كنوز وموارد رزق وبحار وأراض

صالحة للزراعة، وموقع يربط العالم كله، وشمس ساطعة، وأنهار جارية، ومعادن عظيمة

وأعداد للمسلمين هائلة كلها تناقض تمام المناقضة وجود هذه التي استعاذ منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

فقرٍ وقلة وذلة؟! **فما لها إذا موجودة، بل اجتمعت هذه كلها على رأس الأمة اليوم** كما لم يحدث

من قبل أبداً؟ ألا ترى أن الجواب يكمن في الشطر الثاني من الحديث وهو الظلم **بقسميه** «أن

١ رواه أبو داود (١٥٤٤)، وصححه الألباني.

أظلم وأظلم؟ أو ليس الذي دعا هذا لئن **يُظلم** هو وجود القابلية عند من يظلم، ولذا استعاذ النبي ﷺ من الاثنين؟ وهل اجتمع هذان الأمران في عصرٍ مثل هذا العصر حيث [ملئت الأرض ظلماً وجوراً]؟!

أليس الحل: هو أن تدرك أن الإسلام دين الغنى، والقوة، والعزة، والعدل، فالشيطان يخيّل للناس أن الإسلام دين الفقر والإحاف كما أغرى ملأً بالتسوّل والتقذّر والأوساخ والإسلام على الضد من ذلك؟

الحديث الرابع والخمسون: المفتاح: [إِذَا خَافَ قَوْمًا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^١.

المشكلة: خوف العدو وشرورهم

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هل الإنسان يخاف بطبعه؟! وهل لهذا الخوف الذي يخالطه وربما ملأ صدره من دعاء

واستعاذة ممن خاف منهم؟!!

فهل خاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا فعلاً .. وهل حين خافهم رجع أم أقدم متحصناً بالله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وهل خاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموت وهو من كان يطلبه .. أم أنه **يَعْلَمُ** أمته، وأن الخوف خوف على

أمته وعلى دينه، والخوف خوف من الهزيمة في معركة؟!!

أما الخوف بمعنى الجبن أو هو الخوف العام الذي أصبح **وَهَنًا** في الأمة وظاهرة من

الظاهر عليها فلا والله، **ولو فرضنا فرضاً جديلاً ذلك فإنه** يكفي أن نعلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حين استعاذ **بالله** فإن الله قد أعاده ... أليس كذلك؟

وثمّ سؤال آخر وهو: ألا ترى في صيغة استعاذة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حين استعاذ لم يتراجع

القهقري بل أقدم ولهذا دعا فقال اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم؟!!

١ رواه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الألباني.

أليس من تقدم نحو نحور العدو لم يجبن، وأنه يطلب المواجهة؟! وهل من استعاذ بالله من شر العدو، وقدم ربه سبحانه يكون قد خاف... ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، فمن ينصرنا إلا الله.

وسؤال آخر: ألا ترى أن هذا الحديث يؤسس لمنهج منهم جديد في الاستعاذة وهي أن من استعاذ من شيء لم يعمل **بضدّ** ما استعاذ منه؟ فمن استعاذ **من غلبة** الدين لم يقترض ديناً **يغلبه** وهو يعلم أن لا قدرة عليه؟ وهكذا في كل ما مرّ معنا وما سيمر، وهكذا هو الأمر هنا، فإن من استعاذ من الخوف والجبن تقدم ولم يفرّ. أليس هذا منهجاً واضحاً ألا تر أن من جعل الله في نحورهم **إنها** أراد أن يمكنه الله منهم حتى **يقدمهم** قرابين لله في المعركة؟! وهدايتهم **لا شك** أفضل.

الحديث الخامس والخمسون: المفتاح: [أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ]

الحادثة والحديث:

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ» قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ^١، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^٢.

المشكلة: الفتن القادمة.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الانطلاقة الأولى:

هل يمكن لمسلم من المسلمين في هذا الزمان أن يقول: وما علاقتي بعذاب القبر؟! أو يقول: إن إنذار الصحابة رضي الله عنهم أولى من إنذاري .. بل كل واحد يقرّ أن الإنذار للجميع على حدٍّ سواء .. لكن ألا تبين الأسئلة المتبقية أننا نحن الذين في هذا العصر أولى الناس بالاستعاذة بكل ما ذكر هنا بعد الاستعاذة بالله من عذاب القبر؟!

١ إذا غرم: أي لزمه دين.

٢ رواه البخاري - الفتح ٢ (٨٣٢)، مسلم (٥٨٩) واللفظ له.

تأمل: من الأولى والأحرى والأشد حاجة للاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال هل أول الأمة أم آخرها هل من سمع خبر الدجال أم من ينتظر مواجهته في أية لحظة وهو موقن بأنه خارج في هذه الفترة من الزمان؟!!

وسؤال آخر يقول: من أولى بالتحذير والخطاب النبوي؛ «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ» هل كان في الدنيا من الفتن ومعضلاتها، والآثام وموبقاتها مثلها هي موجودة الآن في هذا العصر من عمر الزمان .. فمتى أقبلت الفتن بهذه الأشكال والألوان، واقتربت إلى كل صغير وكبير ورجل وامرأة .. وتوزعت عليهم **كل** بما يناسبه، ومتى أصبحت لها حماية مثلها هي في هذا الزمان؟!!

وسؤال ثالث يقول: ومن أصبح أحق وأولى بالاستعاذة بالله من فتنة [المأثم]، وهو منابع الإثم ومصانعها ... **الاستعاذة** لنفسه وأرضه وأرض المسلمين، ومن الأرض كلها وما أكثر مصانعها في بلاد المسلمين فمن **المأثم** مصانع الآثام وهي الخمر، وصالات الميسر، ومراكز الفسق والفجور، ومراكز التجارة بالفروج، وأماكن الشرك بالله، ومراكز التنصير وما إلى ذلك .. وهل كان لهذه **المأثم** **ذكر** أيام أصحاب رسول الله ﷺ؟! إذاً فمن أحق بخطاب رسول الله ﷺ؟! ... **ولربما** لا يزال البعض يستبعد أن رسول الله ﷺ لم يقصدنا بخطابه هذا وأمثاله لأن رسول الله ﷺ لم **يُخَبَّر** بما سيقع في أمته ... عياذاً بالله من ظنون السوء هذه بالله ﷺ ورسوله ﷺ.

وسؤال رابع يقول: ومن أحق بالحرص على الاستعاذة بالله من المغرم؟! والمغرم هو وضع الغرم ومكانه؛ وهل كان للغرم من مقام في وقتهم أو مؤسسة أو منهج أو حماية أو قانون ... **لكنه** اليوم أصبح الوصف الأدق والأجمع والأوسع له هو [المأثم] وهذا من الإعجاز إذ

يشير إلى هذه الفترة بإشارته إلى نوعية الأعمال وعلى الأخص أعمال الإثم فإن أعمال الإثم ما عادت مجرد إتيان الذكران أو أفعال قوم لوط وما عادت قمارًا أو ميسر وما عادت شخص يقرض محتاجًا مستغلًا **حاجته**، ولا هي حكم ظالم في مسألة أو مسألتين فلقد جاء الوقت الذي أصبح لكل إثم من الآثام مؤسسة أو مركز، أو هيئة أو نادٍ، أو وزارة، أو دائرة، وكل واحدٍ من هذه المنكرات إنما هو المآثم وهذا يساوي في العصر الحديث ما ذكرنا من مؤسسات **وهيئات** ومراكز رسمية لها نظامها وكيانها وقوانينها وحماتها، إلا إن **أُمَّ** كل تلك المآثم ورحمها ومنبعها ومرضعتها إنما هي الدساتير الوضعية.

وهل بعد هذا الإعجاز الظاهر يمكن أن يقول غافل فيصدق بأن هذا ضربة حظ، أو أنه رمية من غير رام، وأن رسول الله ﷺ ما كان يقصد... وسيموت هؤلاء إن ماتوا على هذه في غفلة وضياع وإن **عدَّهم** الناس ما عدوهم.

أليس من لم يكن مع المهدي ﷺ ربما كان مع الدجال؟!!

إذًا فما الحكم في اتباع المهدي الحق إذا بعثه الله ﷻ؟!!

أليس المآثم هو مقرّ صناعة الإثم، وهو مقر نشأة الإثم، وهو مقر نشر الإثم

وإشاعته؟!!

إذًا فما هو العلاج العملي إلا بالبدايل النافعة الممكنة؟

الحديث السادس والخمسون: المفتاح: [اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ]

الحديث والحادثة:

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^١.

المشكلة: أن يغرَّ المرء الغرور فيخسر الدنيا والآخرة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أليس في رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كل الأدب والحياء مع التبليغ بما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!

ألا ترى سلاسة المعاني وعضوبة سببها فهي الدواء العذب التي تحويه معانيها ما تحويه أحرفها؟!!

أليس الواجب على صاحب المسئولية ابتداء من رب الأسرة إذ هو يعوِّذ أهله من الأمراض، أن يقدم ما يوافق ذلك من تطعيم وغيره لهم؟!!

أليس الواجب على ولي الأمر وهو يطلب لهم الشفاء .. أن يحرص على شفائهم من الأمراض الإيمانية؟!!

١ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٧٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢١٩١).

أليس الحل هو أن يعوِّذ الرجل زوجته من كل بأس وإن لم تكن مريضة فالاستعاذة

وقاية؟

الحديث السابع والخمسون: المفتاح: [يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ]

الحديث والحادثة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّةٍ»^٣.

المشكلة: أن يترك الناس أبناءهم عرضة للشيطان

مفاتيح الفهم للانطلاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

س ١: أليست الاستعاذة **وتعليم التعويذة** للأبناء ضرورة حتى لو كان سيد شباب أهل الجنة؟!!

س ٢: **أليس** رد العلم إلى أصله وترك التلبس بما لم يعطه مما يحبه الله ويرضاه؟!!

س ٣: ألم يجمع هذا الحديث من المشاكل ما لا يمكن أن يتقيه الصغير بنفسه وأغلبها **لا تُرى** .. وأحياناً إلا أن نلدغ لدغتها؟

١ أباكما: يريد سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

٢ الهامة: واحدة الهوام وهي الحيات.

٣ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٣٧١).

س ٤: ألم يبتدأ بالاستعاذة بالله من مصدر المشاكل وهو الشيطان .. الذي يجب على كل إنسان أن لا ينس قصة إخراج أبيه من الجنة وقول الله ﷻ أولاً: ﴿ فَقلْنَا يَتَّادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه: ١١٧]؟

س ٥: أيليق بالأب أن يحافظ على أبنائه بالتعويذات ثم يلقيهم في سلة المهملات؟ يحافظ عليهم صغاراً من كل المخاطر ... فإذا كبروا تركهم طعمة كبيرة سائغة لكل شيطان وهامة، ثم طعمة للنار وهي أعظم ما يستعاذ منه؟

الحديث الثامن والخمسون: المفتاح: [وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»^١.

المشكلة: البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس الاستعاذة بالله من البرص ضرورة ذلك أن البرص بقي مرضًا لا علاج له ذلك أن الشفاء منه جعله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزة لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام؟!

هل البرص وحده من الأمراض الخطيرة أم أنه من الأمراض التي تصنف بأنها من الأمراض المناعية أم ثمة أمراض أخرى يهاجم فيها الجسم نفسه مثل التصلب اللويحي، ومثل مرض الكورون؟

أليس الواجب على المتولي شئون القرية أن يقيهم جميع الأمراض المناعية، والأوبئة، والطواعين وغيرها من الأمراض السارية بالتطعيم منها؟!

أليس من الواجب عليه أن يقيهم قبل أن يعالجهم من جميع الأسقام بقوة الصحة وتقوية المناعة والوعي الصحي، والوعي بأمانة الله وهو هذا البدن؟!

١ رواه أبو داود (١٥٥٤) واللفظ له، والنسائي (٢٧٠ / ٨) وصححه الألباني (٥٠٦٨)، والبغوي في شرح السنة (١٧٠ / ٥) وقال محققه: إسناده قوي.

أليس من التناقض عند الأب ومن يقوم مقامه في الأمة أن يقي أبناءه من سيء الأسقام
الجسدية ويترك الأسقام الشيطانية تلتهم قلوبهم وعقولهم وغيرتهم ورجولتهم فكيف إذ
أصبح الوالد هو الخطر ذاته على ذريته؟!!

الحديث التاسع والخمسون: المفتاح: [الله أكبر كبيراً]

الحديث والحادثة:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي صَلَاةً - قَالَ عَمْرُو: لَا أُدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ - فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»^٢.

المشكلة: أن يقدر الناس أذكار الاستفتاح

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

س ١: الأمانة والدين في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجبير بن مطعم رضي الله عنه كما نقل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في استفتاح صلاته فقد نقل رضي الله عنه ما لم يعلم أو ما لم يذكر حال روايته، أمانةً ومخافةً من الله، وإغلاقاً على روايته أن **يَدَّعِي مَدَّعٍ** فيها ما لا يعلم، ولذا قال: [لَا أُدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ].

أليس هذا هو شأن الصحابة أجمعين رضي الله عنهم في تحمل الأمانة وحملها للدنيا إلى يوم

القيامة؟!!

١ نفثه: الشعر، ونفخه: الكبر لأن المتكبر يتنفخ ويتعاطم وهمزه: الموتة وهي الجنون؛ لأن المجنون ينخسه الشيطان.

٢ رواه أبو داود (٧٦٤) وقال محقق جامع الأصول (٤/ ١٨٥-١٨٦): للحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وكذا الحاكم في المستدرک (١/

٢٣٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

س ٢: ألا ترى أن المقصود الأول في العبارات العظمى وفي تكرار كل **عبارة** منها ثلاثاً، وجعلها أول الصلاة بعد تكبيرة الإحرام إنما هي **لما تحمله من قوة** التذكير بها، ولإزالة الغفلة التي يبتدئ بها الشيطان مع المصلي في أول صلاته، وليعايشها صاحبها، ويحقق تلك المعاشة في داخله، ولأن هذه الثلاث هي المواضيع الكبرى التي ستمر به في الصلاة فليتهيأ لكل ما سيأتي مثلها ومن مثلها فإنها كلها عن الله والله.

س ٣: ألا يعني هذا أن الصلاة هي أكبر ما يحرص عليه الشيطان - نعوذ بالله منه -، فلتكن الوقاية منه بالاستعاذة بالله منه في أولها ومن قبل ذلك بأدعية الاستفتاح، وما أعظمها وأعظم تنوعها.

الحديث الستون: المفتاح: [وَبَوَّجَهُ الْكَرِيمِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبَوَّجَهُ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ^٢.

المشكلة: أن لا يعي المرء خطورة دخول الشيطان معه المسجد

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هل سمع المسلمون باستعاذة في موضع من المواضع مثل هذه الاستعاذة عند باب بيت

الله؟!!

هل فرق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستعاذة ما بين مسجد ومسجد من حيث العمر الأثري أو

البناء أو الحجم أو أعداد المصلين؟!!

هل تجد تناسبًا عظيمًا ما بين بيت الله والاستعاذة بالله العظيم، والاستعاذة هنا بوجهه

الكريم، والاستعاذة كذلك بسلطانه القديم، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؟!!

١ أقط: معناها هل هذا فحسب.

٢ رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٤٤١).

هل يجوز لمسلم أن ينس أن الاستعاذة هذه حماية للمسجد من شياطين الإنس كما هي من شياطين الجن .. حسب الأشد عدواناً وتغوُّلاً على المسجد، **وإلا فهل** العدوان بالوسوسة مثل العدوان بمصادرة المسجد بالكلية؟!

إذاً ألا يجب أن يستحضر القلب هذه الاستعاذة بل الاستعانة بالله كلما أراد دخول بيته **سبحانه** .. وكأنه إما مستعيز بحفظه بيته، وإما مستغيث **بربوبيته** إليه ﷻ .

أليس الجزاء من جنس العمل، أليس الحفظ بالحفظ: قال الشيطان: [حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الأَيَّامِ] فاللهم **احفظ** بيتك الكريم في كل مكان.

الحديث الحادي والستون: المفتاح: [صَدَقْنَا]

الحادثة والحديث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقْنَا، إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا»، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

المشكلة: أن ينسى الناس عذاب القبر.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا ترى في عدم معرفة عائشة رضي الله عنها في أول ذهابها إلى المدينة دلالة على أن الناس لم يأخذوا الدين كومة واحدة، بل هو التدرج لا للاستيعاب **فحسب**، ولكن لتدرج التربية والعمل، وأن يأخذ كل شيء وقته الكافي ليحقق مفعوله الإيماني والعملي، وأن ذلك كله **لحكمة؟!!**

ألا ترى في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر اليهوديتين «صَدَقْنَا» القمة في الانصاف، والعدل في الشهادة، ثم العمل بالحق بغض النظر عن مصدره.

١ رواه البخاري - الفتح ١١ (٦٣٦٦) واللفظ له، ومسلم (٩٠٣).

ألا ترى في إعلان عائشة رضي الله عنها عمل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نتيجة إخبار اليهوديتين هو أنه لا خفاء ولا إخفاء في ديننا أليس في هذا الحديث شهادة عظيمة على أمانة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في روايتهم ولو على أنفسهم؟!!

ثم ماذا لو نطقت البهائم؛ فعن أي شيء ستخبرنا؟!!

إذاً فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بعذاب القبر فماذا نحن فاعلون .. فيما تبقى من حياتنا؟!!

الحديث الثاني والستون: المفتاح: [أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ]

الحديث والحادثة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^١.

المشكلة: أن يعيش المرء أعظم وأخطر تقلبات الزمان والملك وهو لا يدري؟!!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أي العيوب القادمة أقرب إلينا من أن يلامس أحدنا الليلة عند ابتدائها وهو لا يعلم ما تحمله من أقدار الله له ولأهله ولأمته .. وهكذا الصباح؟

فأي مطلوب أعز في هذين الموقفين من طلب الوقاية من الشر الذي تحمله الليلة، وطلب خير ما تحمله الليلة فتأخذه خالصًا **صافيًا** من ربك سبحانه من خلال رسولنا الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي علمنا هذا الدعاء العظيم.

١ رواه مسلم (٢٧٢٣).

هل فكرنا ونفكر بهذه **العبارات** العظيمة الجامعات؛ **أليس فيها** الاعتراف بفضل الله أولاً وتثبيت توقيت الدعاء؟! **أليس** هذا التثبيت معايشة مع الوجود وتقلباته من حولنا؟!!

هل ترى الجمال والعظمة ما بين [أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ] كلانا معاً، ثم إعادة ذلك كله [لله] نحن والملك معاً، ثم جمال الحمد الصادق وختام الشاء على الله ﷻ لهذا التقليل الزماني الكوني العظيم الذي هو طريق الحياة وطريق قياس الأعمار؛ تقلب الليل والنهار بـ [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]؟

ألا ينبغي لنا أن نحسن ربط قلوبنا بما يدور حولنا من ملك الملوك، وتقلبات الزمان هذه من خلال هذا الاسفار النبوي العظيم الذي أشرق سراجة على هذه **الغيوب** بعبارات هي النور المبين؟!!

ألا يعني هذا الدعاء تجديد التوبة أول كل ليلة وأول كل صباح؟!!

ألا يعني تحريك القلب والعقل في هذا التوقيت؟

ألا يعني تجديد زيادة القرب والتقرب مع كل الليالي والأيام.

ألا يعني هذا الدعاء أن يحرص المؤمن على أن يجمع الخلق والأمر لله ... وأنه لا تستقيم

الحياة إن لم يكن الاثنان لله؛ نحن والملك؟!!

الحديث الثالث والستون: المفتاح: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ، مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^١.

المشكلة: فيما لا ينفَع

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا يعيدنا النبي ﷺ إلى إعادة تقييم العلوم التي نتعلمها ونعلّمها ألا يعني هذا أن كل علم لا ينفَع فليس تركه هو الواجب وإنما الاستعاذة بالله منه هو الواجب؟!!

ألا يعني أن نقرر اليوم منجهاً جديداً لمن أراد الحديث أو التأليف أو التعليم أو الوعظ أساسه العلم النافع وإلا فلا.

أليس أول الخير وآخره يبدأ بالقلب وخشوعه .. فإذا لم يُثمر العلم خشوع القلب حتى وإن سُمِّيَ عقيدة، وإن اعتمده رموز الزمان ومن يُشار لهم بالبنان، فإنه يُستعاذ بالله من ذلك القلب الذي أفسده الجدل، ومن العلم الذي لا يجعله خاشعاً.

١ رواه أبو داود (١٥٤٨) واللفظ له، والترمذي (٣٤٨٢) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٢٥٤، ٢٥٥) وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي (٥٠٥٠).

أليس خشوع القلوب لآيات الله، وفي الصلاة، ومع **الملك** والتفكير فيه، هو المقياس الصحيح للإقبال على الله والمقياس لصلاح الأمة كلها وعلى العكس من ذلك جشع النفوس وعدم شبعها.

ألا ترى في قول النبي ﷺ: «وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ» الأمر بالبحث عن معوقات الإجابة في مختلف جوانب حياة الفرد وحياة الأمة كذلك؛ ذلك أن الله وعد الداعي بالإجابة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] إذا فلا بد من موانع حقيقية منعت الإجابة .. أليس الأمر مخيفاً للفرد وللأمة؟! أليس من المعوقات ما ذكره رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشَعَتْ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»؟!!

الحديث الرابع والستون: المفتاح: [وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْغًا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي الْيَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَالهُدْمِ، وَالغَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْغًا»^١.

المشكلة: هي أن نستعيد من شيء وننقضها عملاً!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى في كل واحدة **عَلَّمَنَا** النبي ﷺ الاستعاذة بالله منها علمًا واجبًا عمليًا نحوها ... فهل يجوز أن تأخذ بالاستعاذة ونترك الحيلة العملية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ؟

لم ينهانا النبي ﷺ أن ننام على سطح ليس له إجار .. هكذا كل مكان مثل هذا؟ أليس مثل هذه الأشياء الألعاب الهوائية التي فيها نصيب من المجازفة؟!

أيجوز أن نستعيد من الهدم بينما الغش في البناء يقتل نسبة من أهل البنائات والشقق، ولا رقابة ولا محاسبة؟!

أيجوز أن يستعيد بالله من التخبط عند الموت من هو غارق في الربا ومضّر عليه ورب العالمين يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ^ج ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا^ج فَمَنْ جَاءَهُ

١ رواه النسائي (٢٨٢ / ٨) واللفظ له وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي (٥١٠٤)، وأبو داود (١٥٥٢) وصحيح أبي داود (١٣٧٣).

مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٧٥﴾.

هكذا فلننظر من جديد لأحاديث الاستعاذة... فإنها ليست للتسلية ولا هي للخداع .. ولا لسوء الأدب مع الله، فأى إساءة أدب مع الله مثل من يقول باسم الله عند شربه الخمر **وعند** فعل قوم لوط والزنا بالمحارم وما إلى ذلك؟!

ألا ترى أن الاستعاذة بالله من الموت لديغاً؛ يدخل فيها هو أكبر منها من الموت المفاجئ بوحش يفترس في البر أو البحر، وكذا لدغة الكهرباء ولم تكن تعرف ذلك الزمان... أو نحو ذلك

الحديث الخامس والستون: المفتاح: [فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ»^١.

المشكلة: الجوع والخيانة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ألا ترى صعوبة النوم جائعاً لأنك لم تجد ما تأكله في بيتك ... إنها كفكرة **آذتك** وربما لم تذوقها مرة فكيف؟!

كيف بجوع عيالك، وزوجك، وأهلك ومن حولك من خيام وجيران؟!

ألا ينهنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال هذه الاستعاذة إلى وجوب القضاء على أسباب الجوع، وأن الأحق بالاستعاذة من شره هو **الاستعاذة** من سبب الجوع لاختلاسه لقمة الجائعين ... وإلا كيف جاعوا لولا البطانة الخائنة؟!

ألا يبين خطورة الجوع وخطورة من كان سببه هو براءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»^٢، **أليس هذا** الجار استحق هذا وربما لم يكن يوماً سبباً في جوع جاره، لكنه غفل عنه، وغفل عن حاجته، وغفل عن أولاده العاطلين

١ رواه النسائي (٨/ ٢٦٣)، وأبو داود (١٥٤٧) وحسنه الألباني، صحيح أبي داود (١٣٦٨).

٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٧) رقم (١٣٥٥٤): رَوَاهُ الطَّبْرَائِيُّ وَالبَّرَاءِيُّ، وَإِسْنَادُ البَّرَاءِ حَسَنٌ.

عن العمل، وغفل عن إيجاد مصدرٍ له من الرزق يكفيه حاله في ذلك حال أبنائه ... فكيف
بمن كان السبب المباشر في الجوع؟!!

هل يقتصر هذا الحديث على جار البيت، أم أنه يدخل فيها البلد الجائع بجوار البلد
الثري الشبعان؟!!

الحديث السادس والستون: المفتاح: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَنَّ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَأَمِنْ رُوعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^١.

المشكلة: هي أن تدعو لمن هو السبب في الشقاء!

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل رأى الناس دعاءً جامعاً حين يمسون وحين تصبحون مثل هذا الدعاء؟!

ماذا تعني العافية في الدنيا والآخرة، والعافية في ديني ودنياي؟!

هل دعاء كل فردٍ بهذا إلا دعاء كل لبنة في بناء الأمة العظيم للأمة العظيمة للأمة

بالعافية، وهل تحتاج الأمة اليوم لشيء مثل حاجتها للعافية؟

هل يجوز أن أدعو الله أن يستر عوراتي وأنا أشتري لبناتي وأهلي ملابس فيها كشف

عوراتهن؟!

وهل من الأدب أن أدع الله ﷻ بأن يؤمن روعاتي وأنا أساهم في اعتماد من ينشر الروع

ومن لا يأمن إلا بإثارة روعاتي وروعات الآخرين ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ

١ رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٢٨٢/٨) وصححه الألباني صحيح أبي داود (٤٢٣٩)، وابن ماجه (٣٨٧١/٢) واللفظ له.

يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿البقرة: ١١٤﴾

ألا ترى أن النبي ﷺ أن كل دعوة من هذه الدعوات إنما هي لحالة فردية فكيف إذا
تحققت كل واحدة منهن فأصبحت هي وجع الأمة الأساس الشامل ... فيا ترى **أ**يستجيب
الله ﷻ لرسول الله ﷺ أم يستجيب بالدعاء **للمخدوع** ... لمن هو سبب كل ذلك؟! لقد كان
الاغتيال من تحت ربا يكون بسقوط في حفرة؛ أما اليوم فلغم، وشريحة، وتجسس، وريموت،
ومقعد سيارة، وما إلى ذلك.

الحديث السابع والستون: المفتاح: [وَمِنْ سَاعَةِ السَّوِّءِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السَّوِّءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السَّوِّءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السَّوِّءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السَّوِّءِ، وَمِنْ جَارِ السَّوِّءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ»^١.

المشكلة: في إحاطة السوء

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس هذا دعاء يقوله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل صباح وكل مساء أي كان يقوله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يشبه الاستمرار عليه .. فهل يقوله هكذا إلا لخطورته .. وشدة حاجة الإنسان إليه؟

ألا ترى أن دلالة هذا الحديث على [السوء] الملازم .. وآخرهما صاحب ملازم وجار

مقيم؟

ألا تدل هذه الاستعاذة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنه لا قليل من السوء ولو لساعة ..

والساعة لا حد لها عند العرب؟

أي شيء من السوء الملازم والذي يقوم مقام كل هذه التي يستعاذ منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

هذا الزمان مثل الهاتف الحديث إذا كان بيد إنسان سيء أو عنده قابلية للسوء؟ فأين نهر

١ أخرجه الطبراني في الكبير (٨١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٩)، والصحيحة له (١٤٤٣).

للسيئات يصب في صحيفة سيئاته كل يوم وكل ليلة وكل ساعة وهو بديل صاحب السوء

وجار السوء!؟

الحديث الثامن والستون: المفتاح: [إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ^١ يَدْعُو]

الحادثة والحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ^٢ يَدْعُو: «يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^٣.

المشكلة: من إذا حزبه أمر لا يدعو ولا يصلي لله رب العالمين

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا يدل هذا على أن موقف الإنسان عند أول المصاب هو أصدق مقياس للإيمان الحق، ولرصيد الإيمان ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^٤.

ألا ترى أن كثيراً من الناس أول ما يجزبه أمر يبحث مباشرة عما ادخره من أسماء بشرية تخلصه، كل من موقعه .. بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجّهنا إلى التوجه لله مباشرة .. فهل يأتيه صلى الله عليه وسلم الفرج أم لا يأتيه .. هكذا إذا من يقتدي به صلى الله عليه وسلم واثقاً بربه صلى الله عليه وسلم؟

أليس تعوده صلى الله عليه وسلم [إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ] يدل على أنه يخاف مما يُفْضِي إليه ما حزبه من أمر ..؟ أو ليس معنى جهد البلاء: هو ما يشق على الإنسان بحيث يتمنى الموت ويختاره على ما هو فيه، وأما [وَدَرْكِ الشَّقَاءِ] فهو الطريق المفضي إلى أشد الشقاء وأسفله وهكذا ما تبقى؟!!

١ حزبه الأمر: نابه واشتدّ عليه أو ضغطه.

٢ حزبه الأمر: نابه واشتدّ عليه أو ضغطه.

٣ أخرجه رزين، ذكره محقق الجامع (٤/ ٢٩٥) وهذا لفظ جامع الأصول وأصله عند البخاري ١١ (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧). دون قوله: «كان إذا حزبه أمر يدعو».

٤ متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

الحديث التاسع والستون: المفتاح: [فإنه يبرأ بإذن الله]

الحادثة والحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ لُبَيْدَ بْنَ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَصَلَ فِيهِ تَمَثُّلاً فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ يُعَوِّذَانِهِ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ يَا جِبْرِيلُ إِنَّ صَاحِبَكَ شَاكٍ. قَالَ أَجَلٌ. قَالَ: أَصَابَهُ لُبَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ وَهُوَ فِي بئرِ مَيْمُونٍ فِي كَرْبَةِ نَحْتِ صَخْرَةِ الْمَاءِ. قَالَ: فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَنْزُحُ الْبئرُ ثُمَّ تَقْلِبُ الصَّخْرَةَ فَتَأْخُذُ الْكَرْبَةَ فِيهَا تَمَثُّالٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً فَتُحْرَقُ. فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَهْطٍ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَتَنَزَّحَ الْمَاءَ فَوَجَدُوهُ قَدْ صَارَ كَأَنَّهُ مَاءٌ الْحِنَاءِ. ثُمَّ قَلِبَتِ الصَّخْرَةَ إِذَا كَرْبَةٌ فِيهَا صَخْرَةٌ فِيهَا تَمَثُّالٌ فِيهَا إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) الصُّبْحِ، فَانْحَلَّتْ عُقْدَةٌ (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَانْحَلَّتْ عُقْدَةٌ (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقِ إِذَا وَقَبَ) اللَّيْلِ وَمَا يَجِيءُ بِهِ اللَّيْلُ (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) السَّحَّارَاتِ الْمُؤْذِيَّاتِ فَانْحَلَّتْ (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) ٢.

المشكلة: المشكلة أن لا حد ولا طريقة محددة لمكر اليهود ... ومكرهم في بئر عميق

مظلم **مُسَوِّدٌ** مدفون وفوقه ماء في متاهة عمياء

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

١ الكربة: من أصول سعف تبيس فتصير مثل الكتف.

٢ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٧٦٣).

ألا ترى في هذا السحر اليهودي نوعية مكر اليهود، وأنه مكر قاتل، وأن البشر عادة

لا طاقة للمسحور باكتشافه؟!!

فماذا لو لم يرسل الله ﷺ الملكين العظمين: جبريل وميكائيل ﷺ، وهو ذات الجواب:

على سؤال **يقول**: ماذا لو لم يرسل الله ﷻ موسى ﷺ أكان ولي المقتول في بني إسرائيل

سيكتشفون القاتل في قصة البقرة؟

أيوجد تحذير للأمة من هؤلاء أكبر من سحرهم النبي ﷺ، وأكبر من سمهم النبي

ﷺ؟!!

الحديث السبعون: المفتاح: [مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ]

المرحلة الرابعة: الاجتماع

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^١.

المشكلة: هي أن نتوقف عند الإعجاب بالحديث مع أن مقصوده العمل عليه

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى إلى كثرة أبواب الخير وأنها طرق للنجاة من النار وطرق إلى أبواب الجنان؟

ألا ترى أن جميع أبواب الخير إنما هي عبارة عن أعمال متعددة للغير؟!

ألا ترى أن جميع أبواب الخير هذه يمكن أن تحول كل عمل منها إلى مؤسسة متخصصة

في ذلك العمل جارية إلى يوم القيامة .. فكيف؟!

١ رواه مسلم (٢٦٩٩).

الحديث الحادي والسبعون: المفتاح: [الإمام العادل]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمْلُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^١.

المشكلة:

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا ترى أنه لا مقام ولا أمان، ولا أعز، ولا أكرم، من رجال حجزوا مواقعهم يوم المحشر في ظل عرش الله الرحمن الرحيم؟!!

ألا ترى كيف ابتدأ ذكر السبعة بالإمام العادل؟! أليس هو **المحضن** الأكبر في نشأة هؤلاء وأمثالهم والعكس بالعكس؟!!

أليس هؤلاء يكثرون في ظل الإمام العادل؛ فالشباب التائه في الأسواق ومراكز الشيطان يعود للمنشأة في بيوت الله .. إذ أول علامات الحياة في البلاد حياة المساجد...؟!!

١ رواه البخاري - الفتح ٢ (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

أليس هذا هو شأن جميع هؤلاء؟! هل يمنع من وجود هذه النوعيات والأصناف في
أيام الغربة الكبرى هذه؟!!

ألا ترى أن كل واحد من هؤلاء يدخل معه أصناف مماثلة في المجتمع من عباد الله
الصالحين ومن الأصفياء والأتقياء؟!!

ألا ترى كيف حل النبي ﷺ مشكلة المرءاة والتسميع والمظاهرة بإعلانات الرياء من
خلال السعي في حجز في أكرم مقام في أرض المحشر؟!!

الحديث الثاني والسبعون: المفتاح: [فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ؟]

الحادثة والحديث:

عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ، أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ، وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^١.

المشكلة: أن يكون التمزق ليس مشكلة

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألم يلفت انتباهك راوي الحديث ﷺ؟! فماذا نستنتج من هذا؟

ألا ترى أن التفرق في هذه الأمة مغاير لأساسها وطبعتها، بينما هو عند أمم أخرى

أصل حتى على الطعام؟!!

ما علاقة كل وصية من الوصايا بالنتيجة «يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ»؟!!

هل ما زالت الأمة على طبعتها الأول؟

هل الاجتماع على الطعام يخص الأسرة، والأصحاب وعلى الولايم فحسب أم تدخل

فيها القرى والمدن والبلاد المتجاورة وعلى الأخص عند الحاجة؟! فكيف عند الضرورة؟

١ رواه ابن ماجه (٣٢٨٦) واللفظ له، أبو داود (٣٧٦٤)، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣١٩٩)، وهو في الصحيحة (٦٦٤).

ألم يقل النبي ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»؟!!

أليست مثل هذه الطباع الاجتماعية إنما هي انشقاق في المجتمع أو بداية انشقاق؟!!

١ رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

الحديث الثالث والسبعون: المفتاح: [أني أهاجر من مكة]

الحادثة والحديث:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أُمَّهَا الْيَهَامَةَ أَوْ هَجْرًا، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْحَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»^٢.

المشكلة: أن البعض ينكر الرؤى الحق بناءً على قول: [نحن أعلم بأنفسنا من أصحاب

المنامات].

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا يدل هذا الحديث على اعتماد الرؤيا الصادقة في هذا الدين ... كيف ورسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو الذي يوحى إليه يريه الله الرؤى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى، ويخبر برؤياه، ويسأل صحبه

من رأى منكم الليلة رؤيا؟

١ الوهل: ما يذهب إليه وهم الإنسان.

٢ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٦٢٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٧٢).

ألا ترى أن موضوع رؤى النبي ﷺ إنما هو الهجرة والجهاد والفتح؟!!

على أي شيء يدلّ رؤيا المنام لو تحوّلت مما نحن فيه إلى مثل هذا الذي آلت إليه رؤيا

النبي ﷺ؟! ولكن متى تحول في المنام إلى هذا المقام؟!!

الحديث الرابع والسبعون: المفتاح: [إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ]

الحادثة والحديث:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ»^١، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ»^٢، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ^٣ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: «فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَى عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^٣.

المشكلة: قوم يستنون بغير سنتي

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أي شيء يسأل حذيفة رضي الله عنه؟

ألا يستحق أن يسمى حارس الأمة إلى يوم القيامة؟

١ دخن: المراد، أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها.

٢ دعاة على أبواب جهنم: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلالة، كالخوارج، والقرامطة وغيرهم.

٣ رواه مسلم (١٨٤٧).

ما الفرق بين مَنْ يعرفون سُنتي أو يروون سُنتي أو يحفظون سُنتي فحسب، وبين مَنْ

يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي؟!!

ألا يعني هذا أنهم يمكن أن يحفظ أولئك سنتي ويتسمَّون بأصحاب سنتي إلا أنهم

يستنون بغير سنتي؟

أليس معنى «غير سنتي» واسعاً ومفتوحاً من سنن الشرق والغرب، أو سنن الظالمين،

أو المنافقين؟

أليس هؤلاء هم الرحم للفريق الآخر؟

هل لو أردت أن تَعْصَّ على أصل شجرة تركوك أم أنهم سوف يعصُّونك؟!!

أليس في منهاج حذيفة رضي الله عنه في حفظ الحديث وروايته رسالة بليغة لأهل الحديث

خاصة وللعلماء عامة أن هكذا يكون الحفظ والإملاء؟! ألا يعني هذا أن الحفظ لحفظ الأمة،

وحفظ الدين وأركانه، الحفظ لحراسة الأمة من الفتن، الحفظ لهداية الخلفاء، وحفظهم

ووقايتهم من الفتن التي تموج كموج البحر ومن أصحابها، وحفظهم من المنافقين، وبطانة

السوء، الحفظ لحفظ الصادقين للخلفاء بالنصح، والناصحين للأسرة الذين يأمرن بالمعروف

وينهون عن المنكر؟! وهكذا ألم تكن هذه هي مهمة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الأولى؟! وهل هذا

الحديث العظيم إلا بعض الدور الذي أنشأه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، وغداه، وعلمه، وأسرَّ له،

وشرفه؟!!

الحديث الخامس والسبعون: المفتاح: [فإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ]

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ»^١.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^٢.

المشكلة: السعي في استحواذ الشيطان نعوذ بالله منه

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليست صلاة الجماعة هي الحافطة .. والتفرق مع إمكان الجماعة ربما أدى أن يكون

ذلك فريسة للشيطان نعوذ بالله منه؟!

كم من الذئاب تتجول في الأرجاء وتتخطف الناس من بيوتها في هذا الزمان؟!

أليست الجماعة تدل على الجماعة وتدعو للجماعة؟!

١ رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢ / ١٠٦ - ١٠٧) واللفظ لها، وحسنه الألباني، ورواه الحاكم (١ / ٢٤٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

٢ رواه الترمذي (٢١٦٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني، وقال محقق جامع الأصول (٦ / ٥٦٤): حسن بشواهده.

الحديث السادس والسبعون: المفتاح: [أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَرَفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ^٢، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»^٣.

المشكلة: أن من جاءنا وشق عصانا كان ينادي بأنه هو الجماعة

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

من الذي سعى حقاً في هدم الخلافة الإسلامية الخيرة وزعم أنهم هم الجماعة؟!!

هل لو تنبّهت الشعوب المسلمة لهدي النبي ﷺ وأمره هذا واتبعت لهدمت الخلافة،

وهل لو اتبعت هديه لدخل اليوم الصليبيون واليهود في عمق أمة محمد ﷺ؟!!

١ وأمركم جميع: أي مجتمع.

٢ أن يشق عصاكم: معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصا المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس.

٣ رواه مسلم (١٨٥٢).

الحديث الثامن والسبعون: المفتاح: [يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبِرِهِ ﷺ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبِرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^١.

المشكلة: ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل **عَلِمْنَا وَعَلَّمْنَا** أبناءنا والمسلمين ما خصائص الجمعة بين الأيام وخصائص

خطبتها وصلاتها من بين الصلوات .. حتى نبعث فيهم من جديد قيمتها؟!

هل نعلم أن للجمعة ارتباطاً بحياة الأمة من جديد؟!

فإذا لم تكن نوراً في الدنيا **لَمَّا** جاءت يوم القيامة نوراً، ثم انظر إلى سورة الكهف

والإشارات الكثير لبعث الأمة من جديد، وانظر إلى قراءة سورة الكهف ونورها من يوم

الجمعة، وانظر إلى قصة الخضر وموسى رضي الله عنهما، وبعدها ذو القرنين، وانظر، ثم انظر، وانظر؟

إذا كان هذا عاقبة من **تخلف** عن الجمعة أن **يُخْتَم** على قلبه، فكيف بمن أفرغ الجمعة

من خصائصها، وأفرغ الخطبة من أخص خصائصها وصادرها من أن تكون لله ﷻ إلى أن

تصبح له هو؟!

١ رواه البخاري - الفتح ١ (٦٤٧)، ومسلم (٨٦٥) واللفظ له.

الحديث التاسع والسبعون: المفتاح: [تزيد بضعا وعشرين درجة]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَازُهُ^١ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً^٢ إِلَّا رَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ^٣، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُجِدْ فِيهِ»^٤.

المشكلة: ما الإيذاء والإحداث في بيت الله!؟

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا يدلك قول النبي ﷺ: «وَذَلِكَ» على أن السبع والعشرين على الكل المتكامل!؟

أي علاقة أوثق مع ملائكة بيت الله مثل **علاقة** من **تعلق** قلبه ببيت الله!؟

«مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُجِدْ فِيهِ»: وهل من إيذاء للمصلين وإحداث في بيوت الله أعظم

من الحيلولة بين المسجد ودوره العظيم في الأمة!؟

١ لا ينهزه: أي لا ينهضه ويقمه.

٢ خطوة: بالضم ما بين القدمين، وبالفتح المرة الواحدة.

٣ المعنى: أنه يأخذ ثواب الصلاة ما دام في المسجد انتظاراً لهذه الصلاة.

الحديث الثمانون: المفتاح: [أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أْبَعْدَهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَى، فَأْبَعْدَهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيَهَا ثُمَّ يَنَامُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: «حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ»^١.

المشكلة: السهر لغير الصلاة والنوم للصلاة!

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

كيف أثرت المساكن البعيدة من المسجد في حفظ حدود البلاد والمدن والقرى وكيف هو أثره في عمار ما بين ذلك؟!!

للصلاة قيادتها .. ولذا سمي المتقدم فيها الإمام، ولهذا فالصلاة مع الإمام خير وأفضل.

أيحسب البعض أن النبي ﷺ لا يقصدنا نحن اليوم ... إذا فكم نحن لا نعطي رسول الله ﷺ قدره ولا نعطي قوله بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ .. ويحسب الجاهل أن هذا تكلف؟!!

فإذا كان النبي ﷺ قصد رجلاً أو رجلين أو قلة كانوا يقومون الليل ثم يغلبهم النوم فيصلون صلاة الفجر بعد الأذان مباشرة وذن انتظار الإمام ... ولا يقصد أُمَّتَهُ السَاهِرَةَ عَلَى

١ رواه مسلم (٦٦٢).

الباطل طوال الليل على الباطل، فلا هي من صلاة الفجر ولا هي من صلاة الليل... أيعقل
هذا القصور في قول النبي ﷺ، وأنه غفل عنا وكلنا أمته؟!!

الحديث الحادي والثمانون: المفتاح: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ، فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ، يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^١.

حتى الخليفة الأعظم حريص على اتباع المصطفى ﷺ.

المشكلة: فقدان القدوات

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس هذا خليفة المسلمين يروي عن رسول الله ﷺ إذ هو عامل بما يروي؟!!

ألا يعني الاشتراط كونها «في جَمَاعَةٍ» أن من صلى منفردًا لم يقم إلا بقدر صلاته فقط؟

فعن كم يتنازل الرجل إذا خسر هذه الليالي من عمره؟!!

متى تُحَسِّنُ الأمة استثمار عمرها عند ربها ... في الدنيا والآخرة؟!!

١ رواه مسلم (٦٥٦).

الحديث الثاني والثمانون: المفتاح: [إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي؟» وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، فَقَالَ: «أَلَا تُحِبُّونِي؟» فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَدَهَا، زَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا يُحْفَظُهَا، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسِ دِثَارُ، وَلَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْخَوْضِ»^١.

المشكلة: المشكلة في إرضاء المستحق بحرمانه

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

لا علاقة بين العطاء من الغنائم وبين القرب من رسول الله ﷺ ومحبته .. فكيف

ذلك؟!

١ رواه مسلم (١٠٦١).

ألا ترى أن النبي ﷺ أعطى الأنصار ما هو أفضل من الغنائم وأرضاهم تمام الرضى
لدرجة أنهم بكوا وهم سادة الرجال؟

ثم ألا ترون أن رسول الله ﷺ كان يعدهم بالشدائد قادمة من الحرمان والأثرة
وغيرها؟

ألا ترون أنهم اشتروا بهذا خصوصية على حوض رسول الله ﷺ هكذا هم الخلص
عند الله وعند رسوله ﷺ ... وأما من يصيبه مما أصاب الزيادة من الدنيا فليس من الخلص ...
فكيف بمن يصيب حقوق الناس؟

الحديث الثالث والثمانون: المفتاح: [أوصيكم بأصحابي]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يخلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليزِم الجماعة، من سرته حسنة وسأته سيئة فذلك المؤمن»^١.

المشكلة: عدم حفظ مقام السابقين ... وابتداء التغيرات

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل حراسة عمر رضي الله عنه للأمة من التغيير والتحذير من السلبيات القادمة حتى وإن كان قد أخبر بها النبي ﷺ؟!!

إذا كان عمر رضي الله عنه قد حذر الناس في وقته من تلك المنكرات ترى فكم بلغ انتشارها في هذا الوقت؟!!

إذا كان الله ﷻ قد وضع حدودًا دون وقوع الناس في الحرمات والمحرمات والحراسة الأمة من قبائح التغيرات .. فما **قصد** من رفع تلك الحدود وألغائها؟!!

١ رواه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الألباني.

الحديث الرابع والثمانون: المفتاح: [وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا]

الاحتساب

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»^٣.

المشكلة: البخل على الأهل

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هل يليق بالمسلم أن يبخل؟! فكيف يليق به أن يبخل على أهله؟!

وإذا بخل على أهله **فَمِمَّنْ يُنْتَظَرُ** إكرامهم؟!

أرأيت كيف يجمع الله للمحتسب الخير؛ أداء واجب، وأجر صدقة؟

١ يحتسبها: أي يقصد بها الاحتساب وهو طلب الثواب.

٢ صدقة: أي يثاب عليها كما يثاب على الصدقة.

٣ رواه مسلم (١٠٠٢).

الحديث الخامس والثمانون: المفتاح: [كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»^١.

المشكلة: قلة اتباع الجنائز

الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كم شرطاً أشار لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحقيق أجر القيراطين؟!

ألا ترى أن الكثير من حضور الجنائز اليوم لا يحضرون إلا مجاملة للأحياء، مع أن الأصل هو مصلحة الميت، وهذا ما لا يكون إلا بـ [إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا]، أليس كذلك؟!

ما الطرق والحوافز التي نعيد بها الناس لاتباع الجنائز؟!

كيف يمكن أن **يؤدّي** الموت دوره في إحياء الأمة وإيقاظ الغافلين؟!

١ رواه البخاري - الفتح ١ (٤٧) واللفظ له، ومسلم (٩٤٥).

الحديث السادس والثمانون: المفتاح: [وَيْحِكِ، أَوْهَيْبَتِ]

الحادثة والحديث:

عن حميد قال: سمعت أنسًا يقول: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرُ وَأُحْتَسِبُ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟^١ فَقَالَ: «وَيْحِكِ، أَوْهَيْبَتِ^٢، أَوْجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»^٣.

المشكلة: جزع الأمهات حتى على الشهداء

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس علاج النبي ﷺ لأم شهيد واحد في عهده إنما هو علاج للأمهات الشهداء مهما كثروا إلى يوم القيامة؟!

أليس في تثبيت الأم إمدادًا للفتح الإسلامي مهما كبر العالم واتسع .. وإلى يوم القيامة؟!

أليس في ثبات الأمهات رسالة بليغة للرجال؟!

١ تَرَى مَا أَصْنَعُ: أي: وإلا سوف ترى، والمعنى: وإن لم يكن من الحسبة صنعت شيئًا من صنيع أهل الحزن مشهورًا يرد كل أحد ...
٢ هببت: بفتح الهاء وكسر الباء استعارة لفقد العقل مما أصابها من النكل بولدها كأنه قال: أفقدت عقلك بفقد ابنك حتى جعلت الجنان جنة واحدة؟
٣ رواه البخاري - الفتح ١١ (٦٥٥٠).

وهل الأم التي تُقدِّم ولدها تبخل بذهبها، وهل الأم التي تحتسب هذا الاحتساب
يمكن أن تُشغِل حياتها بالتفاهات وزخرف الحياة غرورًا؟!
أليس هذا حلًّا لكل المشاكل القادمة ... أم ما زال البعض يظن أن النبي ﷺ لم يكن
يعلم أن أمته سوف تترك الجهاد .. وتضنُّ بأبنائها وأموالها عليه؟

الحديث السابع والثمانون: المفتاح: [إِلَّا الدِّينَ]

الحديث والحادثة:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ، إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»^١.

وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنا في عصرنا إذ حلَّ مشكلات، وفتح مشاريع مثل:

- سدّد دَيْنَكَ أو تحلّل أوّلاً، ثم جاهد، لئلا يكون الجهاد والشهادة مهرباً من حقوق الآخرين.

المشكلة: التهاون في الدين

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هكذا هو انطلاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نحو الجهاد في سبيل الله؟! إنه كمن حجز إلى سفرٍ ذهاباً فلم يحسب حساب الرجوع إلى الأهل أبداً... ولا حساب الغنيمة التي يرجع بها إلى الأهل.

١ رواه مسلم (١٨٨٥).

أليس في رد النبي ﷺ للسائل مرتين ما يثير الاهتمام ويزيد الاستغراب حول أمرِ
مُسلّم وهو تكفير خطاياہ لأنه شهيد .. نعم إنه وحتى قد جاء يستدرك لحالة واقعية .. [إِلَّا
الدَّيْنَ].

ألا ترى أن قول النبي ﷺ: [إِلَّا الدَّيْنَ] إلزام لمن أراد تكفير سيئاته وبلوغ الجنة دون
تأخير أن يسدّد دينه قبل أن يخرج، بأن يتسامح مع صاحب الدين، أو يتراضى معه، أو يجد من
يكفله .. فإن فيه حفظ لحقوق الناس .. حتى وإن منع رجلاً من الشهادة، إذًا فما بالك بما هو
دون الشهادة في سبيل الله!؟

هل هذا الصحابي سأل من نفسه .. أليس هذا دليلاً على أن ذلك الصحابي كجميع
أفراد ذلك المجتمع ما كانوا إلا مرجعاً لجميع حالات الأمة .. وحماية لأموال الدائنين من
المتعبدين ومن أصحاب الدعاوى!؟

الحديث الثامن والثمانون: المفتاح: [أقصى بيت في المدينة]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتَهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، قَالَ: أَمْ وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»^٣.

المشكلة: ظن المساس بالنبي ﷺ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل استعجل النبي ﷺ الحكم على الرجل أم سأله وسمع جوابه وأيده على ذلك؟!!

هل عاتب النبي ﷺ أبي ابن كعب على غيرته على رسول الله ﷺ؟!!

هل يوجد في هذا العصر أناس بهذه الطريقة من تفكير الصحابي هذا، فهو لا يريد الاقتراب من المسجد، ولا يريد أن يشتري دابة، ولا يريد أن يتقي الحر ولا الرمضاء ولا الهوام، ذلك أنه يرجو [في أثره الأجر] هذه نوعية نادرة من المؤمنين.. فهل هؤلاء لا يعنّفون، أم ينكر عليهم، أم يقرّون ويؤيدون..؟!!

١ مطنّب بيت محمد: أي مشدود بالأطناب أي ما أحب أن يكون بيتي إلى جانب بيته لأنني أحسب عند الله كثرة خطاي من بيتي إلى المسجد (النهاية ١٤٠/٣).

٢ فحملت به حملاً: معناه إنه عظم عليّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك، وليس المراد الحمل على الظهر.

٣ رواه مسلم (٦٦٣).

أوليس هذا ما قاله لهم النبي ﷺ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»؟

أو لم يمر معنا ما في السكن البعيد عن المسجد الفوائد للبلد وللعمران وللأمن؟

الحديث التاسع والثمانون: المفتاح: [قَبَضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِهِ]

الحديث والحادثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: ما لعبيد المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا ثم احتسبه، إلا الجنة»^١.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد»^٢.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بصبي لها، فقالت: يا نبي الله ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة، قال: «دفنت ثلاثة؟» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرت^٣ بحظار شديد من النار»^٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم»^٥.

١ رواه البخاري (٦٤٢٤).

٢ رواه الترمذي (١٠٢١)، وحسنه الألباني.

٣ احتظرت: أي امتنعت بهانع وثيق، وأصل الحظر المنع، وأصل الحظار بكسر الحاء وفتحها ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط.

٤ رواه مسلم (٢٦٣٦).

٥ إلا تحلة القسم: أي ما ينحل به القسم وهو اليمين. وتحلة القسم هي تحلة قوله تعالى: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا] (مريم: ٧١)، والقسم قوله تعالى: [فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ] (مريم: ٦٨).

٦ رواه البخاري - الفتح ٣ (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢) واللفظ له.

المشكلة: مشكلة الجزع عند النساء والرجال وحلها.

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا يكفي العبد المؤمن سؤال الله ﷻ عن حاله وموقفه ومقولته لما قبضت الملائكة روح

ولده؟

ألا يكفي عطاء الله ﷻ الفوري حيث صدر الأمر الفوري من الله ﷻ ببناء بيت يكفي في
عظمته أن اسمه [بيت الحمد]؟!!

- ألا يجب تحويل مشكلة الجزع إلى مثال للرضا وشيوع جو الرضا اجتماعي.
- مفتاح هداية بالشبات في هذه المواقف الحاسمة.

ألا يكفي المؤمنة أن يقول لها النبي ﷺ: [لقد احتظرت بحضار شديد من النار]؟!!

هل هذه المشكلة انقطعت عند من حدثهم النبي ﷺ، أم ما زالت ولن تنتهي إلى يوم

القيامة؟!!

الحديث التسعون: المفتاح: [مَنْ هَذِهِ؟]

الحادثة والحديث:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءَ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلًّا، وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْظُمُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُعْضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِيمِ اللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلَا أَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلَ السَّفِينَةِ، هَجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا^١، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي^٢.

١ وإيم الله: من ألفاظ القسم وأصلها إيمان الله ثم حذفت النون، تخفيفًا لكثرة الاستعمال وأصل الجملة وإيمان الله قسمي ثم حذف الخبر.

٢ أرسالا: أفواجا.

٣ رواه البخاري - الفتح ٧ (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٣) واللفظ له.

المشكلة: **أَلْحَبَشِيَّةٌ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟**

الانطلاقه مع رسول الله ﷺ:

هل انتزعت أسماء بنت عميس رضي الله عنها حق المهاجرين إلى الحبشة من أقوى رجل في الأمة؟!؟

هل عابها رسول الله ﷺ أو عمر أو المؤمنون أن تكون امرأة أوقفت رجلاً عظيماً وهو عمر رضي الله عنهما أجمعين؟!؟

هل تراها أخطأت في **التوحيد** حين قالت لعمر رضي الله عنه: [وذلك في الله وفي رسوله ﷺ] فقال لها: هذا شرك كما يقال هذه الأيام؟!؟

ألا ترى في فرح الصحابة المهاجرين بما ذكر النبي ﷺ ومن سعادتهم بها علامة صدق ذلك المجتمع وسلامته؟!؟

أرأيت كيف حل النبي ﷺ المشكلة التي كادت تكون طبقية في المجتمع المدني الصغير المتنوع؟!؟

هل يجوز لولي الأمر أن يقنن الطبقية ويشرع لها تشريعات؟!؟

الحديث الحادي والتسعون: المفتاح: [إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ]

الحادثة والحديث:

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^١.

المشكلة:

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل المقصود أن البلاء والنعماء هما الخير، أم أن صبره على البلاء وشكره على النعماء هما الخير له؟

أليس المؤمن يستعيد بالله من البلاء، ومن جهد البلاء، ومن **الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن مُضِلَّاتِ الفتن؟!**

إذاً ألا يعني هذا أنه خرج من البلاء بخير مطلق في الدنيا والآخرة، وخرج من النعمة بخير في الدنيا والآخرة؟!

إذاً فهل الإسلام يزول بالبلاء؟ ألا يبني العدو الأمة، فإذا ما أوقد تحتها نار البلاء فإنها ينضجها، وإذا ما أغدق عليها شدة البرد والنعماء فإنها ليحفظ بذرتها وثمرتها؟!

١ رواه مسلم (٢٩٩٩).

ألم يداوينا النبي ﷺ اليوم ونحن في هذا الحال، أليس خطابه في هذا لأمته كافياً،
والمسلم يرى ماذا حل ببلدانها وليس بأفرادها فحسب؟! ومن أحق بهذا الخطاب من بعد وفاة
النبي ﷺ من هذا العصر الذي نحن فيه؟!

الحديث الثاني والتسعون: المفتاح: [فاجعل لنا يوماً من نفسك]

الحادثة والحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال هن: «ما منكن امرأة تُقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجاباً من النار»، فقالت امرأة: واثنيتن؟ فقال: «واثنيتن»^١.

المشكلة: إهمال المرأة من الناحية الإيمانية، وتركها تلتهم إيمانها بالبلاءات الطبيعية، وليس أشد على المرأة من موت الولد.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا ترى كيف انطلق النبي صلى الله عليه وسلم نحو النساء خاصة؟!!

ألا ترى كيف ثبتت النساء يوماً خاصاً هن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!

أليس إذا حُلَّت مشكلة الجزع عند المرأة حُلَّت جميع مشاكلها، لكن هل كان الحل الذي

جعل النبي صلى الله عليه وسلم آتياً أم حلاً أبدياً، ونتيجته في الآخرة وهو صناعة حجاب من النار؟!!

وهل كان هذا خاصاً بتلك الصحابييات لقوله للمخاطبات: «منكن»، أم أنه لجميع

نساء أمته، لأن الصحابييات هم النماذج اللاتي انطبق عليهن التشريع؟

١ رواه البخاري - الفتح ١ (١٠١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٣).

ألا ترى لخبث العدو حين جنّد جنده لإفساد الأسرة المسلمة، والبنات المسلمة،
والزوجة المسلمة، والأم المسلمة؟!!

فمن الذي يساهم فعلياً في نقض ما بناه رسول الله ﷺ؟!!

الحديث الثالث والتسعون: المفتاح: [عَبْدٌ يَصُومُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ، بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^١.

المشكلة: مشكلة التخمة، ونسيان الجوعى

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

من أحوج للصيام من أمة أصبحت أكبر مشاكلها من تخمتها؟!!

ومن أحوج للصيام من أمة أصبح أكثر جوعى العالم من أبنائها؟!!

ومن أحوج للصيام من أمة مشكلتها العظمى في نسيان بعضها بعضًا؟!!

ومن أحوج للصيام ليفك أسر الطعام، وتولد عنده الإرادة من جديد بعد ما سُلِبَتْ

إرادتها؟!!

من أحوج للصيام من أمة أصبحت أحوج ما تكون لحماية نفسها من عبودية

الأجوفين، البطن والفرج؟!!

١ رواه البخاري - الفتح ٦ (٢٨٤٠)، مسلم (١١٥٣).

الحديث الرابع والتسعون: المفتاح: [فيقول ما أمره الله]

الحادثة والحديث:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَمَّتْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أُرْسَلُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَندعو الله أن يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»^١.

المشكلة:

الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل من أحدٍ فتح للإنسان باب الأمل وهو في عمق المصيبة وابتدائها وشدة فورانها

مثل رسول الله ﷺ بهذه الكلمات؟!

أرأيت كيف هو هدي النبي ﷺ وكيف هم رواته .. فسبحان الله كيف جعل الله ﷻ

أحسن شاهد على هذه القطعة من أحاديثه ﷺ هي رواية الحديث نفسه؟!

وهل توقف النبي ﷺ عند رواية أم سلمة ﷺ للحديث أم حلَّ لها مشكلتها عملياً؟!

١ رواه مسلم (٩١٨).

الحديث الخامس والتسعون: المفتاح: [حتى الشوكة يُشاكها]

الحديث والحادثة:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يُصيبُ المسلمَ، من نصبٍ^١ ولا وصبٍ^٢، ولا همٍّ ولا حُزنٍ ولا أذىٍ ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^٣.

المشكلة: آثار البلاء إذا كثرت أو اشتدت

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألم يحلّ النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه المشكلات... أم جعلها تظهر على المجتمع فتصبح الشكوى ظاهرة خشية أن يجرح احتسابه أو تتحوّل إلى ظاهرة تدمر وضجر؟!!

ألم ينشئ صلى الله عليه وسلم مجتمعاً مستعداً لكل شيء .. فإذا أُصيب بأي شيء غلبه بصره؟!!

ألم يحلّ النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة الآثار المترتبة على البلاء .. بل جعل العزاء لمن لم يبتل.

١ النصب: التعب.

٢ الوصب: الوجد.

٣ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٤١، ٥٦٤٢) واللفظ له، مسلم (٢٥٧٣).

الحديث السادس والتسعون: المفتاح: [مَا أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتِ]

الحادثة والديث:

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَمِيَّتِ إِصْبَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتِ^١، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ^٢».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

المشكلة: وهو يمسح الدم عن وجهه

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى كيف حوّل رسول الله ﷺ نزع الدم من إصبعه ووجهه إلى سيل يفيض على

الامة رضاً؟!!

ألم يجل رسول الله ﷺ المشكلات بقدوة القائد ورضاه عند الصدمة الأولى؟

أليس هذا الرضا هو الحل لمشكلات كبيرة ومتواصلة بسبب جرح أناس للقائد، أو

سببه، أو نقده، أو ما إلى ذلك؟!!

١ دميت: أي جرحت وخرج منها الدم.

٢ وهذان قسمان من بحر الرجز، والتاء في آخرهما مكسورة على وفق الشعر.

٣ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦١٤٦)، مسلم (١٧٩٦) واللفظ له.

٤ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٧)، مسلم (١٧٩٢) واللفظ له.

هل المشكلة في ابتلاء الأقرب إلى الله ﷻ، أم المشكلة أن لا يُبتلى الأقرب والمشكلة أن

يصبح هؤلاء الأنعم والأترف والأهنا؟!!

الحديث السابع والتسعون: المفتاح: [فَهْلٌ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهْلٌ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»^١.

المشكلة: ثورة الحماس التي تنسف الحكمة، وتقلب الأولويات، وتورث الأمة

الندامة!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كيف حَلَّ المشكلة ما بين محبة الجهاد إخلاصًا وصدقًا وبين إذن الوالدين ... فصلَّى الله عليه وسلَّم؟

أليس الجهاد لحماية هؤلاء الكبار والضعفاء .. أفيجعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشكلة على هؤلاء .. وإلا فلم رَدَّهُ ولدهما إليهما .. وكأنه يقول له: ونحن ندافع عنك وعنهما هنا .. فارجع؟!!

أليس الحل في إيجاد مواقع داخلية للجهاد ومن أولها الجهاد في خدمة الوالدين؟ ألم يأت في روايات أخرى: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^٢؟

١ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩) واللفظ له.

٢ رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

ألا ترى كيف أغلق النبي ﷺ أخطر باب دخل منه العدو في تجنيد المتحمسين من أبناء الأمة لهدم الأمة واختراق بلدانها .. حين أعاد هذا المتحمس ﷺ إلى الداخل إلى والديه .. إلى الأوليات في كل شيء، فينضبط كل شيء، ولا يفلت شيء؟!!

أنحن أحق بهذا الحديث أم الصحابة رضي الله عنهم **أجمعين** الذين لم يكن منهم إلا واحدٌ أو اثنان أتيا بعد إذن والديهما ... بينما خرجت جموع عندنا من كل بلاد العالم الإسلامي، كلهم خرجوا يريدون الجهاد بغير إذن الوالدين، فكان في هذا الزمان أكبر تجمع لأهل **العقوق** **فبهم** احتلت أفغانستان ثم العراق ثم تساقطت بلدان العالم الإسلامي .. **هل لو** أن هؤلاء الشباب الصادقين عملوا بما قرّره النبي ﷺ لما وقع الذي وقع؟!!

هل هؤلاء الشباب كذبه .. معاذ الله؟!!

لكن هل خرج هؤلاء بمخطط من أعداء الله ولتحقيق أهداف أعداء الله وهم لا يعلمون ... ثم استغنى عنهم أعداء الله وتركوهم طعمة للوحوش أم لا؟!!

الحديث الثامن والتسعون: المفتاح: [كل سيئة كان زلفها]

الحادثة والحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا أسلم العبد، فحسُنَ إسلامُهُ؛ يُكفِّرَ اللهُ عنه كلَّ سيئةٍ كان زلفها، وكان - بعدُ - القصاصُ: الحسنَةُ بعشرِ أمثالها إلى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ، والسيئةُ بمثلها؛ إلا أن يتجاوزَ اللهُ عنها»^٢.

المشكلة: ذنوب ما قبل الإسلام وما قبل التوبة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- كيف حلَّ مشكلة القضاء على الشاتة لتأخر إسلامه.
- كيف حلَّ مشكلة اندماج المتأخر في التحاقه .. وترويجه وتوطينه .. وما إلى ذلك؟!؟
- كيف قدّمه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أصبح الناس أحرص ما يكونون على طلب الدعاء منه؟!؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أتؤاخذُ بما عملنا في الجاهليَّة؟ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»^٣.

١ زلفها: أي اقترفها وفعلها.

٢ رواه البخاري - الفتح ١ (٤١) واللفظ له، ومسلم (١٢٩).

٣ رواه البخاري - الفتح ١٢ (٦٩٢١) واللفظ له، مسلم (١٢٠).

الحديث التاسع والتسعون: المفتاح: [وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ فَلَهُ أَجْرَانِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ فَغَدَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَذْبَهَا فَأَحْسَنَ أَذْبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»^١.

المشكلة:

- ألم يجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة «وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ» عنواناً للمساواة حيث يستوي أسرى الحروب وسواهم الأسود والأبيض، والعربي والأعجمي؟!..!
- ألم يحلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشكلة الطبقة بأن جعل لهؤلاء أجريين والبقية أجراً واحداً؟!..!
- ألا ترى كيف حلَّ مشكلة الإنتاجية في المجتمع؟!..!
- ألا ترى كيف حلَّ مشكلة الرق بأن قال: «ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا» وهنا قطع طريق العودة إلى الرق؟!.. ألم يفتح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأبواب كلها إلى العتق ولم يجعل طريقاً واحداً للعودة، ولهذا فإن اللازم أن لا يكون في عمر الأمة هذا الطويل أن لا يكون ثمة عبودية ولا عبيد أبداً؟
- ألا ترى كيف حلَّ مشكلة الخيانة بإصلاح القلوب أساساً؟ وكل ذلك بالإحسان ومضاعفة الأجر معاً.

١ رواه البخاري - الفتح ١ (٩٧)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

الحديث المائة: المفتاح: [إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^٣.

المشكلة: كيف لا يكون من المحسنين

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ

ألا ترى كيف حلَّ رسول الله ﷺ إشكالية وقوع الأخطاء الفردية بتعليم الإحسان كلُّ في تخصصه؟!!

بدن المسلم نشأ على الحلال وأطيب الطعام، وقَتْلُهُ إن استحقَّ يكون بالإحسان، وعلى الإحسان يودع. أليس هذا هو من الربط بين الحالتين في حديث واحد؟

ألا ترى كيف جعل النبي ﷺ الإحسان صفة المجتمع .. فهو مجتمع المحسنين .. فإذا كان هذا هو حلُّ النبي ﷺ عند القتل وعند الذبح فكيف به فيما سوى

إهراق الدم؟!!

ألا يكفي قول النبي ﷺ: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» أي: دون استثناء؟

١ القتلة: الهيئة والحالة.

٢ وليحد: أهدَّ السكين، بمعنى شَحَدَهَا.

٣ رواه مسلم (١٩٥٥).

الحديث المائة وواحد: المفتاح: [ألا واستوصوا بالنساء خيراً]

الحادثة والحديث:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ، وَوَعَّظَ، فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً، فَقَالَ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ^١، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^٢.

المشكلة: مشكلة تداخل الحقوق بين الزوجين

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

كيف ضبط النبي ﷺ الأمور كلها عند وضع اللبنة الأولى في المجتمع؟

ألا ترى قوله ﷺ: «أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» ليس

للتحديد، بل هو مثال لا للحصر؟

١ عوان عندكم: أي أسرى في أيديكم.

٢ رواه الترمذي (١١٦٣)، وحسنه الألباني.

الحديث المائة واثنان: المفتاح: [كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ، وَإِذَا أَسَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: أَنْ قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ»^١.

المشكلة: مشكلة عدم الاعتداد برأي الجيران

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس الجيران هم من يُوثق **وَيُضَعَّفُ**، وهم من يزكّي ويمجّح.

أليس إنشاء [مجلس في كل حي] يكون كفيلاً بهذا أحسن كفالة؟!!

فحين تبلغ دقة المعلومة أن تؤخذ من الجيران على مستوى أمة بمليارات البشر **أفلا**

يعني **هذا** أن لا يضيع واحد من أبناء الأمة؟!!

١ رواه ابن ماجه (٤٢٢٣)، وصححه الألباني.

الحديث المائة وثلاثة: المفتاح: [فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا]

الحادثة والحديث:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيِّ^١ فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِنَّ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتَكَ جِئْتَ آتِفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ^٢ - أَوْ فَيَسْبِغُ^٣ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^٤.

المشكلة: حلّ مشكلة التضاد ما بين طلب العلم والاسترزاق ... بالمناوبة

الانطلاق مع رسول الله ﷺ:

هل من أحد في الأمة يُعفى من العلم، أليس الجهل أكبر مشكلة!؟

أليس العلم حقًا مشتركًا بين طلابه وللعالمين كافة؟

هل يليق بطلاب العلم أن يكون بينهم تباغض وتحاسد وتصعيد بعضهم لبعض؟

١ رَوَّحْتُهَا بِعَشِيِّ: أي رجعت بها وقت العشي وهو ما بعد الزوال إلى المغرب، وقيل: العشي من زوال الشمس إلى الصباح.

٢ آتِفًا: أي قريبًا.

٣ فَيُبَلِّغُ (أو فَيَسْبِغُ): أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون.

٤ رواه مسلم (٢٣٤).

الحديث المائة وأربعة: المفتاح: [مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهُ هُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»^١.

المشكلة: إخفاء المعروف وعدم الثناء على أهله

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هل لو عمل المسلمون اليوم مع إخوانهم المهجّرين مثل عمل الأنصار مع المهاجرين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعين لحصلت كل هذه المآسي؟!!

فمن أحرص الناس على الحيلولة بينهم وبين إيواء إخوانهم؟!!

كيف يكون همّ الجميع هو المشاركة في الأجر؟

كيف يكون أداء حق الأخوة غاية، ويكون سالمًا من الأثرة، والمنّ، والتباهي، وما إلى

ذلك؟

١ رواه الترمذي (٢٤٨٧)، وأبو داود (٤٨١٢)، وصححه الألباني.

الحديث المائة وخمسة: المفتاح: [أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك]

الحادثة والحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، من أحقُّ النَّاسِ بحُسنِ صحابتي؟ قال: «أمُّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ أمُّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ أمُّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ أبوك»^١.

المشكلة: الفوضى في ترتيب الأولويات

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أليست هذه هي اللبنة الأولى والتي هي أحق ما تكون بالترتيب الصحيح؟!!

ألا ينبىء هذا عن مجتمع سليم من أساسه إلى رأسه .. من لبنته إلى كل بنائه؟!!

ثم هل ترى الأم أولاً، والأم ثانياً، والأم ثلاثاً، فوضى أو عاطفة أم هي الحكمة ..

أليست هي نتاج صحبة منها في البطن، وصحبة اللبن، صحبة في الليل والنهار في الصغر،

صحبة في الحياة .. صحبة لا تنقطع أبداً فلن تذهب ... أليس هذا وقت صحبتها؟! .. أرايت

الحكمة .. أرايت رد الجميل، أرايت الحماية والحماية للمجتمع من عواقب العقوق؟!

١ الصحابة هنا: بمعنى الصحبة.

٢ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٥٩٧١) واللفظ له، مسلم (٢٥٤٨).

ثم هل ترك النبي ﷺ الأب؟ وهل معنى أمك ثم أمك ثم أمك عدوان على الأب؟
أليس من الأمانة أن يكون الأب هو أول من يربي الناس على هذا الترتيب؟ فكم من مشكلة
حلَّ النبي ﷺ آنذاك وفي الأمة طوال عصورها وإلى يوم القيامة؟!!

الحديث المائة وستة: المفتاح: [يا أبا هريرة]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنُ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^١.

المشكلة: إن الناس لا يعدون هذه الصفات الخمس إيجابية بل يعدونها نقصًا وغفلة [وَرِعًا .. قَنَعًا .. أَحَبَّ لِلنَّاسِ .. أَحْسِنُ جِوَارَ .. أَقِلَّ الضَّحِكَ].

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل ترى تصدير النبي ﷺ هذا الحديث باسم أبي هريرة رضي الله عنه **صُدْفَةً** أم حكمة ربانية؟! هل يستحق أبو هريرة رضي الله عنه أن يثبت النبي ﷺ اسمه في الحديث شكرًا له على روايات الحديث، وتوثيقًا، كم حديثًا روى أبو هريرة ولم يثبت اسمه إلا نادرًا وهي المواضع التي أثبت فيها اسمه رسول الله ﷺ ... ولو كان من عنده **لأثبت اسمه** أضعاف أضعاف ذلك ... أليس كذلك؟! ثم ألا ترى أن الرسول ﷺ رفع له أعلى المقامات، وربط الأمر لأبي هريرة ببلوغها ألا يعني أن أبا هريرة قد بلغها وأنه أهلها، وأن أبا هريرة هو الراوي القدوة فيما رواه عن رسول الله ﷺ؟!!

١ رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧) واللفظ له، وفي الزوائد: إسناده حسن، وأحمد في المسند (٢/ ٣١٠)، وصححه الألباني.

وهل يعتقد إنسان **أنَّ** الخطاب هنا خاص لأبي هريرة رضي الله عنه .. وهل يجوز أن تفهم هذا الفهم؟! إنها دعوة الأمة ليعظم طموحها، وتتسابق إلى معالي الأمور وخصوصاً بعده، أوليس كل المقامات العلية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم تبلغ بعمل وليس بدعوى ولا بقول؟!!

الحديث المائة وسبعة: المفتاح: [فَاعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ]

الحادثة والحديث:

عَنْ سَعْدِ بْنِ الْأَطْوَلِ، أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، وَتَرَكَ عِيَالًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْفِقَهَا عَلَى عِيَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدَيْنِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَدَيْتُ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ، ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «فَاعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ»^١.

المشكلة: أن الأصل عند الناس في المؤمن اليوم هو الكذب في الدعاوى المالية!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هكذا قطع النبي ﷺ بحقها ... فانتهدت قضية قائمة في الدنيا وأخرى في الآخرة؟!
فكم في هذا القطع من خير حتى لو لم يكن ﷺ قطع بالوحي؟!
أليس الواجب أن يتحمل المسئول أو الدولة الدين من صندوق الأجيال، أو بيت
الزكاة، فالنبي ﷺ قَدَّمَ سداد دعوى الدين على الإنفاق على الأيتام والأرملة.

١ رواه ابن ماجه (٢٤٣٣) وفي الزوائد: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

الحديث المائة وثمانية: المفتاح: [تَجَوَّزُوا عَنْهُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرَ، قَالَ: كُنْتُ أَدَايْنُ النَّاسَ فَأَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ»^١.

المشكلة: في المؤسسات الربوية في هذا العصر

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل يقول قائل أن خطاب النبي ﷺ يقصد به عصره أكثر منا وعموم اقتصاد العباد والبلاد اليوم قائم على الربا، وعلى عدم التيسير عند التأخير أليس كذلك؟!!

أليس نظام الربا الأساسي بمضاعفة الربا على المعسر على قاعدة: [أنظر وزد]؟!!

أليس العمل بالتيسير سبباً لتيسير الله، وقاعدة عظيمة في [الجزاء من جنس العمل]؟!!

١ إنظار المعسر: إمهاله، والتجوز عن الموسر التجاوز عنه والتسامح معه.

٢ رواه البخاري - الفتح ٤ (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

الحديث المائة وتسعة: المفتاح: [كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: «أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ^١، وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ^٢ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^٣.

المشكلة: عدم التعاون على أداء الواجب

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس وقاية مشكلات الحقوق بالتزام وصية رسول الله ﷺ؟!!

لماذا ختم النبي ﷺ أداء الحقوق بالإصلاح بين المسلمين؟!!

أفضل الأمة هم أولى الناس بأداء الحقوق .. فمن أفضل من المهاجرين والأنصار ﷺ

أجمعين؟

ألا يعني هذا أن أسوأ الأمة هم من لا يؤدون للناس حقوقهم بناءً على مقاماتهم

الموروثة أو سلطتهم هم وعوائلهم؟!!

١ يعقلون معاقلهم: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها والمعاقل الديات جمع معقلة. (انظر النهاية ٣ / ٢٧٩).

٢ العاني: الأسير.

٣ رواه أحمد (٢٤٤٣)، وصححه أحمد شاكر.

الحديث المائة وعشرة: المفتاح: [فَغَفَرَ لَهُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»^١.

المشكلة: إلقاء الأشواك في طرق الناس

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

من أحق بهذا الحديث منا نحن أهل هذا الزمان وأهل الطرق، وزحمة العالمين
والركبات و.....؟!!

أم أن البعض يمكن أن يقتصر المغفرة على رفع غصن الشوك دون سواه!

ألا يدل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صنع من المسلم شخصية عالمية بمجرد اتباعه دينه، وأنه
إنسان مصلح ما دام ثمة طرق، وممتلكات عامة، وبشر، وحيوان، ونبات وما يتعلق بهذا من
فضاء وماء وهواء؟!!

ألا يدل هذا على ما هو أكبر بكثير من غصن الشوك مثل تلوث الفضاء الذي يهدد
الحياة كلها؟!!

١ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٤٧٢)، مسلم (١٩١٤) متفق عليه.

الحديث الحادي عشر بعد المائة: المفتاح: [صَوْتُ خُصُومٍ بِالْبَابِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتَهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ؟.

المشكلة: الحيلولة باسم الله عن فعل المعروف!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ألا ترى أن من الواجب أن تُسهّل طرق وصول المظلوم وصاحب الحق إلى حيث ولي الأمر أو من ينوب عليه .. فهذه ليست المرة الأولى التي يسمع فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصومة أو جلبة بباب بيته فيخرج إليهم؟

ألم يكن حَلَّ المشكلة هنا: بأن لا حكم للغضب ولا عِزَّةَ للنفس في الباطل وإن أقسم .. فالمعروف أقوى وأبقى وأولى؟

١ يستوضع: أي يطلب منه أن يضع ويسقط من دينه شيئاً، ويسترفقه أي يطلب منه أن يرفق به في التقاضي.

٢ أين المتألي على الله؟: أي الخالف المبالغ في اليمين مشتق من الألية وهي اليمين.

٣ لا يفعل المعروف: يعني أين الذي حلف بالله أن لا يصنع خيراً.

٤ فله أي ذلك أحب: هذا من جملة مقول المتألي، أي: فلخصمي ما أحب من الوضع أو الرفق.

٥ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧) واللفظ له.

إذا عَظَّم المتخاصمون الله ﷻ رجعوا مباشرة نادمين معوّضين فقال: «أَيْنَ الْمُتَأَلِّي»
عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟»

ألا ترى أن تعظيم في قلوب المؤمنين كفيلاً بتخفيف العبء على القضاء، والقضاء على
الخصومات في مهدها إلا ما ندر؟

إذا أطفأ رسول الله ﷺ غضب هذا الرجل بكلماته الكريهات العظيمة وانتهت
الخصومة فمن يطفئ المواقد الجاهزة، والفتائل المعدادة، التي تنفجر وسط أصغر الفتن
وتستزق عليها، وعلى تكبيرها، وعلى الأخص مكاتب المحاماة، ووسائل الإعلام وما إلى
ذلك؟!!

فهل من قياس ما بين رجل حَلَفَ أن لا يتنازل وبين مؤتي مكاتب المحاماة على مستوى
البلد الصغير بل آلاف عماد عملها التقدير والنفخ والاحرار والتطويل والابتزاز وما إلى
ذلك؟!!

١ أين المتألي على الله؟: أي الحالف المبالغ في اليمين مشتق من الألية وهي اليمين.

٢ لا يفعل المعروف: يعني أين الذي حلف بالله أن لا يصنع خيراً.

الحديث الثاني عشر بعد المائة: المفتاح: [على كل مسلم صدقة]

الحادثة والحديث:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالَ: قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»^١.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»^٢.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»^٣.

المشكلة: دعوى العجز عن أي قضاء

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

سبحان الله كيف جعل الله سعادة النفس بالعطاء لله!؟

١ الاعتدال: افتعال من العمل وتدلل هذه الصيغة على بذل الجهد والمشقة في العمل.

٢ رواه مسلم (١٠٠٨).

٣ كل معروف صدقة: أي ما عُرف فيه رضا الله فثوابه كثواب الصدقة.

٤ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥) متفق عليه.

٥ طلق: رُوي طلق على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، وطلب، ومعناه: سهل منبسط.

٦ رواه مسلم (٢٦٢٦).

سبحان الله أبلغ الأمر بالصدقة لمن لم يجد أن «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»؟!!

أي وصف يبلغ أن يصف حال هذا المجتمع الذي يجعل حلَّ مشكلة المعدم بأن

يتصدق؟!!

ألا يشمل قول النبي ﷺ «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» ذاك الرَّجُلَ المشلول

الرَّجُلِينَ أو مقطوع القدمين أن يعمل بيديه بالأجهزة الحديثة، وأعمال التقنية، ومنها أعمال

صناعية، واتصالات، وأعمال مالية، وهي كثيرة جداً، وأرزاقها وفيرة جداً؟!!

ألا يدخل فيها أعمال يمكن أن تُؤدَّى بلمس الشاشة أو بنظر العينين أو أن تكون

اليدان مقطوعتين، لكن الرَّجُلِينَ تَعْمَلَانِ، فيتوظَّف بعمل الرَّجُلِينَ على الأجهزة الحديثة ..

ويكون هذا داخلاً في قول المصطفى ﷺ: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ»؟

١ الاعتمال: افتعال من العمل وتدل هذه الصيغة على بذل الجهد والمشقة في العمل.

الحديث الثالث عشر بعد المائة: المفتاح: [مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكَم بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^١.

المشكلة: أن لا يقدر الخلق الله ﷻ حق قدره!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى أن الأساس في كل الأعمال المذكورة إنما هو تعظيم الله رب العالمين؟! فتعظيم الله يثمر عملاً عظيمًا، واستجابة فورية لا تقبل التأخير.. ألا ما أعظم حرف الفاء في كل استجابة [فأعيدوه.. فأعطوه.. فأجبروه..]

ألا ترى كيف حلَّ النبي ﷺ مشكلات هؤلاء الثلاثة؟!!

المسلم ملاذ، والأمة ملاذ.. فهؤلاء الثلاثة يُعْطُونَ قبل التحقق، وعلى الأخص المستعيز والسائل والمستجير.. ألا يجعل النبي ﷺ من خلال هذا الحديث البحث عن المسلم عن هؤلاء أفرادًا كانوا أم بلدانًا مطلبًا قبل أن يطلبوه؟!!

١ رواه أبو داود (٤٨١٣)، والنسائي (٨٢ / ٥) واللفظ له، وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي (٢٤٠٧) وهو في الصحيحة (٢٥٤). وصححه أيضا محقق «جامع الأصول».

ألا ترى كيف صنع ﷺ في المؤمن طبعًا، بل أحياناً فطرة وهي مكافأة المعروف بكل طريق .. فإن انقطعت الأسباب عن تحقيق ذلك، فالدعاء الدعاء حتى تعلم أنك قد كافأته .. حتى ترضى أنت، وتعلم بتعليم الله لك أن الله استجاب لك في هذا المحسن؟

سبحان الله: ألا ترى كيف أن الكثيرين يتمنون أن لا يُردَّ إليهم معروفهم الذي صنعوه رغبةً في مواصلة الدعاء لهم؟! أرايت حلاً للطمع والأناية مثل هذا الحل العجيب للنفس، وللمحسن، وللمجتمع؟!!

الحديث الرابع عشر بعد المائة: المفتاح: [جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّنَاءِ»^١.

المشكلة: الإعراض عن شكر المعروف! وكيف سهله النبي ﷺ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى كيف أصبح فاعل المعروف يجب هذه الكلمة لما فيها من إحالة طلب مكافأة المحسن على الله .. وأن الله إذا أعطى بالغ في العطاء، ولذا ختمت [فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّنَاءِ]؟!
ألا ترى أن المعروف أيًا كان فهو معروف الحدود إلا دعوة هذا الداعي لا حدود لها ... هكذا رفع طلبها إلى الله [خَيْرًا]، والتنوين هنا للإطلاق بغير حدود؟!!

١ رواه الترمذي (٢٠٣٥) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن جيد، قال محقق جامع الأصول (٢ / ٥٥٨): إسناده قوي، وصححه الألباني.

الحديث الخامس عشر بعد المائة: المفتاح: [ما قُلْتُمْ؟]

الحادثة والحديث:

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدِ السُّلَمِيِّ قَالَ: أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَتِلَ أَحَدُهُمَا، وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَهُ بِجُمُعَةٍ، أَوْ نَحْوِهَا، فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قُلْتُمْ؟» فَقُلْنَا: دَعَوْنَا لَهُ، وَقُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَالْحَقُّهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ، وَصَوْمُهُ بَعْدَ صَوْمِهِ؟ - شَكَّ شُعْبَةٌ - فِي صَوْمِهِ، وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ، إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^١.

المشكلة: مشكلة المفاهيم الخاطئة وطريقة تصحيحها

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

سبحان الله كيف بيّن النبي ﷺ أن المشكلة في عدم فهم الناس لموضوع الإنتاج وأهميته، لهذا قال النبي ﷺ بعدما ذكر صيامه: «وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ»، والأصل في هذه العمل الصالح؟! **أليس** الجهاد والشهادة إنما هي لإدامة الحياة الصالحة القائمة على العمل الصالح؟! سبحان الله ألا ترى أن من نعم الله العظيمة التي تقتضي حرص المؤمن عليها هي الصحة والعافية، والقوة، وأن المسلم ينبغي أن يأخذ بأسبابها على الدوام في طعامه وشرابه وممارسة تدريبات رياضية دائمة ... وذلك لأنه غيرها لن يكون منتجًا، بل ولا مجاهدًا فهي وقود الإنتاج؟! **!**

١ رواه أبو داود (٢٥٢٤) واللفظ له وقال الألباني (٢٢٠٢): صحيح، وأخرجه النسائي (٧٤ / ٤)، وأحمد (٥٠٠ / ٣).

أليس هذا هو مقتضى الحديث هذا وغيره .. أليس هذا هو صبغة المجتمع المسلم ..
ألا يصبح الأكل والشرب والتدريبات بهذه النية عبادة .. فالحياة كلها بنومها وأنسها عبادة؟!!

الحديث السادس عشر بعد المائة: المفتاح: [ليس له حاجة في الدنيا]

الحادثة والحديث:

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء، فرار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان فم الآن، فصلياً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»^١.

المشكلة: الرهينة في الإسلام .. وكيف قضى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أليس صدق الإخاء، والمناصحة، والتواصي، والتقبل هو سبيل حل المشكلات الذي

شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!

أليس المشكلة إن الكثيرين عندنا لا يحسبون أن الصحابة بلغوا هذا الفهم لأهمية

الحياة؟!!

١ رواه البخاري (١٩٦٨).

ألا تعجب لجرأة سلمان رضي الله عنه و يقينه، وأمره أخاه بالإفطار، وترك الصوم، وأمره إياه بالنوم وترك القيام؟!!

كم تحتاج المجتمعات لرجال مثل سليمان رضي الله عنه يضبطون بوصلة العبد، ويفهمون الفهم الصحيح وينشرونه، ويوسعون دائرة العبادة حتى تشمل الحياة وأبعادها، ويقامون دغدغة **الرهينة** للقلوب ... ويعيدون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم الحقيقة العملية ويزيلون المظهرية الخداعة..؟! **أليس** هذا هو ما **صَدَّق** عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»؟! وإني والله لأرجو أن يكون ثمرة هذا الكتاب تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم له **وعليه، والله ذو الفضل العظيم.**

وكم نحتاج إلى ناصحات مثل أم الدرداء رضي الله عنها وإلى رجال مثل أبي الدرداء يتبعون الحق فوراً ولا يجادلون أبداً، أليس **في** هذا **[كيف حل النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة الرهينة ففضي على كل صورها]**؟

الحديث السابع عشر بعد المائة: المفتاح: [وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ

مِنَ الْمَعْرُوفِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدُّرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ مَحِيَّةَ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةَ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَائِةٍ - فَضَلَّتْ رَاِحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسْبِنَنَّ أَحَدًا»، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تُحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيَلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيَلَةَ، وَإِنْ أَمْرٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ»^١.

المشكلة: أن لا نتحمل عهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ رواه أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني (٧٧٠ / ٢): صحيح، والترمذي (٢٧٢٢)، وأحمد (٦٣ / ٥) جامع الأصول (١١ : ٧٤٦) واللفظ له، وقال

محققه: صححه ابن حبان في الموارد: إسناده صحيح.

ألا ترى كيف انطلق رسول الله ﷺ في دعوته مع هذا الرجل من واقعه، وبأسلوبه الذي يتقبله، وبأدلة هي التي تقنعه وتدخل قلبه وهي التي يشاهدها ويحتاجها .. ألا ترى كيف استجاب؟!

ألا ترى كيف أن السائل سأل رسول الله ﷺ عن نفسه فانطلق رسول الله ﷺ معرفاً بربه ﷻ لا بنفسه هو، وهكذا هو تعظيم الله الذي يذهل العارف بالله عن نفسه حتى لو كان هو رسول الله ﷺ، بل من يعرف الله معرفة رسول الله ﷺ؟

[اعْهَدْ إِلَيَّ]، بل اعهد إلينا يا رسول الله ... إنها عهدة لكل قارئ وكل مسلم من المسلمين لقد ذهبت [أَبِي جُرَيْجٍ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبقيت عهدته كنزاً لكل مسلم من المسلمين إلى يوم القيامة، أليس الواجب أن نتحملها، بعدما نفهمها حق الفهم الوسط؟

الحديث الثامن عشر بعد المائة: المفتاح: [فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ مُحِبٌّ]

الحادثة والحديث:

عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ مُحِبٌّ»^١.

المشكلة: أن نحدد هذه العملية بين اثنين فقط .. كما في ظاهر الحديث

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس عدم توثيق المحبة في الله مشكلة حقيقية وإن كانت محبة قلبية؟

أليس الإخبار تعاهداً على الحب، واستمراراً في سقاء الحب، وحسن ظن وتواصياً؟

ألا ترى كيف **صَوَّرَ** الحديث **الحب** عند ولادته من فم الحق المبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورته بين صحابي وآخر فقط ... وكيف يتراءى لك أن الأمر باقٍ في مهده لم يكبر، وأن البذرة ستبقى بذرة إلى يوم الدين ...؟

أليست الحقيقة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب الأمة بكاملها على حدٍ سواء .. آخرها كأولها سواء بسواء .. بل هو الوالد والوالد أحرص ما يكون على أبنائه الذين غابوا عن عينيه ... لقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الأساس وهم الجذر العظيم للشجرة التي بلغت عنان السماء ..؟

١ رواه أبو داود (٥١٢٤) واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٣) وقال محقق جامع الأصول (٥٤٨/٦) واللفظ له: إسناده صحيح، ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (٥١٣) وقال: حديث حسن، قال الألباني في سلسلة الصحيحة (٧٠٣/١): صحيح.

أليس توثيق المحبة في كل مجتمع بحسبه، وبطرقه الجديدة المناسبة الصادقة ... أليس الإخبار بالمحبة سوف يأخذ ميداناً أوسع بكثير من محبة في الله بين اثنين؟! ألا يعني هذا أن الرسول ﷺ إنما يريد ذلك بالنسبة لنا، وأنه يريد أن يشد وثاق مجتمعاتنا الكبيرة العظيمة بأعظم وثاق .. وثاق المحبة في الله من قلوب صادقة .. حتى تكون النسبة أنها كلما كبرت المجتمعات زادت قوتها لمزيد المتحابين في الله أليس كذلك؟

الحديث التاسع عشر بعد المائة: المفتاح: [أقيموا الصفوف]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَازُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْحُلُلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ^١ - لَمْ يَقُلْ عَيْسَى بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ - وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»^٢.

المشكلة:

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى ما ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث من أمور **دلالة على أن الصلاة هي قدوة الحياة**، وأن حياة هذه الأمة كلها في الصلاة، وأن صلاح الصلاة صلاح الحياة كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وكما قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^٣.

[أقيموا الصفوف]: فكم يحتاج الناس اليوم في حياتهم أن يصطفوا وأن يقيموا

صفوفهم!؟

١ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: مَعْنَى «وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ»: إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُلَيِّنَ لَهُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ.

٢ رواه أبو داود (٦٦٦) وقال الألباني: (١/ ١٣١) ح (٦٢٠): صحيح.

٣ رواه الطبراني في الأوسط (١٨٥٩)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (١٣٥٨).

[وَسُدُّوا الْخَلَلَ]: كم في صفوفنا من خلل، وكم دخل من هذا الخلل المتربص، بل كم

عبر من هذا الخلل من سادة وسيدات؟!!

[وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ]: لا عُنْفَ على الأخ بل كما قال الله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

﴿ [المائدة: ٥٤] كم نحتاج إلى المؤمن الهين اللين، القريب الودود الذي يألف ويؤلف .. كيف

واللين مطلوب إذ هي الصلاة، وعظمة الوقوف بين يدي الله ﷻ؟!!

وهل يصعب علينا الآن فهم ما تبقى من الحديث، وما أعظم ما تبقى: [وَلَا تَذَرُوا

فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ]، و [وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ]؟

أليس هذا هو الفهم الذي يجب أن نفهم عليه ... وألا كيف يستقيم أمر المسلم

وتستقيم حياته إذا كان في الصلاة على خلق، ثم إذا خرج منها ناقضها، وكان كالتي نقضت

غزلها من بعد قوة أنكائها؟!!

الحديث العشرون بعد المائة: المفتاح: [فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتُهُ فِيهِ».

المشكلة: انقطاع الزيارات في الله إلا من رحم في هذا الزمان

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هل ترى أن هذا المَلَك كان لذلك الرجل وعلى مدرجة تلك خصيصًا، والآن ذهب مع ذهاب ذاك الرجل وخواء تلك القرية على عروشها ... أم أنه باق إلى يوم القيامة ما زار مسلمٌ مسلمًا، قربت المسافة أم بعدت .. وأنه للأمة العظيمة وللأرض برمتها كما هو للقرية الصغيرة والله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿ مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]

١ فأرصد: أي أفعده يرقبه.

٢ على مدرجته: المدرجة هي الطريق. سُمِّيَتْ بذلك لأن الناس يدرجون عليه. أي: يمضون ويمشون.

٣ ترُبُّها: أي تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

٤ رواه مسلم (٢٥٦٧).

توصيل القرى بالمدن فيها يحلُّ مشكلات كثيرة، وعمارة القرى دون نقلها إلى المدن،
وتكبير القرى، وتعبيد الطريق، وزيادة قيمة أراضيها، وزيادة المستوى العلمي للقرى، وزيادة
إيجاد العلماء من أهلها ..؟!!

أوليس في العادة أعظم ما يمكن تبادله من أحاديث بين اثنين هو أوضاع هذه القرية
عن الأخرى، وأوضاع هذه المدينة عن القرية الأخرى؟!!

الحديث الحادي والعشرون بعد المائة: المفتاح: [أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأَوْلَى وَالْآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ»^٢.

المشكلة: العداء بيننا وبين أمة النصارى.

مفتاح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

فهل يجوز أن تبقى مشكلة بين الأمتين ... أليس هذا يعني أن إرث عيسى ﷺ آل إلى رسول الله ﷺ خاصة، كما آل إليه إرث جميع الأنبياء ﷺ؟!!

أليس في هذا تنبيه عظيم من رسول الله ﷺ لأمته أن يستوعبوا النصارى ويخصوهم بمزيد من البر، والقسط، والرحمة، والتعاون، والإشراك، لأنهم أقرب إلى الهدى، وأنهم **الأقرب زماناً**، ولئلا يتخطفهم اليهود، فإنهم إن تخطفوهم استخدموهم لضربكم وإذلالكم .. أوليس هذا هو ما كان وما هو كائن اليوم؟!!

١ أولاد علات: قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان. قال جمهور العلماء معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة؛ فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.

٢ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٤٤٣)، مسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

ألم تكن النبوة السابقة على هذا الفهم عند أهل الإسلام عامة من مؤلفين وخطباء
ووعاظ **وَمُرَبِّينَ** هو التركيز على البراء بمفهومهم **هُمُ** ... لا بالذي جاء به رسول الله ﷺ ..
معتمداً على الاجتزاء من الأدلة. فكان ما رأينا؟! وما نحن فيه اليوم؟!

الحديث الثاني والعشرون بعد المائة: المفتاح: [انصُرْ أَخَاكَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا نَصْرُهُ مَظْلُومًا، فكيف نَنصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»^١.

المشكلة: هو أخذ هذا

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

- سبحان الله كيف حلَّ رسول الله ﷺ كل مشكلات الناس في هذا الباب مع إبقائه على المصطلحات التي يعتزُّ بها الناس ويستمسكون بها إلا أنه حَوَّلَ مفهومها ... فصلى الله وسلَّم على رسول الله.
- ألا ترى **وجوب** توسع تطبيق هذه المنهجية اليوم بمقدار توسع الأمة، وتعدُّد دولها ومدنها، وعشائرها، وقراها، وأسرها وأفرادها .. فأغلب الناس اليوم ما بين ظالم ومظلوم!
- هل أبقى النبي ﷺ مشكلة مستمرة إذ كل واحدٍ في الأمة يحمل أمرًا من النبي ﷺ بالنصرة بهذه الطريقة لأخيه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ ﴾ [الحجرات: ١٠] **فبالأخذ بها يتحول كل مسلم إلى مصلح .. أليس كذلك؟**

١ تأخذ فوق يديه: أي تمنعه من الظلم.

٢ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٤٤٤) واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٨).

الحديث الثالث والعشرون بعد المائة: المفتاح: [وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَّاءَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَّاءَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»^٣.

المشكلة: الزور والبهتان في الشهادة والمحاماة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

- كيف أوقف رسول الله ﷺ قضاءه بعدما أصدره، ومن يستطيع؟! إنه هو نفسه أوقفه، فقال: «فَلَا يَأْخُذْهُ»، في حياته. فماذا يعني هذا؟!
 - ألا يعني هذا أنه ﷺ أوقف كل قضاء، وحكم كل قاضٍ قضى باسمه وعلى ملته مادام **ظُلْمًا**، وذلك بعد موته إلى يوم القيامة، فليس ثمة مشكلة فالموضوع لا ينتهي بقضاء قاضٍ... إنما بأمر رسول الله ﷺ الذي تعقب كل قضاء قاضٍ... لأنه ﷺ **خَصْمُهُ**، وله قطعة النار بقدر قضيته التي قضى بها.
- أليس هذه هي أصغر صورة لقوله ﷺ: [وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَّاءَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ] واستحقت هذا الحديث وهذا التهديد المرعب... فكيف

١ الحن: أبلغ وأعلم بالحجة.

٢ فإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ: أي إن قضيت له بظاهر يخالف الباطن فهو حرام يؤول به إلى النار.

٣ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٦٨٠)، مسلم (١٧١٣) واللفظ له.

٤ الحن: أبلغ وأعلم بالحجة.

ورسول الله ﷺ إنما يتحدث من خلال هذا الحديث لأمته كافة؛ إذا فأين هذه الصورة الفردية في لحن القول من المؤسسات التخصصية لدراسة القانون والمحاماة التي **تُعَلِّم** الطلاب قلب الحق باطلاً والباطل حقاً، **ذلك أن معتمدها هو أعظم باطل في الوجود وهو الدستور الوضعي**، كيف وأعداد مكاتب المحاماة في دولنا أكثر من أي مكاتب .. لما فيها من دخلٍ عالٍ ... كيف واللحن أصبح دراسة وعلماً، والشهادة أصبحت بالمال و**لحون الحجج**؟! • وماذا تعني محكمة العدل الدولية إلا صكاً بيد الأقوياء لاستعباد البلاد وإذلال أمة محمد ﷺ وأبطالها خاصة؟!!

الحديث الرابع والعشرون بعد المائة: المفتاح: [وإِلَّا رَجَعْتُ عَلَيْهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعْتُ عَلَيْهِ»^٢.

المشكلة: التساهل في التكفير

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ألا ترى كيف حلَّ رسول الله ﷺ مشكلة الانفلات هنا؛ ألا ترى أنه لا يُعذَّر أحد بإطلاق هذا اللفظ غضباً ولا مزاحاً؟! بابٌ أغلق ولا يخرج من دخله أبداً، والمعتدي يتحمَّل عقابه الفوري.

ألا كيف سخرَّ أعداد الإسلام أصحاب التكفير في تكفير بلدان فأسقطوها وعلماء فنبذتهم الأمة، وكذا قادة مسلمون عدول **فكفروهم** وعادوهم؟

ألا ترى أننا نركز في التكفير على بعض المسلمين بينما ننسى محطات فضائية ومؤسسات إعلامية رسمية تصدح بتكفير مسلمين لا شك في إسلامهم وغيرتهم وجماعات مسلمة **كذلك** ومع هذا لا **تُعدُّ** هذه المحطات والمؤسسات الإعلامية من أصحاب التكفير ... فأأي ميزان هذا؟!

١ باء بها: التزمها ورجع بها.

٢ رواه البخاري - الفتح ١١ (٦١٠٤)، مسلم (٦٠) واللفظ له.

الحديث الخامس والعشرون بعد المائة: المفتاح: [لَكَ صَدَقَةٌ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْهِيكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَةَ وَالْعِظَمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^١.

المشكلة: تقديم العبادات القاصرة على النفس على العبادات المتعدية

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

ماذا لو مارس كل واحدٍ من أتباع رسول الله ﷺ «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»، فكم ستحل مشاكل غير مرئية وأخرى مرئية فعلية؟ بل كم **قد** حُلَّتْ؟

«وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْهِيكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»: كم ستحفظ الأمة لو كل واحدٍ قام بهذا الواجب حسب علمه وقدرته...؟! إنه تنبيه فقط.

«وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ»: هل يمكن أن تتصور من هؤلاء، ومن في حكمهم في هذا الزمان... وكم هي ضرورة بالنسبة لهم؟

«وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ»: إن هذا يساوي إنقاذاً، وأحياناً يساوي

الحياة.

١ رواه الترمذي (١٩٥٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (٥٦١/٩): وهو حديث حسن، وصححه الألباني.

«وَأَمَّا طَبَّكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ»: فكم هي الصور الحديثة

للأذى على الطرقات؟!!

وكم يدخل هذا في العمل على سلامة الطرق الجوية وكذا البحرية؟

«وَأَفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»: هل تصورت الطوابير الطويلة في

أرض الجفاف على عين ماء واحدة تحيط بها قرى هنا وهناك .. فكم يساوي عند الله هذا الذي

ذكر في الحديث؟ أليس في هذا إنقاذ لهؤلاء جميعًا بإنشاء مشاريع مياه لتلك الأماكن في العالم؟!!

الحديث السادس والعشرون بعد المائة: المفتاح: [تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا^١ هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^٣.

المشكلة: التماذي في المخاصمة والإصرار عليها.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس الواجب المفترض أن يبقى المسلمين ينتظرون تفتح أبواب الجنة بشغف كي يصطلحوا .. أليس الواجب أن يوقَّت الإصلاح بين الدول المتخاصمة على هذا التوقيت .. وهكذا القبيلتين والعائلتين والمجموعتين.

ألا ترى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل كل خصومة في أمته التي لا تشرك بالله شيئاً ميتة؟

١ شحناء: أي عداوة وبغضاء.

٢ أنظروا هذين: أي أخرجهما.

٣ رواه مسلم (٢٥٦٥).

الحديث السابع والعشرون بعد المائة: المفتاح: [فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ^١ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِحَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ^٢، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: فَقَالَ مَرَّحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ^٣، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِحَازِنِهَا: افْتَحْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ حَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ حَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: فَفَتَحَ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدَ وَجَدَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرَّحَبًا بِالنَّبِيِّ

١ الطست: يفتح الطاء وكسرها إناء معروف للغسل.

٢ أسودة: جمع سواد. كقذال وأقذلة، وسنام وأسنمة وزمان وأزمنة. وتجمع الأسود على أسود، قال أهل اللغة: السواد الشخص. وقيل: السواد الجماعات.

٣ نسَم بنيه: نسَم جمع نسمة وهي نفس الإنسان، والمراد أرواح بني آدم.

الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِعَيْسَى، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عَيْسَى ابْنُ مَرِيمَ، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي حَمْسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَّرَ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: فَرَا جِعُ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَا جِعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَا جِعُ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَا جِعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ حَمْسٌ وَهِيَ حَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَا جِعُ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أُدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^٣.

المشكلة: أن هذه الرحلة لم تأخذ حقها بمنظار أهل هذا الزمان

١ صريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة، قال الخطابي: هو صوت ما كتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ.

٢ جنابذ: هي القباب واحدها جُنْبَذَةٌ.

٣ رواه البخاري - الفتح ١ (٣٤٩)، مسلم (١٦٣) واللفظ له.

الانطلاقة

ألا ترى أن هذه هذ رحلة القيادة على مستوى التاريخ كله والأمم كلها؟!!

فلنحلّ كل إشكال مع جميع الأقوام... تعالوا ولنرحل مع رسول الله ﷺ ولننظر أين

مقام الأنبياء ﷺ.. ثم لنقرّر عن علم!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل انتبهت إلى الوصف الملازم لرسول الله ﷺ وإن اختلف اسمه فوصفه عند الجميع

هو [الصالح] مع أن آدم قال: الابن، وكذا الخليل ﷺ: الابن، والآخرون ﷺ قالوا: الأخ،

إلا أن الجميع اتفقوا وقالوا: [الصالح]، فهو الصالح لأنها تتضمن معنى المصلح... الذي

سوف يصلح الدنيا، وهل إصلاحها إلا بحل مشاكلها في جميع عصورها إلى يوم القيامة متى

ما رضيت بحلّه، ولا بد أن ترضى وإن حزنت هذه الأيام.

الحديث الثامن والعشرون بعد المائة: المفتاح: [أثر يدُ الحجّ]

الحادثة والحديث:

عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتْرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمُرءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»^١.

المشكلة: قلة الاكتراث بالدعاء في ظهر الغيب

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

هل تؤيد هذا الذي كتبتة على هذا الحديث من زمن:

لم تحبّه بدعاء معين، لكن المعنى ادع لنا كما تحب لنفسك ... فهذا أكثر ضماناً لك مما لو دعوت لنفسك.

ألا ترى جعل النبي ﷺ الوقاية من المشكلات بدعاء الأخ لأخيه في الحج .. وهكذا كل شيء.

ولم يضيق الأخ على أخيه وهو هنا مفوض الأمر إلى الله ﷻ فهو علام الغيوب.

١ رواه مسلم (٢٧٣٣).

هكذا يحضر الأخ عند الغياب، وتكون صلة إذ لا زيارة، ولا وليمة، ولا اقتراب، ولا سلام .. هكذا هو النبي ﷺ فإنه إذا حَلَّت المحبة وحضرت ذهبت كل المشكلات وسوء الظنون وتبخرت.

وإن هذه الوصية لن **تَقْبَل** إلا التنفيذ لأنها وصية، وهذه الدعوة لن **تَقْبَل** إلا الإخلاص لأن الله سبحانه **مُطَّلَعٌ** على القلب، ثم إن الداعي يريد لنفسه. ما أسعد أبا الدرداء إذا حضر بزوجه ووصيتها بل غنيمتها.

الحديث التاسع والعشرون بعد المائة: المفتاح: [لأن يمنح الرجل أخاه أرضه]

الحادثة والحديث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَأَنْ يَمْنَحَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَرْضَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا خَرْجًا مَعْلُومًا»^١.

المشكلة: احتكار الأراضي

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كم من مشكلة حلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا:

فبهذا صلحت أرض، اكتفى فقراء، اكتفت عوائل محتاجة، تسارعت حركة الإنتاج، أكل الطير والبهيمة والإنسان، أخرجت الزكاة، تطهّرت الأجواء، تحرّك المال فلم يصبح دولة بين الأغنياء منكم، وطابت النفوس بالإنفاق، قلّت التكاليف وتوفّرت السلع وانخفضت الأسعار، وأخيرًا ألسنا محتاجين اليوم لمنح الأراضي ممن تجمّدت عندهم الأراضي فأصبحت لهم ولذرائعهم إرثًا بعد إرث.

فكيف إذا كانت الأراضي البور ليست لأحدٍ إنها هي مشاعة ومحبوسة، وتمثّل في بعض البلاد أكثر من ثمانين بالمائة؟! ويأتي الحاكم تلو الحاكم والأراضي اليوم كما هي .. ومحافظتهم على الأرض الخراب أكثر من تدميرها .. إنها حراسة الخراب وإرث الخراب.

١ رواه مسلم (١٥٥٠).

الحديث الثلاثون بعد المائة: المفتاح: [مَهِيمٌ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَأَخَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ^١، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَهِيمٌ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟»^٢ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «فَمَا سُقَّتَ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزَنَ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^٣.

المشكلة:

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس برعاية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انحلت مشكلة عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانحلت مشكلات كثيرة وانفتح الطريق أمام المسلمين، وانسحب الاقتصاد من أيدي اليهود، واكتفى المسلمون ذاتياً، وكونوا أعظم دولة، وعمادها الاقتصاد القوي، وجهّزوا الجيوش، وتكاثروا وتكافلوا...

١ وضر من صفرة: الوضر: الأثر من الصفرة والحُمرة والطَّيب.

٢ مهيم: كلمة بيانية معناها ما أمرك؟ وهي كلمة يستفهم بها والمعنى: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى به لطخاً من طيب له لون، فقال له: «ما حالك؟ وما شأنك؟» فأخبره أنه تزوج وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

٣ رواه البخاري - الفتح ٧ (٣٩٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٤٣٧)، وهو من رواية عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أيضاً عند البخاري - الفتح ٤ (٢٠٤٨).

وهل كان عبد الرحمن إلا رجلاً واحداً من رجال قام عليهم الإسلام العظيم؟!!

الحديث الحادي والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [لَعَلَّكَ تُرَزَّقُ بِهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَخْوَانِ عَلِيٍّ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ^١، فَشَكَاَ الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرَزَّقُ بِهِ»^٢.

المشكلة: في انعكاس مفهوم الكفالة!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هكذا يعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضع المشكلة، وكيف يُحَلُّ بها لا يُتَوَقَّع، وأن حَلَّها في داخل النفس ومعتقداتها.

المشكلة أن الحياة لن تستمر إذا أصبح كل الناس منتجين، ولا كل الناس عابدين.

المشكلة أن يتعامل الناس بقاعدة الخطأ: من لا يُنتج لا يأكل، وأن رزقي لي ولعيالي،

وأن البيوت لا تتسع للضيف، **ولا المستجير**، **ولا من** لا بيت عنده!

فكم من مشكلة حَلَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحلُّ هذه القاعدة إلى يوم القيامة؟!

وهل نتصوّر أن هذا رجلٌ واحدٌ ما مرَّ إلا في هذا الحديث وعلى هذا البيت؟!

وكم تنتشر الجرائم بأسباب السائبين؟!

١ يحترف: أي يكتسب من ههنا وههنا.

٢ رواه الترمذي (٢٣٤٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

ألا يتحول هذا الرجل المكفول في معتقد كالب الرزق إلى كنزٍ مضمون بإذن الله،
فسبحان الله كيف حل النبي ﷺ المشكلة؟! كيف حوّل هذا الرجل من مكفول مكلف إلى أنه
سبب الرزق الذي يجب أن تخاف ذهابه فينقطع عون الله لك، وتذهب البركة في بيتك؟

الحديث الثاني والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [أذهب فادخل الجنة برحمتي]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ هَذَا الْمُجْتَهِدُ: أَكُنْتُ بِعَالَمًا، أَوْ كُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ^١. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ.

المشكلة: والله لا يغفر الله لك!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

- ألم تكن هذه المشكلة الصغيرة قد وُلدت من قبل أحيانًا ورهبانًا جعلوا من أنفسهم أربابًا من دون الله... لذلك **وَأَدَّهَا** النبي ﷺ في مهدها وهو يقصُّ هذه القصة الحقيقية على أمته؟!
- ألم تستعصم اليوم حين صادر أناس من أهل العلم على الناس أنهم ومن على طريقتهم الناجون وأن معتقدتهم هو الحق، وأن فرقتهم الناجية، فأصبحوا

١ رواه أبو داود (٤٩٠١) واللفظ له، وقال الألباني (٩٢٦/٣): صحيح، وأحمد (٣٢٣، ٣٦٣)، وقال محقق جامع الأصول: إسناده حسن وطرف منه عند مسلم (٢٦٢١).

يحكمون ألسنتهم في الفرق الإسلامية الأخرى وفي عامة الأمة بناء على اتباع

عقيدتهم هم .. فهؤلاء هالكون إلى النار وأصحابهم ناجون إلى الجنة؟!!

• ويكفي أن ننظر في الواقع وسوف نعرف كم هي مخالفة هدي النبي ﷺ وترك

حلولة للمشكلات مُكَلِّفة على الأمة!

• فسبحان الله كم قرأنا هذا الحديث وتركناه في فهمنا على أنه بين اثنين ليس إلا

.. وما علمنا أن الله أخبر رسوله ﷺ بكل هذا، وأنه إنما يقصدنا، وأن الأمر

ما عاد هوى ولا استعجالاً .. بل مناهج وأدلة، وقياسات معضلة عليهم

وعلى أصحابهم **المُسْمُونَ** [الفرقة الناجية] وبقية الأمة هم جموع الاثنين

والسبعين فرقة التي هي إلى النار!

الحديث الثالث والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [لا تحاسدوا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا»^١ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^٢.

المشكلة: حين لا يغلق الناس منابع المشكلات الداخلية!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

كل مصادر المشكلات المذكورة في هذا الحديث، إلا أن النبي ﷺ هنا حلَّها كلها بطريقة واحدة قاطعة لا التباس فيها؛ تلك هي النهي الصريح، فهي حرام لا مرأى فيها، وشرٌّ كافٍ لإدخال الناس إلى العذاب، وأنها مفضية إلى مشكلات لا حصر لها، لذا قال النبي ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ».

أليست هذه هي مميزات المجتمع، ومفرقات الوحدة، ومقبرة الأخوة؟!

١ ولا يخذله: قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانتته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي.

٢ ولا يحقره: أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله.

٣ التقوى ههنا: معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بها يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته.

٤ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٤٤٢)، مسلم (٢٥٦٤).

أليست هذه هي **المغروسة** في أغلب البلاد الإسلامية .. كل بلد وجاره بل كل شعب

بلد وشعب جاره .. والأنظمة تغذيها؟

الحديث الرابع والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [على خطبة أخيه]

الحادثة والحديث:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحْتَبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتَيْهَا وَلَا عَلَى خَالَتَيْهَا، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتَيْهَا لِتَكْتَفِيَّ، صَحَفَتْهَا وَلْتُنْكَحْ^٢، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا»؛.

المشكلة: التداخل الفوضوي عدوان.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ألا ترى كيف حوّل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كماً هائلاً من المشكلات العامة والفوضى العارمة إلى الاصطفاف في طابور حقيقي وإن كان غير مرئي، ليأخذ كل دَوْرَه وحقه حسب أولوية وصوله وطلبه!

١ ولا يسوم على سوم أخيه: هو أن يتساوم المتبايعان في السلعة، ويتقارب الانعقاد، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر الأمر عليه بين المتساومين ورضياً به قبل الانعقاد. فذلك ممنوع عند المقاربة لما فيه من الإفساد، ومباح في أول العرض والمساومة.

٢ ولا تسأل المرأة طلاق أختها: معنى هذا الحديث نهي المرأة الأجنبية أن تسأل الزوج طلاق زوجته وأن ينكحها ويصير لها من نفقتها ومعروفه ومعاشرته ونحوها ما كان للمطلقة. فعبر عن ذلك باكتفاء ما في الصيغة مجازاً. قال الكسائي: وأكفأت الإناء كيبته. وكفأته وأكفأته أملته. والمراد بأختها غيرها، سواء كانت أختها من النسب، أو أختها في الإسلام، أو كافرة. والصحفة إناء كالقصعة. وقال الزمخشري: الصحفة قصعة مستطيلة. وقال ابن الأثير: هذا تمثيل لإمالة الضرة حق صاحبيتها من زوجها إلى نفسها، إذا سألت طلاقها.

٣ ولتنكح: بإسكان اللام والجزم: أي لتنكح هذه المرأة من خطبها هي.

٤ رواه مسلم (١٤٠٨).

إننا نَعْجب اليوم بالأمم الأخرى لا صطفافهم في طوابير في مراجعتهم، والانتظام في طلب حاجياتهم اليومية .. بينما الرسول ﷺ ينظم الأمة كلها منذ عهدا الأول ... ليبقى ينظم الأمة حتى يومنا هذا وقد فاقت المليار ونصف المليار .. بل ولو كانت مليارات بإذن الله؟! وإذا كان هدي رسول الله ﷺ قد حلَّ هذه العضلات الكبيرة، أو ليس ما دونها يقاس عليها .. أليس كذلك؟

ألم يحي رسول الله ﷺ بهذا الحل التقوى في القلوب، وأحيا الضمائر وأيقظها، وجعلها تأخذ جانب الحيطة لا جانب العدوان، وذلك حين تكون أكثر هذه الأشياء غير مكتوبة .. وحين يكون القوي هو المتأخر في الخطبة أو في البيعة، ونحو ذلك؟

الحديث الخامس والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [حاضر لباد]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا يَزِيدَنَّ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَنَّ عَلَى خِطْبَتِهِ، وَلَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَكْفِيَ إِنَاءَهَا»^١.

المشكلة:

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أليس القاسم المشترك بين جميع هذه المصادر هي أنها لا تأتي لعمل المشكلة إلا متسترة من ورائها حيلة...؟!

ألا ما أعظم الحيل في هذا الزمان من قبل كبار رجالات السوق و **تجاره** في القضاء على البسطاء الأقدمين في الأسواق؟

ألا ترى اجتماع حيل قوم شعيب في الميزان وغيره وحيل الأقسام الأخرى طوال الزمان قد اجتمعت في هذا الزمان، وأبدع أولياء الشيطان حيلاً لم يحلم بها أحد، وألبسوها أجمل لبوس عياداً بالله؟!

ألا تجد كيف شملهم قول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَيُلِّ لِلْمُطَفِّينَ ١ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ ﴾ [سورة المطففين].

١ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٧٢٣) واللفظ له، ومسلم (١٥١٥).

الحديث السادس والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ]

الحادثة والحديث:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^١.

المشكلة: الخصومة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- ألا ترى كيف حلَّ النبي صلى الله عليه وسلم وفَضَّ الاختصاص بأقوى صيغ النهي، وبما أعطاه الله صلى الله عليه وسلم أعظم حق وهو حق التحليل والتحرير، فقال: «لا يَحِلُّ».
- ألا ترى كيف وَضَعَ صلى الله عليه وسلم حدًّا لمدة الخصام وهي ثلاثة أيام من غير زيادة ساعة واحدة، فالمؤمنون المتخاصمون لا يملكون بعد هذا إلا أن يتجاوزوا مشكلتهم ويستجيبوا، وإلا ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ٣٦ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ..
- أو ليس المؤمنون الآخرون لا يملكون إلا أن يصلحوا بين المتخاصمين ...
- أو ليس هذا منكرًا، أو ليس الساكت عن الحق شيطانًا أخرس؟!
- فكيف إذا كانت المشكلة بين بيتين جارين، كيف إذا كانت بين أرحام، كيف إذا كانت بين بلدين مسلمين جارين، انظر إلى أي مدى قصرت أفهامنا عن

١ رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٧٧) واللفظ له، مسلم (٢٥٦٠).

بلوغ مراد النبي ﷺ، بل قصرت حينما قصرنا النظر على حل الإشكالات اللفظية في الأحاديث دون إعطاء الأولوية **للواقعية** للتطبيق، وإعطائها للعمل...؟

- وما أعظم ثقل الأمة لو أنها استخدمته ثقلاً في الإصلاح بين بلدانها بتحديد المدة التي بعدها يدخلون في الحرام.
- وهل من بلدٍ مسلمٍ إلا وبينه وبين جيرانه مشكلات حدودية هي في حقيقتها فتائل جاهزة لإشعال العدو لها متى أراد؟
- ألا ما أعظم مشكلة الخصام في الأمة حين حولتها إلى الخصام المنهجي، وإلى تركة الاختصام وإرثه والمحافظة عليه؟

الحديث السابع والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [لَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِرْفَقَهُ]

الحادثة والحديث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِرْفَقَهُ أَنْ يَضَعَهُ عَلَى جِدَارِهِ»^٢.

المشكلة: شدة الحساسية بين الجارين.

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أليست هذه شفاعاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل جار طلب من جاره ما ليس عليه فيه من ضرر؟!

ألم يحل النبي صلى الله عليه وسلم هذه المشكلة المستعصية بإزالة أساسها وهو الحساسية، والخطأ في فهم الحقوق، والخطأ في مفهوم الملكية؟!

أليس في هذا حل عملي للمشكلات على الحدود بين البلدان المسلمة خاصة حين ورثوا الدفاع عن **حدود** وضعها المستعمر لتبقى بؤرة شقاق ونحن ندافع عنها على أنها حدود وسيادة وما إلى ذلك وما هي إلا من عمل الشيطان؟!

١ مرفقه: ما ارتفق به وانتفع.

٢ رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على «المسند» (٤ / ٨٤) رقم (٢٣٠٧): إسناده صحيح. وذكره الهيثمي في المجمع (٤ / ١٦٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

الحديث الثامن والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا وَرَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». قَالَ أَنَسٌ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ فَإِذَا سِلْعَةٌ تَبَاعُ فَسَاوَمْتُهُ، فَقَالَ: بِثَلَاثِينَ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِأَرْبَعِينَ، فَقَالَ صَاحِبُهَا: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا وَأَنَا أُعْطِيكَهَا بِأَقْلَ مِنْ هَذَا؟ ثُمَّ نَظَرَ أَيضًا فَقَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِخَمْسِينَ، فَقَالَ صَاحِبُهَا: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا وَأَنَا أُعْطِيكَهَا بِأَقْلَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، وَأَنَا أَرَى أَنَّهُ صَالِحٌ بِخَمْسِينَ»^١.

المشكلة: انعدام الإنصاف وضعف التقوى

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- أي مبلغ للتناصح بلغه الصحابة - رضي الله عنهم - .. كم مرحلة تخطى هذا الصحابي حتى بلغ أن يكون أكثر إنصافاً من التاجر على بضاعته.
- ثم ما هذه الفورية في التطبيق؟!
- فكم هذه المشكلة عويصة .. كم تنتهب حقوق في غفلة أصحاب الحقوق في هذه الأمة وهذه الدنيا .. بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوّل المشكلة إلى صورة إخاء، وجعل المشتري هو المحافظ على حق البائع وهو أشد حرصاً عليه.

١ قال الهيثمي (٩٥/١) واللفظ له: المرفوع منه في الصحيحين. البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

الحديث التاسع والثلاثون بعد المائة: المفتاح: [إخوانكم]

الحادثة والحديث:

عن المعرور، قال: لقيتُ أبا ذرَّ بالرَّبْدَةِ، وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامِهِ حُلَّةٌ، فسألتهُ عن ذلك، فقال: إني سابتُ رجلاً فعيرتهُ بأُمَّه، فقال لي النبيُّ ﷺ: «يا أبا ذرَّ أعيرتهُ بأُمَّه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهليَّةٌ، إخوانكم خولكم، جعلهم اللهُ تحتَ أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يده، فليطعمه ممَّا يأكل، وليلبسه ممَّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^١.

المشكلة: الطبقة المتعددة بقانون

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليست المشكلة القائمة اليوم في جميع مجتمعات الدنيا هي الطبقة؟ ألم تصبح الطبقة جزءاً من نسيج المجتمع، وجميع أفراد المجتمع يعانون منها... فكل طبقة في المجتمع تدوس على التي تحتها وتحتقرها كما أن التي فوقها تحتقرها، إلى أن تصل إلى الفئة الحاكمة فتجد أن الطبقة الأقدم في البلد تتهم الطبقة الحاكمة بأنها ليست أصل منهم ولا أقدم في البلد، بل إنها فئة دعيَّة؟!!

أليس في حل النبي ﷺ للحالة الأصعب حلاً جذرياً لما هو دونها في الطبقة.. فهي الطبقة الأقل، الأضعف، الأفقر، الأشد حاجة وهم العبيد، والخدم، فقد رفعهم الرسول ﷺ إلى درجة الأخوة، ووحدهم معكم في الطعام واللباس ليزيل مظاهر التميز؟

١ رواه البخاري - الفتح ١ (٣٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٦١).

فكيف يقيم المسلمون للطبقية في مجتمعهم وزناً ويعتمدونها في حياتهم مع أهلهم،
وجيرانهم، وبني قومهم؛ على أساس أن هذا سكن بعد مجيء أجدادي وأهلي بيوم إلى هذه
الأرض! وأن والد هذا كان بحاراً عند والدي أو خادماً أو طبائخاً أو ما إلى ذلك، وأن على
ذراري هذا أن تتحمل إلى يوم القيامة! ولا بد لهذه الطبقة النفسية أن تتحول إلى أنظمة
وقوانين وحقوق! مع أنهم إخوانكم وأنتم إخوانهم!؟

كم دخل العدو وشق وحدتنا بمثل هذه الطبقة الخبيثة!؟

الحديث الأربعون بعد المائة: المفتاح: [المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ]

ألم يحل النبي ﷺ المشكلات بحل المشكلات

الحادثة والحديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^٢.

المشكلة: أن لا تجد المشكلة من يحلها

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

١ رواه البخاري - الفتح ٥ (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٠).

٢ رواه مسلم (٢٦٩٩).

فكل مسلم إنها هو مشروع حل مشكلاته حين يحل مشكلات الناس ... حتى وإن لم يكن له مشكلات، فالمشكلات العظمى في الآخرة.

أليست هذه أعظم قواعد حل المشكلات؟

الحديث الحادي والأربعون بعد المائة: المفتاح: [المُسلِمُ أخو المُسلِمِ]

الحادثة والحديث:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُخْذَلُهُ».

وَيَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بَدَنِبٍ يُجِدُّهُ أَحَدُهُمَا». وَكَانَ يَقُولُ: «لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتٌّ: يُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُوذُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ، وَيَشْهَدُهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَتَّبِعُهُ إِذَا مَاتَ».

«وَنَهَى عَنِ هَجْرَةِ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»^١.

المشكلة: ذهاب حقوق الأخوة من الواقع إلا ما ندر!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- ألا ترى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حل المشكلات بالمراقبة الدائمة للنفس واتهامها.. وليس اتهام الشريك؟

١ رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٧/ ١٩١) رقم (٥٣٥٧): إسناده صحيح وهو في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٤) ما عدا آخره... وقال: رواه أحمد.

- سبحان الله كيف سبق الرسول ﷺ؛ فقسّم الحقوق والواجبات بين المسلمين وانتهى، فلا يملك أحدٌ تغييرها بناءً على مقامات معينة أو مواقع وظيفية أو مواقف سياسية أو نحو ذلك؟
- ألم يجعل النبي ﷺ حق المسلم على المسلم من الثوابت بتفاصيله لا يملك أحدٌ تغييرها؛ لا حاكم، ولا والد، ولا قاضٍ، ولا غيرهم؟!؟
- هل رأيت مجتمعاً يرفع هذه التفاصيل في الحقوق حتى العطسة. فهل من وقاية مثل هذه الوقاية من المشكلات؟!؟

الحديث الثاني والأربعون بعد المائة: المفتاح: [مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

المشكلة: عن وجهه النار يوم القيامة

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- أم المشكلات في الغيبة، وفي النسيئة، وفي التخييب. ! فماذا لو قال الناس في غيبة الآخر خيراً أما كان خيراً له ولأخيه وربما للمعتدي وللمجتمع كذلك.
- أليس إذا لم يقل هذا أو ذاك خيراً أفلا ينبغي أن ينبري كل مسلم فيدافع عن أخيه في غيبته فيذب عنه.
- تصوّروا هذه بين الفتن التي تقع بين المسلمين؛ هل تراها تقع لو وجد في البطانة أو الحاضرين من ينبري للمفتن والمشوش والمخبّب والنّام على البلد الجار الآخر... هل سيكون مشكلة أو خصومة أو عدوان أو احتلال؟!
- رأيتم إلى أي درجة تبلغ أهمية الذب عن عرض المسلم.. بل رأيتم إلى أي بُعدٍ عظيم **حدّثنا النبي صلى الله عليه وسلم** ونحن ما زلنا نفهم الحديث على الفرد كما قيل أول مرة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه من البلاغ الذي افترضه الله عليه أن ترفع له حادثة بين فرد وفرد،

١ رواه الترمذي (١٩٣١) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٤٤٩) والطبراني عن أسماء بنت يزيد، وصححه الألباني.

وحادثة أخرى بين جار وجاره، وحادثة بين امرأتين، وحادثة بين قبيلتين، وحادثة بين

بلدٍ وبلدٍ وهكذا ... هل يمكن أن يتصور أحد هذه البلادة في تلقي منهاج النبوة؟! **!**

• ولقد خاطب الله ﷺ المؤمنين وأحيا الألباب والعقول والأفكار والقلوب وأيقظها

كثيراً في كلامه الكريم كله دون استثناء، وهكذا رسول الله ﷺ، فمن أبى فلا يتحصن

بطلب الدليل، فالدليل واضح، ونحن إنما نبين الدليل نفسه، ولذا أقول: فلا تكون

غصن شوك في طريق القرآن العظيم، ولا حجرة عثرة في سنة المصطفى ﷺ، ولا

تشوش على ألباب المسلمين حتى يكون لك لبُّ، وحجرٌ، وعقلٌ، ونورٌ، وبصيرةٌ،

وتذكرٌ، و**ادّكر** ... ادع الله صادقاً فلعل الله أن يهديك، ويزيل **عنا** وعنك عرض القفا

فنى بحق ما يريد **منا** المصطفى ﷺ **في هذا الزمان**.

الحديث الثالث والأربعون بعد المائة: المفتاح: [لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ]

الحادثة والحديث:

عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأُودِيَةِ وَالشَّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ^١. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَاَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَمَا يَكُونُ حَمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ»^٢.

المشكلة: العدوان ما بين الإنس والجن

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ: ألا ترى كيف حل المشكلات مع الجن بعدم

العدوان على حقوقهم ... فصلَّى الله وسلَّم على رسول الله

- والآن وبعد رسول الله ﷺ كم اجتالت الشياطين على الناس.
- سبحان الله بأي ناصح هو، ومن بالمؤمنين رؤوف رحيم مثلك يا رسول الله ﷺ؟!!

١ استطير أو اغتيل: معنى استطير: طارت به الجن، ومعنى اغتيل: قُتل سرًّا، والغيلة بالكسر هي القتل خفية.

٢ رواه مسلم (٤٥٠).

الحديث الرابع والأربعون بعد المائة: المفتاح: [فأخبرته أنك أختي]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ ۖ اللَّهُ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَوْلُهُ: {إِنِّي سَقِيمٌ} [الصفات: ٨٩]، وَقَوْلُهُ: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} [الأنبياء: ٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةَ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ، لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي، فَلَا تُكْذِبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَاجِبَتَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ! فَأَخْدَمَهَا هَاجِرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ - أَوْ الْفَاجِرِ - فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجِرَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ»^٧.

المشكلة: إرادة جبار من الجبابرة العرض الحرام

١ كذبات: أي فيما يظهر للناس وبالنسبة لفهم السامعين وهي ليست كذباً في حقيقة الأمر لأنها من المعارض.

٢ ذات الله: أي لأجله.

٣ سقيم: مريض قال ذلك لقومه حتى لا يخرج معهم ويبقى ليكسر الأصنام.

٤ فأخذ: اختنق حتى ضرب برجله الأرض كأنه مصروع.

٥ مهيا: كلمة يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك.

٦ بني ماء السماء: أراد بهم العرب لأنهم يعيشون بالمطر ويتبعون مواقع القطر في البوادي لأجل المواشي.

٧ رواه البخاري - الفتح ٦ (٣٣٥٨) واللفظ له، مسلم (٢٣٧١).

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

- ألا ما أعظم هذه المشكلة لمن يواجهها!
- ألم يبين رسول الله ﷺ أن حل المشكلة في هذا الحديث يقول: خذ الأسباب وأحكم الاتفاق مع الله ثم التجئ إلى الله ﷻ التجاء المضطر المتضرع الذي علم أنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه؟!!
- فإن نتجت مشكلة ووقع المكروه بعد كل هذا فيجب الإعذار، والصبر، والستر. فلا ذنب عليها وهي المكروهة ... بل احفظ العهد والوعد.
- أليس هذا هو الحل المثالي لمشكلة بهذا الحجم ومن هذا النوع؟

الحديث الخامس والأربعون بعد المائة: المفتاح: [الجلس الصالح]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^١.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّهَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ^٢، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^٣.

المشكلة: أتدري أين مشكلة الجليس .. إنها فيك؟

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي حلٌّ مثل حلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجلوس مع جليس السوء؟!

ألا ترى أن الحديث الأول يقول لك: اختر جندك الذين هم مثلك ... بل الآن اختر قَدْرَكَ المخبوء في الغيب .. وأن بإمكانك اختيار أحسن الاختيارين؟

وأن الحديث الثاني يقول لك ولولذلك: هكذا إذا اخترت جليس السوء فأنت بإرادتك أردت أن تحترق ثيابك أمام الناس، أو تتلوث أجواءك ... ولا فرار من واحد من الاحتمالين. أليس كذلك؟!

١ الأرواح جنود مجندة: قال العلماء: معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها، وقيل: إنها خلقت مجتمعة، ثم فرقت في أجسادها، فمن وافقه في شيمه أَلْفَهُ، ومن باعده نافرته وخالفه.

٢ رواه مسلم (٢٦٣٨).

٣ يحذيك: أي يعطيك.

٤ رواه مسلم (٢٦٢٨).

هل ترى نافخ الكير أو حامل المسك اقتصر في هذا الزمان على الإنسان ... لقد جاءت
هذه الوسائل التي تحدث الناس وتُثري الناس الصور، بل تزيهم الأحداث .. وتقوم
بالإصلاح، وبالإفساد وأكبر بكثير من إغراء البشر وإصلاح البشر؟

الحديث السادس والأربعون بعد المائة: المفتاح: [لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا]

الحادثة والحديث:

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُجَالِلُ»^٢.

المشكلة: عدم التدقيق والتحقق عند ابتداء الاختيار

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هكذا حلَّ المشكلة بأن بيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الصحبة ليست خيارًا ينتهي بالفراق أو الموت، بل هذا الاختيار إنما هو اختيار للصحبة يوم القيامة، ولهذا لا بد من التحقق عند الاختيار جيدًا، وهذا يتضمن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ».

ثم بيَّنَ نوع الصحبة، ثم هي ليست صحبة لأناس طيبين فحسب ... بل لا بد من أن تقوم على ألفة قلوب وعقد محبة لله وحده لا شريك له .. ولهذا الحب كان جزاؤهم في أقرب مكان، وأعلاه، وأحلاه، وأهنأه، وأكرمه ظل عرش الله.

١ رواه أبو داود رقم (٤٨٣٢) وقال الألباني (٩١٧/٣): حسن. والترمذي (٢٣٩٥) واللفظ لهما وإسناده حسن، والحاكم في المستدرک (١٢٨/٤) وقال: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٢ رواه أبو داود (٤٨٣٣) واللفظ له، الترمذي (٢٣٧٨) وقال الألباني: حسن، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص ١١٩) وقال محققه: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٧١/٤) وقال: صحيح إن شاء الله.

ألا ترى كيف أن الفقرتين الكريمتين متلازمتان تلازم الحلقتين؛ «لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» حيث إن من صاحبك لا بد أن يدخل بيتك، فكأنه ﷺ يقول: [ولا يدخل بيتك من أصحابك إلا مؤمن تقي]، فليس كل مؤمن يصلح أن يدخل بيتك، في بيتك بالنسبة له سر جديد ربما لا تلحظه أنت، وفي بيتك عورات، وفي بيتك ربما كشف سر، وسمع حديثك، وراك في خلوتك، وعرف خبرك من خلال زرع جهاز لا يُلاحظ في مكان لا تلحظه، فيه التصوير وفيه النقل الحي في مجلسك وداخل بيتك وأنت لا تدري، وأكثر هذه تكون مربوطة بالأقمار الصناعية، فلو أرادوا اغتيالك أو تفجير بيتك لفعّلوا في أي وقت يريدون والعياذ بالله، أليس كذلك؟!

أليس هذا أخطر المخاطر؟! بل لو فُقِّتْ عَيْنُ هَذَا بِحَرْبَةٍ لَكَانَ حَلَالًا، لَأَنَّهُ أَشَدُّ مِمَّنْ نَظَرَ مِنْ فَتْحَةِ الْبَابِ غَفْلَةً مِنْهُ ... وَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ هَلًّا هُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنَهُ»^١.

فكيف وقد أصبح مثل هذا منهجًا عند بعض الأجهزة الرسمية؟!

١ رواه مسلم (٢١٥٨).

الحديث السابع والأربعون بعد المائة: المفتاح: [لَا تُسْنَأُ يَا أُخِيَّ مِنْ دُعَائِكَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «لَا تُسْنَأُ يَا أُخِيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا، قَالَ شُعْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ عَاصِمًا بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ، فَحَدَّثَنِيهِ، وَقَالَ: «أَشْرِكُنَا يَا أُخِيَّ فِي دُعَائِكَ»^١.

المشكلة: ظن البعض أنه بغير حاجة لدعاء أخيه

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا ترى كم مشكلة حلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- أليس فيها حل مشكلة اهتزاز الثقة بالنفس وسوء الظن بها؟!
- أليس فيها الصدق في الدعاء كي تُؤدَّى الأمانة التي حُمِّلتها أحسن الأداء؟!
- أليس فيها حل لمشكلة الجفاء وقلة تعظيم المشاعر، والمواضع التي عَظَّمَهَا اللهُ وَجَلَّ جَلَلُهُ، بل وطريق السفر إليها؛ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حدَّد موضعًا معينًا يدعو له فيه .. لكنه طلب من عمر أن لا ينساه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!
- أليس فيها حل لمشكلة في النفوس - وحاشا عمر منها - ففي طلب الدعاء **قلع** جذور الخلافات وتحوُّلها إلى جذور محبة صادقة خالصة نقية وفيَّة لا يجد لها مكافأة في حياته أبدًا؟!
- ألم يجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جفاف الأخوة بسقياها بالدعاء في ظهر الغيب؟

١ رواه أبو داود رقم (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي رقم (٣٥٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٩٤)، ومسند الإمام أحمد (٢٩/١).

الحديث الثامن والأربعون بعد المائة: المفتاح: [وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَا إِخْوَانَنَا]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمُقْبِرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مَحْجَلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهِمٍ^١ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَأَيْتَهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحْجَلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ^٢ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ^٣ أَنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا^٤».

المشكلة: أن لا نقدر نحن أهل هذا الزمان من المؤمنين قدرنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعلمه بنا، وتوجيهه الدائم لنا في سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١. ألا يكفي أهل آخر الزمان ليشبوا على إخوتهم أن يُسميهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«إخواني» وهو بين أصحابه، فيشبوا حتى يلقوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

١ العرّ: جمع أعر وهو الفرس الذي في جبهته بياض. أما المحجل فهو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين، (انظر النهاية ١/ ٣٤٦).

٢ الدهم: جمع أدهم من الدهمة وهي السواد، والبهم جمع البهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه.

٣ الفرط - بفتححتين - المتقدم السابق.

٤ سحقا سحقا: بعدا بعدا.

٥ رواه مسلم (٢٤٩).

٢ . ألا ترون هذا الاشتياق منه ﷺ متى ظهر عليه إنه في الزيارة الأخيرة إلى المقبرة .. إذ بعدها سوف يستقبل الدار الآخرة ... وهنا يكون اليقين بأن لا لقاء مع من أخبره الله عنهم وعن من ساءهم ﷺ [إخواني] .. فهو ذاهب وسيلقى من سبقه «وَأِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ»، لكن لقاء إخواني مستحيل في هذه الحياة، وفي الدار الآخرة إلى أن تقوم الساعة .. مع كل ما سيواجهونه وخصوصًا في العصر الأخير من هذه الدنيا وهو هذا العصر قطعًا!؟

٣ . فما تلك الأحداث التي سيلقونها!؟

٤ . وما بشارته المنتظرة اليوم؟

الحديث التاسع والأربعون بعد المائة: المفتاح: [هَاتُوهُ، فَنِعَمَ الْأُدْمُ هُوَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ، فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيِّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّلَاثَ، فَكَسَرَهُ بِاِثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ مِنْ أُدْمٍ؟» قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «هَاتُوهُ، فَنِعَمَ الْأُدْمُ هُوَ».

المشكلة: التكلف في التضييف

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

لكم هي عزيمة هذه الحالة التي يحكيها جابر رضي الله عنه: [كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا] جابر الذي ورث أباه الشهيد في أحد وعليه دين عظيم لليهودي، وورث تسع أخوات، ومشكلات لا يعلمها إلا الله ﷻ،

١ الأدم: مثل الإدام وهو ما يؤتدم به.

٢ دخلت الحجاب عليها: إلى الموضع الذي فيه المرأة وليس فيه أنه رأى بشرتها.

٣ نبي: مائدة من خوص أو طبق من خوص، وفي رواية «على بتي» والبَّتُ: كساء من وبر أو صوف، فلعله منديل وضع عليه الطعام.

٤ الأدم: مثل الإدام وهو ما يؤتدم به.

٥ رواه مسلم (٢٠٥٢).

فكم يحتاج إلى رعاية وتعليم ... فكم تعلم في هذه الساعة التي انطلق فيها مع رسول الله ﷺ ... كل حركة، كل كلمة، كل شيء فيها حل لمشكلة وفائدة عظيمة.

أليس كذلك ... فهل تستطيع إحصاءها؟!

وكيف يمكن تطبيقها في هذا العصر؟

الحديث الخمسون بعد المائة: المفتاح: [رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا]

الحادثة والحديث:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَرًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^٣.

المشكلة: أن لا يعطي المسلم دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقه في الفهم والحفظ

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ألا يعني هذا الحديث أنه لا بد للعبد أن يلتجئ إلى الله التجاءً منفردًا بالله في داخله، غافلًا عن كل عونٍ بشري، غاسلاً يديه من كل معين، وركن، وناصرٍ غير الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير متوجِّسٍ الخوف من أحدٍ، لكن ربما كان من حيث لا يحتسب ..؟

وكم تأتي المشكلات المهلكات إذا كانت من حيث لا يحتسب المرء .. لهذا جاء هذا

الدعاء لرد المشكلات من هذا الباب خاصة؟

ألا ترى أن هذا الدعاء لجميع المشكلات ما ظهر منها وما بطن؟!!

١ الحوية: الإثم.

٢ سخيمة صدري: غشه وحقده وغله.

٣ رواه الترمذي (٣٥٥١) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، وابن ماجه (٣٨٣٠).

الحديث الحادي والخمسون بعد المائة: المفتاح: [فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ]

الحادثة والحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»^١.

المشكلة: أن لا يقدر المصلون على الجنازة قيمة الإخلاص في الدعاء للميت

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١. ألا يعني هذا أن قوة الإخلاص تنبع من قوة الموقف ... وأن المؤمن هو رجل الموقف؟

٢. ألا يعني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرس هنا صناعة القلب في الموقف.

٣. هل يمكن أن تدعوا له بإخلاص ما لم تسامحه في جميع مشكلاته معك؟!!

٤. أليس الواجب هنا أن من استطاع أن يفك حبس أخيه الميت بسبب دين أو مظلمة لأحدٍ عليه فليتحملها عنه، أليس هذا أبلغ في نفعه من مجرد الصلاة عليه بإذن الله؟

٥. ألا ينبغي على إمام الجنازة أن يذكر الناس كلما قام أمامها بالجد في الدعاء والإخلاص فيه؟ فإن دعاءكم اليوم شفاعة ... فاصدقوا لعلَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقيم علينا من يصدق لنا الدعاء، وأن الجزء من جنس العمل.

١ رواه أبو داود: (٣١٩٩) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٧/٢) برقم (٢٧٤٠): حسن.

الحديث الثاني والخمسون بعد المائة: المفتاح: [أخيني ما علمت الحياة خيرًا لي]

الحادثة والحديث:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي عَيْرٍ أَنَّهُ كُنِيَ عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَخِينِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^١.

المشكلة: مشاكل لا حل لها في الحياة!

مفاتيح الانطلاقة مع رسول الله ﷺ:

أليس هذا الحديث فيه دواء كل مشكلة ألا يكفي أن ابتداءها: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَخِينِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»، ألا ترى أن فيها كل شيء بدليل ما جاء بعدها من دعاء؟!!

١ رواه النسائي (٥٤ / ٣) واللفظ له، وصححه الألباني، وفي المستدرک: (كلمة الحكم في الرضا والغضب). (٥٢٤ / ١) وقال عنه: صحيح الإسناد.

الحديث الثالث والخمسون بعد المائة: المفتاح: [فَأَسْتَحْلَفَ الْمَطْلُوبَ]

الحادثة والحديث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُدَّعِيَ الْبَيْتَةَ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ، فَاسْتَحْلَفَ الْمَطْلُوبَ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ، وَلَكِنْ غُفِرَ لَكَ بِإِخْلَاصِكَ قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^١.

الانطلاقه مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل من طريق هنا لبلوغ الحكم الفاصل إلا أن يحلف

المطلوب؟!!

ألم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادرًا أن يعرف الحقيقة بالدعاء وبما يعلمه الله من أمور لا يعلمها غيره؟! لكنه القدوة لمن جاء بعده.

ألم يبين أن الله يعلمه، لكنه لا يريد أن يقضي بما يعلمه الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله في هذا الحديث: «وَلَكِنْ غُفِرَ لَكَ بِإِخْلَاصِكَ قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

١ رواه أحمد (١/٢٥٣، ٢٨٨)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه (٤/٧٥، ٧٦) رقم الحديث (٢٢٨٠): إسناده صحيح.